كلية : التربية الأساسية / حديثة

القسم: التاريخ

المرحلة: الرابعة ..

أستاذ المادة : أ.د مظهر عبد علي الجغيفي

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ الحضارة الإسلامية .

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of Islamic civilization

الفصل الأول

الحضارة والنظم الاسلامية

اولا : مفهوم الحضارة

أولا : مفهوم الحضارة : أما الحضارة (بفتح الحاء وبكسرها) فهي – لغةً – الإقامة في الحَضَر . والحضر خلاف البدو، وبهذا المعنى استعملها القطامي الشاعر في قوله ، مفتخراً ببداوة قومه ، مستخفّاً بساكني القرى والمدن:

فَمَنْ تَكُنِ الحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فأَيُّ رِجال بَادِيَةٌ تَرَانَا !؟

وهي تطلق الآن – اصطلاحاً – على كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه ، عقلاً وخُلقاً ، مادةً وروحاً ، دنيا ودِيناً . فهي – في إطلاقها وعمومها – قصة الإنسان في كل ما أنجزه على إختلاف العصور وتقلب الأزمان ، وما صُوِّرت به علائقه بالكون وما وراءه وهي – في تخصيصها بجماعة من الناس أو أمة من الأمم – تراث هذه الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص، الذي يميزها عن غيرها من الجماعات والأمم . وهي بهذا المعنى الاصطلاحي نظير المدينة، التي هي في اصل الاستعمال سكنى المدن ، والحضارة بهذا المعنى اعم من الثقافة ، التي تطلق على الجانب الروحي أو الفكري والصناعي، كأنما لوحظ فيها أن النشاط البشري في مختلف جوانبه ومواهبه يكون في أرقى حالاته في الحواضر والمدن ، وأن سكنى الحواضر مرحلة أكثر تقدماً من سكن البادية . والكلمة – بهذا المعنى الاصطلاحي – قديمة في الاستعمال العربي وليست ترجمة للكلمة الأوروبية (Civilization) فقد استعملها ابن خلدون في مقدمة تاريخه ، حين كتب فصولاً متعددة عن (العمران في البدو وفي الحضر وطبائع كل منهما) وعن (انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة) وفي (أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره ، وأنها مؤذنة بفساده) .

والحضارة بهذا المعنى الاصطلاحي عند ابن خلدون أضيق من الحضارة بالمعنى الاصطلاحي الحديث، لأنها لا تصور إلا الجانب المترف النشاط البشري ، ولا تُدخل فيه النشاط الديني والخلقي والعقلي . يقول ابن خلدون

(والحضارة كما علمت هي التفنن في الترف واستجادة أحواله ، والكلف بالصنائع التي تؤثق من أصنافه وسائر فنونه ، ومن الصنائع المتهيئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفُرش أو الآنية ولسائر أحوال

المنزل.. . وإذا بلغ التأنق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعةً الشهوات ، فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا تستقيم في دينها ولا دنياها) .

والحضارة بهذا المعنى عند ابن خلدون أحد شطري العمران ، الذي قسمه إلى بدوي ومدني . وتصوره للحضارة بهذه الصورة فرع من تصوره لفضل البدو على الحضر ، في الفصول التي كتبها في تفضيل أهل البدو على أهل الحضر مثل (فصل في أن البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر) و (فصل في أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر) و (فصل في أن معاناة أهل الحضر للأحكام مُفسِدة للبأس فيهم ذاهبة بالمتعة عنهم) .

أما « الغرب ، فهو اصطلاح حديث، جرينا فيه على ما اصطلح عليه الاوروبيون في عصر الاستعمار من تقسيم العالم إلى «شرق» و «غرب » ، يعنون بالغرب أنفسهم ، ويعنون بالشرق أهل آسيا وإفريقية . الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم ، وجرينا نحن من بعد على هذا الاستعمال ، والكلمة إن كانت حديثة اصطلاحا واستعمالا فهي قديمة في مفهومها ودلالتها . فقد كان في العالم من زمن قديم قوتان تصطرعان وتتنازعان السيادة ، إحداهما في الشرق ، والأخرى في الغرب . تمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم ، ثم في الصراع بين المسلمين والروم ، ثم في الصراع بين المسلمين والصليبين ، ثم في الصراع بين العثمانيين والأوروبيين ، مدا وجزرا ، ثم كان آخر فصول هذه الملحمة الصلات بين الشرق ممثلا في آسيا وافريقية ، وبين الغرب ممثلا في اوروبا وامريكا وهي صلات متنوعة ، بعضها ثقافي، وبعضها اقتصادي، وبعضها سياسي.

ثانيا : مقومات الحضارة العربية الإسلامية :

كانت الحضارة العربية الإسلامية أعظم حضارات العصور الوسطى دون منازع. ومن الواضح أن البيئة التي نبتت فيها هذه الحضارة ونمت حتى استوت على عودها كانت موطناً لكثير من الحضارات القديمة المزدهرة ، فلا مناص من حدوث تجاوب بين القديم والجديد في هذا الحال فاخذ المسلمون واقتبسوا من الحضارات

التي سبقتهم وتأثروا بها ثم تناولوا ذلك القديم بالشرح والتصحيح والتغيير والتبديل والحذف والإضافة، ونجم عن هذا كله حضارة جديدة لها طابعها الخاص وهو طابع الاسلام

ويمكن إرجاع أصول هذه الحضارة الإسلامية إلى مؤثرات ذاتية داخلية كالإسلام ، وأخرى خارجية مستمدة من حضارات بعض الأمم القديمة كالفرس والهنود واليونان والرومان وفيما يلي هذه الأصول :-

١ – الدين الإسلامي : الإسلام عقيدة وشريعة ، دين ودنيا – كما معروف – فالعقيدة تتمثل في وحدانية الخالق والتصديق بملائكته وكتبه ورسله، وعلى رأسهم رسول الإنسانية محمد بن عبدالله وكتابه المبين ثم الإيمان بالبعث بعد الموت ، والثواب والعقاب في دار الخلود. أما الشريعة فتعني الأحكام التي فصلها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة باعتبارهما أهم مصادر التشريع الإسلامي وهي تنتظم ، أولاً : علاقة الإنسان بخالقه ونقصد بها الفرائض كالصلاة والزكاة والصوم والحج بشروطها المعروفة ثانياً : علاقة الناس بعضهم مع بعض ، ويراد بها المعاملات المختلفة لتلك التي تتعلق بالأسرة وأركانها الثلاث : الزوج والزوجة والأبناء ، والتجارة كالبيع والشراء ، وجمع الثروة والمال، والحدود والقصاص وغيرها .

من ناحية أخرى نلاحظ أن الإسلام كان له أثر واضح ومباشر في ميدان العلم والفكر لدى المسلمين، فظهرت العلوم النقلية (الشرعية) كالتفسير والقراءات والحديث والفقه والأصول وغير ذلك من العلوم التي وجدت لخدمتها وفهمها بعد أن انضمت لدولته شعوب متعددة كان لا بد لها أن تتفهم الإسلام وتقرأ كتابه ، فنشأ علم النحو والأدب والبلاغة والسير والمغازي والتاريخ وغيرها

ولما كان الإسلام يعتبر الإنسان أشرف مخلوقات الله وأعظمها بفضل ما أودعه فيه – سبحانه وتعالى – من عقل ، لذلك دعاه إلى النظر والتأمل في الكون الذي يعيش فيه وتسخير كل ما فيه لخدمته وتطوير حياته نحو الأفضل ، فاندفع بنعمة العقل التي فكها الدين الجديد من الأسر وأطلقها من عقالها ، فاندفع إلى الاشتغال بالعلوم الطبيعية كالفلسفة والطب والفلك والرياضيات (الحساب والجبر والهندسة) والكيمياء والفيزياء والجغرافيا وغيرها .

لذلك كان الدين الإسلامي المنهل الأول والأعظم للفكر والثقافة فطبع حياتهم العامة والخاصة بطابعه، وصبغ نظمهم وفنونهم وآدابهم بهذه الصبغة الإسلامية المميزة ، فكان – دون ريب – المصدر الرئيسي الذي رسم

للمجتمع الإسلامي نمط الحياة الجديدة فاستقوا منه أسلوب معيشتهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية . وقد دفع هذا المسلمين إلى السعي نحو الاستفادة من الحضارات الأخرى .

٢ – العروبة : ونعني بها دور العرب ولغتهم وآثارهم بصورة عامة في بناء دولة إسلام وحضارتها ، فقد كان العرب العنصر الأول والأساسي الذي حمل لواء الإسلام ومهمة الجهاد لنشر الدين الجديد خارج بلادهم وتوصيله لشعوب الدنيا كلها ، كما كانت العربية لغة قريش هي اللسان الذي نزل به كتاب المسلمين جميعاً ؟ هذا بالإضافة إلى طبائعهم وعاداتهم كالشجاعة والأنفة وإكرام الضيف والجوار وغيرها من التقاليد الموروثة ، وفنونهم ومعارفهم التي اشتهروا بها كالولع بالشعر ، والمحافظة على الأنساب ، والحكمة والنباهة ، واقتفاء الأثر إلى غير ذلك من مظاهر التحضر التي تميزت بها بعض المجتمعات العربية في الدول التي نشأت على أطراف شبه الجزيرة بصورة خاصة، قبل مجيء الإسلام ، كحضارة بلاد اليمن القديمة ومملكة الأنباط ، والحيرة والغسانة وغيرهم.

٣_ الحضارة الفارسية الهندية : وهي بمثابة المؤثر الأجنبي الأول الذي استمدت منه الحضارة العربية الإسلامية جانبا من مقوماتها . فالفرس أمة ذات حضارة قديمة، ونبغوا في السياسة والإدارة والحروب ، ومظاهر العمارة والفنون والآداب والعلوم. فلما فتح العرب بلاد فارس وقوضوا عرش الدولة الساسانية دخل الفرس في الدين الإسلامي أفواجاً وصاروا موالي للفاتحين ، وبدخولهم في الإسلام طرحوا دياناتهم ولغتهم السابقة ، وأقبلوا على الإسلام يدرسونه ، وعلى اللغة العربية يحصنونها ، ولم يمض زمن طويل حتى أسهموا في الحركة العلمية والتأليف في مختلف العلوم ، وأفادت الحضارة العربية الإسلامية من ذلك فوائد جمة، وانتقل إلى الحضارة العربية الإسلامية عن طريق هذه الحركة أيضاً بعض علوم ومعارف الهنود – خاصة في الرياضيات كالحساب – وغيرهم من الشعوب الآسيوية المتحضرة كالشعب الصيني .

٤ – الحضارة اليونانية الرومانية : وهذه تمثل المؤثر الأجنبي الثاني الهام للحضارة العربية الإسلامية ، فاليونان أمة عريقة في الفلسفة والعلوم والفنون والآداب ، ظهر فيها أساطين الفكر في العالم القديم كسقراط وأفلاطون وأرسطو في الفلسفة ، وأبو قراط وجالينوس في الطب ، وإقليدس في الهندسة ، فانتشر علمهم وفكرهم في الشرق على أثر فتوح الاسكندر الأكبر وقيام أسر يونانية حاكمة في الشام ومصر) كما . وفي القرون السابقة على مجيء الإسلام نقل السريان في الشام والعراق إلى لغتهم السريانية كثيراً من تأليف هؤلاء

العلماء وغيرهم ممن نبغوا في الرياضيات والكيمياء والفلك والجغرافيا ، وعلقوا عليها وشرحوها أنشأت مدارس في المدن الكبرى كانطاكية وقيصرية ونصيبين والرها لتعليم تلك العلوم ، وكان لمدرسة الإسكندرية دور بارز في هذا الميدان ، فانتشرت الحضارة اليونانية في أقطار الشرق التي تأثرت بحضارة الرومان ولا سيما في تشريع القوانين وهندسة الطرق . وجاءت حركة الترجمة التي بدأت في زمن الأمويين وبلغت أوجها في العصر العباسي الأول ولا سيما في عهد الخليفة المأمون ، لتعمل على نقل الكتب اليونانية في العلوم المختلفة في مؤسسة (بيت الحكمة (المشهورة ، إلى اللغة العربية ، وبذلك انتقل فكر اليونان القديم وعلومهم إلى المسلمين الذين لم يقبلوا بصورة خاصة على ملاحم الإغريق ومسرحياتهم وأساطيرهم ، فانصرفوا عنها لما تضمنته من مظاهر الوثنية التي لا تتمشى مع لا تتمشى مع دياناتهم.

ثالثا : الدور الحضاري الذي قام به الاسلام في تلك الاقاليم :

ا من هذه المصادر السالفة الذكر انبعثت حضارة إسلامية تمثلت فيها القيم والمثل العليا وكانت بحق مناراً احتذت به شعوب العالم وما زالت حتى يومنا الحاضر. فالمدقق في هذا الموضوع يدرك أن الحضارة الإسلامية التقت بالتقاليد المختلفة في الأقاليم التي انضوت تحت لواء الإسلام وصارعتها ، فقضت على ما يخالف الدين الإسلامي منها ، واختلطت بالتقاليد الأخرى فعدلتها حتى تتمشى مع الفكر الإسلامي ، وأعطى الإسلام في تشريعاته هذه الفرصة للوفاق والامتزاج الحضاري

وكان انتشار الحضارة الإسلامية سهلاً يسيراً كانتشار الدين نفسه ، فالمسلمون لم يبذلوا جهوداً كبيرة في نشر دينهم أو نشر حضارتهم ، وكان دورهم في ذلك أن قدموا الدين لطالبيه ، وعلموا الناس سلوك هذا الدين ونظمه ، وهذا يختلف اختلافاً كبيراً عن نشر المسيحية التي كانت تحمل الناس على اعتناقها بمختلف الأساليب بينما الإسلام كفل لأصحاب الديانات الأخرى الحرية، بل سوى بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات

وقد شملت الحضارة الإسلامية النواحي النظرية والنواحي العمرانية ، فعرفت الشعوب قاعدة الشورى في الحكم، ونظام البيعة الذي مارسه المسلمون منذ خلافة أبي بكر الصديق ، كما أوضحنا في الفصل الثاني .

وعرفت الشعوب في الاقتصاد حق الفقير من مال الغني ، ونظام بيت المال ، ورد الأمانات إلى أهلها ، كما عرفوا في الآداب الدينية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتزموا بترك المحرمات وأداء الصلوات وعرفوا في الآداب الاجتماعية اللباس الفضفاض والعمامة والقلنسوة ، واهتموا بالنظافة اهتماما كبيراً ، والتزموا بمراسم الوفاء ، وحصلت المرأة على العديد من الحقوق الجديدة فعلا شأنها وشاركت في الحياة العامة .

وكان ميدان العمارة والإنشاء من الميادين الأخرى الهامة التي ترك فيها المسلمون بصماتهم واضحة جلية . فخلفوا في حواضر الإسلام الكبرى في مشرقه ومغربه على السواء كطشقند وبخارى و سمرقند وفرغانة وهراة وغزنة ونيسابور والري وشيراز وبغداد والموصل وسامراء والبصرة والكوفة ودمشق وحلب والقدس والفسطاط والقاهرة والقيروان وتونس وتاهرت وفاس ومراكش والرباط وقرطبة وإشبيلية وغرناطة وفي غيرها من المناطق التي دخلها الإسلام وعاش فيها المسلمون كجزيرة صقلية وجنوب فرنسا وإيطاليا في هذه البلاد وتلك المدن خلف المسلمون العديد من المباني والعمائر كالمساجد كا تقام – والمدارس والكتاتيب والأضرحة والقصور والحمامات والخنقاوات والوكالات والفنادق والأسبلة والقلاع والحصون والأربطة وغير ذلك المنشآت الدينية والإجتماعية والحربية والاقتصادية التي ما يزال الكثير منها قائماً ومحتفظاً بتخطيطه وهندسته وعناصره الأولى كشاهد صدق ودليل حي على ما وصلت إليه العمارة الإسلامية وفنونها من تطور وتقدم وازدهار ، وفي نفس الوقت على ما بلغته حياة المسلمين من ثراء وترف وبذخ ونعمة.

رابعا : خصائص الحضارة العربية الاسلامية :

١ – الحضارة العربية الإسلامية حضارة انسانية :

ونعني بكونها حضارة انسانية أنها حضارة ملائمة لفطرة الانسان وخصائصه المتعددة التي ينفرد بها دون سائر المخلوقات ، ومسايرة لتطلعاته ونشاطاته السوية وقادرة على تلبية حاجاته لأنها اعطتنا في جملة ما أعطت اكمل تصور للانسان باعتباره كائناً بشرياً خلقه الله تعالى واستخلفه في هذه الأرض من أجل غايات سامية وأهداف نبيلة.

والانسان في نظر الإسلام كائن حي خلقه الله تعالى على نحو خاص يختلف عن باقي المخلوقات وتبعاً لهذا التفضيل وهذه المنزلة الخاصة التي انفرد بها الانسان فإن الله تعالى قد اختاره من بين المخلوقات جميعاً ليكون خليفة الله في الأرض ، لأن لدى الانسان الطاقة العقلية والنفسية والحسية التي تجعله قادراً على الافادة مما خلقه الله في السموات والأرض ، فالانسان مؤهل بأصل خلقته لتحمل أمانة التكليف الإلهي ، فالتكليف والمسؤولية المترتبة عليه أمران موافقان لفطرة الانسان مسايران لما خصه الله به من قدرات لازمان لاستقامة سيرته في الحياة الدنيا وتحقيق سعادته فيها وعن طريق استجابة الانسان السوية لهما يكون جزاؤه في الحياة الآخرة نعيماً مقيماً وكان من تمام رحمة الله وبالغ حكمته أنه لم يترك الانسان في هذه الحياة الدنيا على غير هدى إذ أرسل إليه الرسل الذين يحملون وحي الله وهديه وتشريعاته ، قال تعالى : (رُسُلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً)

فلم يكن الأمر مقصوراً على مجرد الفطرة الانسانية أو تسخير المخلوقات الأخرى لمصلحة الانسان وإنما امتدت رحمته تعالى ومشيئته لترشيد الانسان إلى ما يصحح مسيرته في الحياة الدنيا وما يفسر له كل ما يعجز عن تفسيره من أمور هذه الحياة ، واستمر ذلك الوحي الإلهي إلى أن تم واكتمل برسالة الاسلام ورسوله . ومع التسليم بما سبق يتضح لنا جانب مهم آخر هو وحدة المصدر في الخلق وفي الهداية، فالانسان مخلوق بقدرة الله تعالى وعلمه وحكمته والله تعالى هو الذي أوحى إليه بمعطيات الحضارة الاسلامية ومن هنا يبدو التوافق الكبير بين الانسان باعتباره مخلوقاً مفطوراً على نحو خاص وبين الوحي الإلهي الذي يشكل لب الحضارة الإسلامية وفي هذا ضمان واضح لسلامة الأسس التي قامت عليها حضارة الإسلام ودليل أكيد على أنها الحضارة التي يمكن أن يتحقق للانسانية في ظلها أقصى ما تطمح إليه من سعادة في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة

٢ – الحضارة الإسلامية حضارة عالمية :

ومعنى ذلك أنها ليست حضارة محصورة في جنس واحد من بني الانسان أو في مجموعة أجناس تطبيقاً لقوله تعالى : (وما أرسلنك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ...)

والواقع التاريخي يزيد هذا المعنى تأكيداً فقد وسعت هذه الحضارة سكان الدنيا كلها رغم اختلاف عقائدهم وأنماط حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتعدد أجناسهم ولغاتهم ومن دخل منهم في دين الإسلام ومن بقي منهم في ظل الحضارة الإسلامية على دينه القديم

والدليل الواضح على عالمية الحضارة العربية الاسلامية أن كل البيئات والشعوب التي عاشت هذه الحضارة قد استطاعت أن تطور حياتها معنوياً ومادياً تطويراً واضحاً في ظلها وترتقي بجميع مكونات هذه الحياة رقياً كبيراً على حين أنها كانت تعاني من تخلف كبير في حياتها الروحية والعقلية والاجتماعية وأساليب العيش ، ومناطق ازدهار الحضارة الاسلامية في بلاد الشام وفي العراق وما وراءه وفي الشمال الافريقي وفي جنوب غربي أوروبا شواهد تاريخية لا تقبل النقض، لأن أبناء هذه البلاد أنفسهم كانوا حملة لواء هذه الحضارة بعد أن هداهم الله إلى الدخول في الإسلام فلم تكن مفروضة عليهم دون أن يتمثلوها في نفوسهم ويؤمنوا بها ويكونوا جزءاً من نسيجها.

٣ – الحضارة الاسلامية حضارة متطورة :–

لما كانت رسالة الاسلام هي خاتمة الرسالات السماوية ، وكان الاسلام خاتم الأديان ، ورسوله الكريم خاتم الرسل، فإن من الضروري أن تكون الحضارة المؤسسة على هذه الرسالة الخاتمة حضارة متطورة تستطيع أن تسع كل تطورات الحياة الانسانية بحيث تواجه ما يجد في حياة الانسان من تطورات ، ولا تقف جامدة أمام متغيرات الحياة البشرية في واقعها الفردي والاجتماعي ولا تقف عاجزة عن الفصل في القضايا المتجددة لهذا المجتمع البشري ، في بيئاته المختلفة ، المتنوعة في نشاطها الانساني . واعرافها وأنظمة حياتها . ولذلك أقامت أساس تشريعاتها وقوانينها وآدابها على أصلين ثابتين واضحين ، هما : الكتاب والسنة ، فنرى المبادىء والأصول الكلية جميعها تعود إليهما، والقرآن محفوظ بحفظ الله تعالى ، والسنة النبوية – كذلك – محفوظة بتوجيه الله تعالى المسلمين إلى حفظها والأخذ بها أمراً ونهياً . وقد دعا الله تعالى المسلمين إلى تدبر القرآن الكريم وفهمه وفقهه ، قال تعالى :

(ولقد يسرنا القرءان للذكر فهل من مدكر) . ومن ثم فإن علماء المسلمين في استجابتهم لدعوة الله تعالى قاموا بوضع الكثير من قواعد التشريع وأصوله ، ليواجهوا ما يجد في حياة الناس من وقائع وقضايا مما لم يرد

فيه نص قاطع من كتاب أو سنة ، كذلك اجتهد المسلمون في مواجهة متغيرات الحياة اجتهاداً واسعاً استجابة لدعوة الله لهم لأعمال العقل والنظر في الكون من حولهم .

وفي عهد الرسول الأعظم محمد ﷺ ينزل والوحي عليه اجتهد نفر من أصحابه في بعض شؤون الحياة ، فأقرهم الرسول ﷺ على اجتهادهم ، وكان في ذلك مصلحة للمسلمين . ففي غزوة بدر سنة ٢ هجرية أشار أحد أصحابه رضوان الله عليهم أن يغير الرسول موقع جيش المسلمين تبعاً لنظرة عسكرية، فوافق الرسول الكريم ﷺ وأنفذ تلك المشورة . وعلى هدى الرسول ﷺ سار أصحابه من بعده ، وتبعهم بإحسان علماء المسلمين وفقهاؤهم ، فلم تصادفهم واقعة ولم تجد أمامهم حادثة إلا وكان لهم فيها رأي واجتهاد وحل فخلفوا لنا تلك الثروة الكبيرة من العلوم والفنون كانت وما تزال معلماً بارزاً من معالم الحضارة الاسلامية ومصدراً مهماً من مصادر التطور الإيجابي في الحضارات التي جاءت على أثر الحضارة الإسلامية مثل الحضارة الأوروبية الحديثة

٤- الحضارة العربية الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان :

لما كانت الحضارة الاسلامية إنسانية وعالمية فإن مقتضى إنسانيتها وعالميتها أن تكون صالحة للتطبيق في كل البيئات الانسانية وفي أي بقعة من الارض وان تكون صالحة على مر الازمان وتطاولها باعتبارها رسالة مر السماء الخاتمة لكل الرسالات ويمكننا أن نتبين مدى هذه الصلاحية إذا نظرنا في الأسس العقائدية والتشريعية والأخلاقية التي جاء بها الاسلام والتي قامت عليها الحضارة الاسلامية وبهذا تتوافر لنا براهين موضوعية واضحة الدلالة على صلاحية هذه الحضارة لكل زمان ومكان بالاضافة إلى أهمية ما كتبه الباحثون المختصون حول دور هذه الحضارة وقدرتها على العطاء الانساني المتجدد إضافة إلى الدليل التاريخي الذي لا يمكن اغفاله في مثل هذا المجال .

ففي مجال الاعتقاد والتشريع والأخلاق نجد الحقائق التالية : أولها أن الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ولا معبود سواه ، وثانيها ، أن الله تعالى خالق هذا الكون ومبدعه على هذا النحو المعجز من حيث الدقة والنظام والتوازن والعلاقات وخلق الانسان . وثالثها ، أن الله سبحانه وتعالى سخر هذا الكون بما فيه للإنسان وزود هذا الانسان بالطاقات النفسية والعقلية والجسدية التي تؤهله لاستغلال ما فيه من خيرات ، ورابعها ، أن

الاسلام قد سن من التشريعات والقوانين ما يناسب فطرة الانسان وما تستقيم به حياته ، وجاءت تشريعاته قاطعة مفصلة في المجالات التي يعجز العقل البشري عن الاجتهاد النافع فيها . وخامسها ، أن الحضارة الإسلامية حضارة أخلاقية ، للقيم الفاضلة فيها المقام الأول ، والنشاط الانساني فيها محكوم بهذه القيم خاضع لها . وسادسها ، أن الإسلام قد ترك للعقل الإنساني حرية الابداع والابتكار في مجال استغلال خيرات هذا الكون ، ولم يقيد حرية السلوك الانساني في هذا المجال ، ولكنه وضع ضوابط انسانية تحكم هذا السلوك من الانحرافات المنافية للفطرة الإنسانية .

٥ – الحضارة العربية الاسلامية تؤمن بالفكر والعلم وسيلة للتقدم والرقي :

إن أولى آيات القرآن الكريم تحض على التعليم : (إقرأ باسم ربك الذي خلق ...) ولا يزال الإسلام يحض على العلم ويدعو إليه في آيات عزيزة كثيرة : (الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان) . فعلم البيان مقرون بخلق الإنسان . وفي آية أخرى يقول الكتاب العزيز : ((وقل رب زدني علماً))

ويمجد الإسلام العلماء ويفرق في الحكم بينهم وبين العامة فيقول الكتاب العزيز : ﴿ قُل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ذلك أنه كلما ازداد المرء علماً ازداد قرباً إلى الله وخشية له ، والقرآن يسجل ذلك في قوله تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) : فالعلماء اكثر الناس فهماً لآلاء الله ووعياً لآياته وتمثلاً لبديع قدرته : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) . ويخاطب القرآن الكريم العقل والقلب جميعاً ويدفع بهما إلى التأمل في كل ما خلق الله فإن العقل الراجح والقلب المتفتح إذا أمعن النظر في آيات الله كان أقرب إلى الإيمان وأدنى إلى التقوى : (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ . وفي نطاق دفع العقل الإنساني إلى التفكير يقول الله سبحانه وتعالى : (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) .

ويخاطب الإسلام العقل ويحضه على التفكير في خلق الكون والوصول – ما استطاع إلى شواطىء المعرفة ، ومراسي العلم ، فيقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المُسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون).

وإذا كانت الحضارة بنت العلم، والعلم هدف وضالة وغاية يسعى المسلم إليها جميعاً من واقع كتابه الذي آمن به ، وتعاليم رسوله الذي اهتدى به ، فليس ثمة شك في أن العلم يدفع إلى الخلق والابداع والتفكير والتدبر وكل من الخلق والإبداع والتفكر والتدبر ينبت حضارة وينشىء معرفة.

٦ – الحضارة العربية الاسلامية تمزج بين عالم المادة وعالم الروح:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من وامده بكل أسباب الحياة في جانبيها المادي والروحي فهيا للجسم البيئة الصالحة التي يعيش فيها على وجه الأرض وهيا سبحانه وتعالى للجانب الروحي الذي نزل إلى الإنسان على يد رسل الله تعالى . فالانسان في مفهوم الحضارة غذاءه السماء من وحي الإسلامية هو ذلك الكائن المادي والروحي، وأن حياته الصالحة المستقيمة هي تلك التي يراعي فيها هذا الجانب وذاك ، ويظهر ذلك جليا في تعاليم الاسلام وتشريعاته فإلى جانب الدعوة إلى الايمان والحرص على العبادة نجد الدعوة إلى الأخذ بالأسباب المادية للحياة ، ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى : (آلم ذلك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ، وقوله تعالى : (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)

وعلى هذا الأساس أقام المسلمون صرح الحضارة الاسلامية بمعطياتها الروحية والمادية ، وحققت للإنسانية أقصى درجات طموحها في تلك العصور التي كان فيها العالم من حولها يعيش خواء روحياً واخلاقياً وتخلفاً واضحاً . صناعة الحياة ، مقصراً عن بلوغ الغايات الانسانية السامية التي بلغتها الحضارة الاسلامية في فترة قصيرة من عمر الزمن . فكل نشاط مادي في ظل الحضارة الاسلامية له غاية أخلاقية ، وفيه جانب روحي فالرسول محمد ﷺ يقول : (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة إلا كانت له به صدقة) . ويتمثل الجمع بين الروحية المعتدلة والمادية المقتصدة في الآية الكريمة من كتاب الاسلام : (وابتغ في ما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ...)

الفصل الثاني

النظام السياسي

أولا : الخلافة

اختلف المسلمون عندما علموا بوفاة الرسول الأعظم محمد(صلى الله عليه و سلم) ، فقد هزهم موته هزاً عنيفاً، وذهل بعضهم حتى خرج عن حد التعقل ، فقد قام عمر بن الخطاب (رض) يأبى أن يصدق الخبر، ويهده من يقول إن الرسول قد مات والتف حوله الناس لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً أو يفكروا في شيء ولم يحتفظ برباطة جأشه إلا أبو بكر الصديق (رض) الذي واجه الموقف بشجاعة، فوقف يخطب الناس ويقول :(أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، ثم تلا عليهم قول الله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل افإين مات أو قتل انقلبتم على أعقبكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجري الله الشكرين). وبهذا سكن الناس وأخذ كبار المهاجرين يفكرون فيما يكون عليه الأمر بعد وفاة الرسول محمد ﷺ .

ما كاد الأنصار يسمعون بوفاة محمد ﷺ حتى سارعوا إلى الاجتماع في سقيفة بني ساعدة واتجهوا بتفكيرهم إلى سعد بن عبادة ، زعيم الخزرج الذي كان مريضاً فأخرجوه إلى الاجتماع، فخطبهم سعد مبيناً فضلهم و اثرهم في قيام الدولة ، ودعاهم إلى الاستمساك بمقهم في تولي الأمر ، والانفراد به دون الناس.

وبلغ خبر اجتماع الانصار إلى المهاجرين في المسجد، فسارع إلى السقيفة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وتبعهم المهاجرون ودارت مناقشات بين المهاجرين والأنصار فيمن هو أحق بخلافة النبي محمد ﷺ في رياسة الدولة ، وقد أنهى المناقشة أبو بكر الصديق بخطاب ألقاه بين فيه مركز المهاجرين وأحقيتهم ، ثم ذكر الأنصار فعرف حقهم ولم ينكر فضلهم، وأوضح أن العرب لا تقبل الخضوع إلا لمن هو من قريش ثم خرج من كل ذلك بحكم سليم ، وهو أن الأمراء يجب أن يكونوا من المهاجرين، على ألا ينفردوا بالأمر دون الأنصار ، بل الأنصار هم وزراؤهم وأهل المشورة فيهم فاستراح الجميع لرأيه ، وانتهز الفرصة عمر ابن الخطاب فأعلن ترشيح أبي بكر لفضائله، فهو أكبر المهاجرين سناً ، وهو أقدم الناس إسلاماً ، وأكثرهم نصحية في سبيل الدعوة ، ثم هو رفيق النبي (صلى الله عليه و سلم) في الهجرة ، وقد جعله النبي يصلي بالناس بدله حين كان مريضاً ثم بايع أبا بكر وبايعه المهاجرون ، وبايعه الأوس ، فبايعته الخزرج وبقية المسلمين في المدينة، وبعد دفن جثمان الرسول محمد ﷺ بايع المسلمون في المسجد أبا بكر بيعة عامة ، وبذلك تم انتخابه خليفة ومنذ ذلك الحين قام نظام الخلافة الإسلامية.

وما كانت البيعة تتم لأبي بكر الصديق (رض)، حتى وقف في المسجد والقى خطاباً ، كان أول حديث له في خلافته ، أوضح فيه مفهوم الحكومة في ظل الإسلام قال: (وأما بعد أيها الناس ، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسات فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة الضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه (أرد إليه حقه) إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)..

بهذا الخطاب رسم أبو بكر سياسة الدولة الاسلامية ، وحدد العلاقة بين الحاكم والمحكومين فهو يقرر تقريراً واضحاً :أن الحاكم ملتزم بنصوص القانون ، فإذا خالفها كان للرعية الا تطيعه والحكم شورى يتعاون فيه الحاكم والمحكوم ، فيعان الحاكم إن أحسن، ويقوم بالتوجيه والنصيحة إن حاد عن الطريق السليم، كما يقرر حق المساواة كاملاً بين الناس في نظر الحاكم كما هو في نظر القانون، فالضعيف قوي بقوة القانون حتى يرد إليه حقه ، والقوي ضعيف بسطوة القانون حتى يؤخذ الحق منه وسياسة الدولة مبنية على القوة العادلة وسبيلها الجهاد في سبيل الله ، أي الدفاع عن الحق في الداخل والخارج وما تخلى قوم عن نصرة الحق إلا ذلوا وبناء الأمة سليم ما دام المجتمع سليماً، فإذا عمت الفاحشة وانتشر الفساد ، أصاب الدولة الضعف والانحطاط بفساد المجتمع.

وحين أحسن أبو بكر الصديق (رض) بدنو أجله استخلف على المسلمين عمر بن الخطاب (رض) ، وقد جاء هذا العقد متمشياً مع القواعد والأصول الاسلامية المتبعة في هذا الشأن. فقد رأى – قبل وفاته – بحكم تجربته وخبرته وحرصه الشديد على مصالح المسلمين أن يجنبهم الفرقة والإنشقاق كما حدث في السقيفة لا سيما وأن الظرف قد تغير كثيراً ، حيث بدأت جيوش الدولة تناح في أملاك أكاسرة الفرس، وأباطرة الروم، وتقف نداً قوياً ، بل ومنافساً خطيراً لاصحاب أعظم قوتين معروفتين في ذلك الوقت.

من ناحية أخرى رأى أن يخلفه في هذا المنصب شخص كفء قادر على تسيير دفة الحكم بثقة وعزيمة وإصرار على ما بداه الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وخليفته الأول، لذلك كله وقع اختياره على عمر بن الخطاب لينهض بالمهمة خاصة وأن أبا بكر كان على معرفة ودراية كافية بكل ما يتمتع به مرشحه من خصال كريمة وصفات طيبة لطول صحبتهما منذ أيام الرسول. فاستشار فيه مجموعة من كبار الصحابة

كعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبد الله وعثمان بن عفان ، فاستصوبوا الرأي وامتدحوا عمر حتى روي أن عثمان قال عنه (سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله) .. بعد ذلك لقي الخليفة المسلمين وخطبهم قائلاً : أترضون بمن استخلفت عليكم ؟ فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، إني قد استخلفت عليكم عمراً ، فاسمعوا له واطيعوا ، فإني والله ما الوت من جهة الرأي، فأجابوه قائلين: سمعنا وأطعنا بهذه الصورة تم اختيار عمر وترشيحه للخلافة ومبايعته البيعتين : الخاصة والعامة. لما آل الأمر إلى عمر بن الخطاب قام بأعباء المهمة على أفضل وجه وأكمله، فسار على الدرب الذي خطه الرسول الكريم، وأتبعه أبو بكر . فكان ثاني الراشدين دائم الاهتمام بأمور المسلمين والتعرف على أحوالهم كما يظهر في قوله (رض) والذي بعث محمداً بالحق، لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه ، ، كما كان في نفس الوقت يأمر عماله بأتباع هذه السياسة المسؤولة والحكيمة مع الرعية ، فشدد في اختيارهم ومحاسبتهم ؛ حتى كان يقول : لا تصلح الوالي إلا باربع خصال إن نقصت واحدة لم يصلح له أمر ولا نهي: قوة على جمع المال من أبواب حله ، ووضعه في حقه، وشدة لاجبروت فيها ، ولين لا وهن فيه .

وحين أحسن عمر بالموت، ترك الأمر شورى في ستة من كبار الصحابة ، هم من الذين مات النبي وهو عنهم راض وبشرهم بالجنة ، وهم الذين كان الناس ينظرون إليهم، ويرجعون في أمورهم لهم ، وهم علي ابن أبي طالب، وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وقال لهم: (اني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وقد قبض رسول الله وهو عنكم راضٍ ، وإني لا اخاف الناس عليكم إن استقمتم. ولكني أخافكم فيما بينكم، فيختلف الناس) وطلب إليهم أن يتشاوروا ويختاروا من بينهم الخليفة، وبلغ من شدة خوفه من الفتنة وانفراط عقد امة الإسلام إذا تفرقت كلمات هؤلاء الستة أنه أمر صهيباً الرومي بعد أن منحهم ثلاثة أيام فقط للمشاورة والإختيار أن يشيح بالسيف رأس من يخرج عن رأي الأغلبية.

ودارت بين المجتمعين مناقشات ومحاورات أفاضت في تفاصيلها المصادر التاريخية المختلفة التي اتفقت جميعها على اختيار أهل الشورى لعثمان بن عفان ومبايعته للخلافة، فكانت بمثابة (البيعة الخاصة)، بعد ذلك ذهب الخليفة المنتخب صحبة أهل الشورى إلى المسجد النبوي حيث اجتمع إليه المسلمون، ومن وفد من أهل الأمصار ، فصلى بهم ، ثم صعد المنبر، فخطب الناس ووعظهم فأقبلوا يبايعونه (البيعة العامة)..

كذلك قام عقد الخلافة لعلي بن أبي طالب على نفس القواعد والأصول السابقة ، على الرغم من استمرار اشتعال نار الفتنة التي أودت بحياة سلفه (رض) ، فبعد مقتل عثمان اجتمع الثوار إلى أهل المدينة وقالوا لهم :(أنتم أهل الشورى الذين تعقدون الامامة ، وحكمكم جائز على الأمة فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع).

فاتفقت كلمة أهل المدينة على اختيار علي بن أبي طالب(كرم الله وجهه) فاجتمعوا إليه وطلبوا منه قبول الخلافة ووضع حد لهذه الأحداث التي نزلت بدولة الإسلام، فوافقهم قائلاً : (قد اجبتكم واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدهم ، الا اني اسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه) .. ولكنهم تمسكوا به فكانت بمثابة البيعة الخاصة لأخر الخلفاء الراشدين.

فلما أصبح اجتمع علي بن أبي طالب إلى الناس بالمسجد وخطبهم قائلا: (أيها الناس. إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم . وقد افترقنا بالأمس على أمر وكنت كارهاً لأمركم فابيتم إلا أن أكون عليكم . الا وإنه ليس لي دونكم إلا مفاتيح ما لكم معي وليس لي أخذ درهماً دونكم .. فإن شئتم فعدت لكم وإلا فلا أجد على أحد، فقالوا : نحن على ما فارقناك عليه بالأمس فقال : (اللهم اشهد) ثم قام العامة فبايعوا ، فكانت (البيعة العامة).

هكذا أوضحت أحداث اختيار علي بن أبي طالب للخلافة وعقد الامامة له، من أتباع قواعد وأصول الشورى في الاسلام، كما أجلت كلمات الخليفة الراشد الرابع في النص السابق حق الأمة كلها ممثلة في أهل العقد والحل والمسلمين جميعاً من ورائهم في اختيار الخليفة ومبايعته وكذلك حقها في مباشرة الرقابة. بعد مقتل آخر الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب حدث تغير واضح في (الشورى) واختيار الخليفة من جهة ومجموعة ، (اهل الحل والعقد) وشكلها من جهة أخرى، وإن ظلت مراسم البيعتين الخاصة والعامة ، باعتبارهما التطبيق العملي لشرعية عقد الخلافة دون تبديل فقدسن والي الشام ومؤسس الدولة الأموية

(٤١ – ١٣٢ هـ) معاوية بن أبي سفيان الذي آلت إليه أمور المسلمين من بعد علي ابن أبي طالب ، مبدأ (الوراثة) عندما عهد بالخلافة من بعده لابنه يزيد وطلب الى الناس أن يبايعوه بولاية العهد ، وهذه أول مرة ينتقل فيها اختيار الخلفاء، من مبدأ الشورى والانتخاب ، إلى مبدأ الوراثة.

ونظراً لما كانت الأمة الاسلامية تمر به في ذلك العصر من موجة انشغال بالفتوحات الواسعة في كل ناحية ، فقد سلم الناس للأمويين ، فتوالوا على الفتوحات واحداً بعد الآخر، وشيئاً فشيئاً أصبحت الخلافة وكأنها ملكية يحصر الحق فيها على أفراد بيت واحد .

وعندما قامت الدولة العباسية دخلت أمة الاسلام طوراً جديداً وعصراً جديداً ولم يجد المسلمون غضاضة في أن يقتبسوا عن الحضارات التي احتكوا بها ويأخذوا منها وعنها ما لا يتعارض مع أحكام شريعتهم. وهكذا فقدت نظم الحكم والادارة في الدولة الاسلامية كثيراً من عناصر بساطتها الأولى ، وجنحت نحو التعقيد وزيادة المراسيم مما تناسب مع الوضع الجديد في الدولة .

ففيما يتعلق بالخلافة ، أقام العباسيون حقهم في الحكم بوصفهم وارثي بيت الرسول عليه الصلاة والسلام. ويقال أن العباسين أخذوا عن الفرس نظرية الحق الالهي أو المقدس للحكام، بمعنى أن الحاكم يتولى تفويض مقدس من الله ، وكل حاكم لا ينتسب إلى البيت المالك ويتولى الملك يعتبر مغتصباً للحكم. وهكذا أصبح الخلفاء العباسيون يحكمون بتفويض من الله لا من الشعب ، مما جعل خليفة مثل أبي جعفر المنصور يقول :(إنما أنا سلطان الله في أرضه) . ولا يخفى علينا أن هذا الاتجاه الجديد يخالف ما كان عليه وضع الخلافة في عهد الخلفاء الراشدين بل والأمويين . فأبو بكر الصديق ينادي في الناس بعد توليته الخلافة قائلاً : (فإن أحسنت فاعينوني ، وإن أسأت فقوموني) ... والخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز يقول : (لست بخير من أحدكم ولكنني أثقلكم حملا .وبعبارة أخرى فإن العباسيين جعلوا من الخلافة نظاماً ثيوقراطياً أي يسيطر عليه زعماء الدين فسلطة الخليفة العباسي السياسية مستمدة من مكانته الدينية ومن هذا المنطلق حرصوا على أن يظهروا الفارق بين خلافتهم وخلافة بني أمية ، فالأمويون لا ينتمون إلى البيت النبوي ، ولذا كانت حكومتهم حكومة دنيوية بحته.

وترتب على هذا وذاك من الاراء أن أصبح الخليفة العباسي مطلق النفوذ ، مستبداً ، ، بيده أمور الدين والدنيا وهو المصدر الأول والأخير للسلطة وصاحب الأمر والنهي في الدولة وما دام الخليفة العباسي قد أصبح ظل الله في أرضه فإنه كان عليه أن يحيط شخصه بالقداسة والرهبة فاحتجب عن رعيته ، واتخذ السياف، وأحيط بلاطه بقواعد من البروتوكول أشبه بتلك التي سادت بلاط آل ساسان، بحيث ينحني الداخل على الخليفة أمامه. ويقبل الأرض بين يديه، وإذا قرب منه قبل طرف رداءه ، وهذا شرف كبير لا يناله إلا

المقربون. ولكي يقوي الخليفة العباسي هذه الصفة الدينية ، صار يرتدي بردة النبي عليه الصلاة والسلام عند توليه الخلافة أو حضوره الحفلات الدينية ، ليبدو في صورة خليفة النبي في حكم المسلمين ، كذلك تلقب الخلفاء العباسيون بلقب (إمام) تأكيداً لصفتهم الدينية، ومع ذلك فإن تحجبهم عن الناس جعلهم لا يؤمون الناس في الصلاة ولا يقيمون خطبة الجمعة مثلما كان يفعل الخلفاء الراشدون.

وقد ظل نظام الحكم في الدولة العباسية استبدادياً حتى عهد الرشيد ثم أخذ نفوذ الخليفة يتضاءل بعد ذلك .

ذلك أن الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني اتصفت بالضعف والوهن نتيجة لازدياد نفوذ الأتراك، حتى أصبح خلفاء ذلك العصر مسلوبي السلطة محرومي النفوذ ، بل لقد غدا معظمهم العوبة في أيدي قادة الأتراك ، يولون من شاءوا الخلافة ويعزلون من يشاؤون وبلغ من تفاقم نفوذ الأتراك في ذلك العصر أن خليفة مثل المعتز كان لا يلتذ بالنوم ولا يخلع سلاحه لا في الليل ولا في النهار خوفاً من الأتراك، وخاصة بغا الصغير. ولم ير بعض الخلفاء العباسين بداً من مصانعه الأتراك وتملق قادتهم ، حتى استنجد الخليفة المستكفي ببني بويه، فما كان من معز الدولة أحمد بن بويه إلا أن أتى إلى بغداد، ولك بدأ بالحجر على الخليفة وسمل عينيه وهكذا ازدادت الخلافة العباسية ضعفاً في عهد بني بويه منذ القرن الرابع للهجرة ، ولجأ بنو بويه إلى تزويج بناتهم من بعض الخلفاء حتى تتحول الخلافة بذلك إلى أحفادهم، وأسرف الخلفاء في تملق أمراء بني بويه وأضفاء الألقاب الضخمة عليهم مثل: تاج الملة وضياء الملك وغياث الأمة ،

ولما دخلت الخلافة العباسية تحت نفوذ السلاجقة ، حل سيد محل سيد آخر، وصار سلطان السلاجقة هو المتحكم في الخلافة. على اننا نلاحظ أن السلاجقة لم يتخذوا من بغداد مركزاً لهم وإنما أقاموا في إيران واكتفوا بأن ينوب عنهم في مركز الخلافة أحد موظفيهم للاشراف على شؤون العراق وترتيب أموره. ولعل هذا مما مكن الخلافة العباسية من أن ترفع رأسها في أواخر العصر السلجوقي ويحاول الخليفة استرداد مكانته .

أما ولاية العهد فقد أصبحت وراثية في عهد الأمويين والعباسيين بعد أن ظلت على أساس الشورى أيام الخلفاء الراشدين. ومعنى هذا أن الخليفة العباسي كان يعين ولي عهده ويأخذ له البيعة في حياته من وجوه الناس والأعيان وكبار القواد ، وعن طريق الولاة في الأقاليم. وأحياناً كان يلجأ الخليفة إلى تولية العهد أكثر

من واحد من أبنائه ويرتب لهم تتابع توليهم الخلافة ، مما أثار كثيراً من الفرقة بين الأخوة ، ذلك أنه ما كاد يتم الأمر لأحد المتنافسين حتى كان يعمل على التنكيل ببقية المتنافسين وأنصارهم.

وقع عليه اسم الوزير، وشهر بالوزارة في دولة بني العباس ، ولم يكن قبله من يعرف بهذا التعث ال في دولة بني أمية وال في غيرها من الدول .》 ولكن سلطات الوزير لم تكن قد تحدث بعد بصورة واضحة في وزارة سلمة ولكنها ستتدرج في النمو وستطيح تدريجياً لكل شكلها النهائي في أواخر العصر العباسي ألول ، فكانت وظيفة الوزراء ألول العباسيين كوظيفة الكتاب عند ألمويين، وكان خلفاء بني العباس يقيمون على الوزارة من يجيد الكتابة . وبعد قتل أبي سلمة لم يتلقب أحد ممن جاء بعده بلقب الوزارة تطيراً مما حدث له ، فخالد بن برمك على الرغم من علو منزلته عند الخلفاء العباسيين وإشرافه على ديواني الجند ،والمال، كان يعمل عمل الوزراء واليسمى وزيراً . كما أن أبا أيوب المورياني الذي قلده المنصور الدواوين وغلب عليه غلبة شديدة ، لم يطلق على نفسه لقب الوزير بل (كاتب الخليفة (..وظلت الوزارة في خالفة المنصور اسماً على غير مسمى ، وذلك االستبداد وبطشه وكان المنصور يشرف على جميع أمور الدولة بنفسه ، مما ان إلى ينهي إليه كل ما يعرض له من أمور الدولة قبل البت فيها ولهذا اتسمت إلدارة العباسية في العصر العباسي ألول بالمركزية الشديدة فكان الخليفة هو مركز السلطة وكان اشرافه شامال على الضرائب وكافة النواحي إلدارية والحربية. كذلك كان الوزير مجردا من كل سلطة وعلى جانب كبير من الحذر لوقوعه تحت رقابة الخليفة الدقيقة . حتى أنه لم ينج أحد من وزراء السفاح والمنصور من القتل إال خالد بن برمك .ولما استقرت ألمور في خالفة المهدي واستنام إلى بعض الدعة ووكل كثيراً . ألمور للوزراء يدبروها حسبما يرون، عظم لذلك مركز الوزارة واستقرت قواعدها وربما دعاه إلى ذلك كفاءة وزيره أبي عبيد هللا معاوية بن يسار الذي كان كاتباً الفة ، وهو الذي جمع له حاصل المملكة ورتب الديوان وقرر القواعد وكان للمهدي ونائباً عنه قبل أن يتولى الخ كاتب الدنيا وأوحد الناس . وفي عهد الخليفة هارون الرشيد بلغت الوزارة حداً كبيراً من القوة ولم تكن قاصرة على العرب وحدهم ، وبلغ الوزير حداً كبيراً من النفوذ حين استوزر الرشيد) يحيى البرمكي(، وكان يخاطبه باألبوة فقال له : و يا أبت أنت اجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبرك ، وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك ، فاحكم بما ترى واستعمل من شئت واعزل من رأيت واسقط من رايت ، فإني غير ناظر معك في شيء 《 ، فكان يحيى وأبناء الفضل وجعفر يجلسون للناس جلوساً عاماً في كل يوم الى انتصاف النهار امور الناس وحوائجهم ال يُحجب احد وال يلقي لهم ستر . لكن البرامكة أساءوا التصرف

فحصروا الوظائف في أيدي أعوانهم وأنصارهم، وسيطروا على خزائن الاموال، وخافهم الرشيد التساع جاههم وتأثيرهم في عامة الناس، فمن هنا كانت نكبتهم الشهيرة . وفي عصر الخليفة المأمون أطلقت يد الوزير الفضل بن سهل في ألمور السياسية ، فقد فوضه المأمون بقيادة الحرب ورئاسة الشؤون إلدارية ، وسماء لعب للوزير إسماً مبتكرا » ذا الرياستين « ، وكان الفضل بن سهل فارسياً ، ثمً جديداً نكل به الخليفة عندما ألفاه خطراً عليه .وحين تسلط ألتراك ضعف مركز الوزراء ، وانتقلت السلطات الفعلية إلى الجيش ، ثم بطل منصب الوزارة حين فتح البويهيون بغداد ، وكان كاتب ألمير البويهي يقوم مقام الوزير ، وكان ذا صفة عسكرية وحربية ، وكان من واجباته كذلك وضع الخطط ، وأوشكت أن تصبح وراثية كالخالفة في بعض العائالت ذات النفوذ أو المقدرة الكتابية ، وشاع للوزراء ألقاب فكان بعضهم يدعى » شرف الملك «، وبعضهم) سعد الدولة(، وهكذا ...من كل ما تقدم يتضح لنا أن سلطات كافة الوزراء لم تكن واحدة ، فبعضهم تمتع بسلطات إدارية واسعة وبعضهم لم يعط إال سلطات محدودة ، حتى أن الماوردي وهو من أعظم من بحث النظم االدارية العباسية ، صنف الوزارة صنفين رئيسين ، أولهما وزارة التفويض التي يمارس فيها الوزير كان سلطات الخليفة في االدارة ، ما عدا حق تعيين ولي العهد أو عزل الخليفة ومن أشهر وزراء التفويض في العصر العباسي ألول ال برمك وال سهل وآل الربيع والثاني وزارة التنفيذ التي تقتصر سلطته فيها على تنفيذ أوامر الخليفة . ومن حيث وقراراته. ولكن حتى في هذه الحالة كان يتمتع بسلطات واسعة العموم فإن مدى سلطات الوزير تتوقف على شخصية الخليفة ومقدار ما للوزير من حقوق .وكان يشترط في الوزير ألهمية منصبه بإعتباره وسيطاً بين ا أن يكون في طبعه جانب يناسب طباع الملوك ، وجانب يناسب طباع العوام عماد حتى يتمكن من معاملة كل من الفريقين بما يعينه على االحتفاظ عند كل منها بالقبول والمحبة والرضا، وأن يكون أميناً صادقاً شجاعاً ، وأن تتوفر فيه الكفاية والفطنة والتيقظ والدهاء والحزم باالضافة إلى صفات أخرى ال غناء عنها كالفضل والكرم ، ليصطنع ألنصار ، والرفق واالناة والتثبت في ألمور والحلم والوقار ونفاذ القول . وفي ضوء هذه الشروط كان الوزراء يختارون بدقة وخاصة في العصر العباسي ألول ، فقد روى عن الخليفة المأمون لخصال الخير ، ذا عفة في خالئقه ، واستقامة في طرائقه ، قد هذبته أنه قال : » إني التمست ألموري رجالً جامعاً آلداب، وأحكمته التجارب ، إن اؤتمن على ألسرار قام بها ، وإن قلد مهمات نهض فيها ، يسكته الحلم، وينطقه العلم ، وتكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة ، له صولة ألمراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، إن أحسن إليه ،شكر، وإن ابتلى باالساءة صبر ، ال

يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يسترق قلوب الرجال بخالبة لسانه وحسن بيانه . ومع ذلك ففي كثير من االحوال كانت تتدخل بعض العوامل في إختياره ، فكان أحياناً يقلد الوزارة مكافأة له على جهد بذله أو عون قدمه أن يراعى في إختيارهم ال الجمع بين الصفات السابقة وال ما قدموه للدولة أو الشخص الخليفة على أنه لم يعد ضرورياً للخلفاء من أفضال ، عندما أصيبت الخالفة العباسية باالنحالل والضعف، وأصبح ألغراض أخرى من اختيار الوزراء وفقاً أبرزها الرشوة التي أصبحت الوسيلة العملية للترشيح لهذا المنصب الكبير . وكان من مهام الوزراء في العصر العباسي االشراف عن دواوين الدولة ، والشؤون المالية وشؤون الترسيل والمكاتبات ، والشؤون الحربية ، ولهذا أصبح الوزير يجمع في عمله بين السلطتين الدينية والحربية ، أو بمعنى آخر بين خطتي السيف والقلم، كذلك كان من مهامه النظر في قضايا الناس ومطالبهم وتعيين الوالة

ثانيا: الكتابة :

ظهرت وظيفة الكاتب في الدولة العربية منذ أيام الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم)في المدينة ، فقد ذكر من جملة كتابه الصحابة : علي بن أبي طالب عفان وزيد بن ثابت ، كتبوا له سور القرآن الكريم ، والكتب التي خاطب بها ملوك عصره يدعوهم للإسلام. وباتساع الدولة العربية في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب (رض) ، وتعقد ادارتها ظهرت الحاجة الماسة إلى وجود الكتاب في الأقاليم، خاصة بعد أن دونت الدواوين ، وعين كاتب لكل ولاية يكتب في ديوانها.

وكان من الطبيعي بعد أن اتسعت الدولة العربية الاسلامية بفتوح الشام والعراق ومصر وفارس أن يحتك العرب بشعوب متحضرة لها أنظمة وادارات متفوقة ولم يكن من الغريب أن يستفيد العرب من هذه الأنظمة خاصة فيما يتعلق بالدواوين عندما تدفقت عليهم الأموال وأصبحوا في مسيس الحاجة الى هذه النظم الادارية ، فأخذوا عن الفرس نظام الدواوين ، ثم ظهر اختصاص الوزير في العصر الأموي عندما تحولت الخلافة إلى ملك وراثي واحتاج الخلفاء إلى من يتولى التدبير وابداء الرأي في الشؤون العامة والخاصة ، فاصطنعوا أولي الرأي وقربوهم إليهم، وأصبح هؤلاء يقومون بعمل الوزراء دون أن يتلقبوا بهذا اللقب ، وإنما أطلق عليهم لفظ « كاتب ، وتعددت اختصاصات هؤلاء الكتاب بتعدد المهام التي اسندت إليهم ، ومع ذلك فلم يتلقب

بعضهم بلقب الوزراء ، ومنهم امثال زياد بن أبيه في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وروح بن زنباغ الجذامي الذي كانت له مهام الوزير في عهد عبد الملك بن مروان ، وعبد الحميد بن يحيى بن سعيد كاتب الخليفة مروان بن محمد الذي قام مقام الوزير في الدولة. ولا ينبغي أن نفهم هذا اللقب الذي اتخذه هؤلاء بنفس المعنى الذي عرف عند وزراء العصر العباسي فقد كانوا مجرد كتاب كبار قربهم الخلفاء إليهم واعتمدوا عليهم في تصريف الأمور وفي المشورة والرأي ولذلك لا يجوز من قبيل التشبه بالوزراء أن يطلق عليهم لقب وزراء إذ أن وظيفة الوزير بالمفهوم الذي تحدد في العصر العباسي والعصور الاسلامية التالية لم تكن من الوظائف المعروفة في الدولة الأموية .

ويمثل العصر العباسي قمة التطور في ازدهار فن الكتابة ، وضبط أصولها ، وتعدد كتابها، الذين اصبح لهم حظ وافر من السلطة والجاه لدى الخلفاء العباسيين نظراً لخبرتهم ودرايتهم في الأمور السلطانية .

وعندما ظهر منصب الوزير بشكله الرسمي في العصر العباسي الأول كان لا بد من وجود فئة من الكتاب يقومون بمساعدة الوزير في ادارة شؤون الخلافة ، خاصة بعد تعقد اختصاصاته وتعدد واجباته . فظهر عدد من الكتاب ، كان منهم كتاب الرسائل الذين اطلق عليهم تراجمة الملوك لأهميتهم وكانت وظيفتهم (اذاعة المراسيم والبراءات وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم الخلافة بعد اعتمادها من الخليفة ، ومراجعة الرسائل السياسية ووضعها في الصيغة النهائية وختمها بخاتمه . كذلك كان يتولى مكاتبة الأمراء والملوك عن الخليفة ، وكان الوزير يتولى ذلك أحياناً ، وكثيراً ما كان يتولى الخليفة ذلك بنفسه ، فقد أثر عن الخليفة أبو جعفر المنصور أنه لما جاءه كتاب محمد بن عبدالله بن الحسن العلوي هم كاتبه أن يجيبه ، فقال المنصور : لا بل أنا أجيبه ، إذا تقارعنا على الاحساب فدعني واياه) . أما كاتب الخراج فمهمته الاشراف على تنظيم الخراج وجبايته والنظر في مشاكله باعتباره العمود الفقري لمالية الدولة ، وكانت مهمة كاتب الجند تقييد اسماء الأجناد وصفاتهم وطبقاتهم واعطياتهم ونفقات الأسلحة وغير ذلك

أما مهمة كاتب الشرطة فتنحصر في كتابة التقارير في بعض حالات العقود والديات أما كاتب القاضي فوظيفته كتابة الشروط والأحكام .

ونظراً لأهمية منصب الكاتب في الدولة العباسية ، فإن الخلفاء كانوا يختارون كتابهم من رجال الأدب ومن أعرق الأسر ، ممن عرفوا بسعة العلم ورصانة الأسلوب ، لحرصهم على أن تدون الرسائل بأسلوب شائق بليغ في ذلك يقول ابن خلدون : (أعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخيروا من ارفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم ، وزيادة العلم وعارضة البلاغة فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد احكامهم ، من أمثال ذلك ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل، مع ما يضطر إليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة واسرارها) .

وقد زخر العصر العباسي الأول بعدد من الكتاب ، الذين ذاع صيتهم ، فقد اشتهر يحيى بن خالد البرمكي وابنه جعفر ، والفضل بن الربيع في عهد هارون الرشيد ، والفضل والحسن ابنا سهل وأحمد بن يوسف في عهد المأمون ، وعبد الملك الزيات والحسن بن وهب واحمد بن المدبر في المعتصم والواثق ، ومن الجدير بالذكر أن معظم هؤلاء الكتاب قد تولوا منصب الوزير فيما بعد ، لأن الكاتب كان يرشح عادة لهذا المنصب في الدولة العباسية الجمعه الصفات المطلوبة في الوزير .

وكان لهؤلاء الكتاب أثر كبير في نشر نوع من الثقافة الخاصة ، ذلك أن كانت أوسع من ثقافة غيرهم، وكانت معارفهم ودائرة اطلاعهم . ثقافتهم واسعة شاملة لأنهم – بحكم منصبهم – مضطرون أن يعرفوا أحوال الناس الاجتماعية وتقاليدهم ، وأن يعرفوا من اللغة والأدب وعلوم الدين والفلسفة والجغرافيا والتاريخ طرفاً لأن كثير من مواقفهم يحتاج إلى ذلك .

ويبدو أن كثير من الوزراء كانوا يشجعون على اتخاذ مثل هؤلاء الكتاب ، فذكر عن يحيى بن خالد أنه أوصى أولاده بقوله : «لا بد لكم من كتاب وعمال وأعوان فاستعينوا بالاشراف واياكم وسفلة الناس ، فإن النعمة على الإشراف أبقى وهي بهم أكثر . احسن والمعروف عندهم أشهر والشكر منهم وحسن البلاغ فكان جعفر البرمكي و كاتبا بليغاً وكان إذا وقع ولقد امتاز كتاب ذلك العصر بحثن الكتابة وغزارة العلم وسعة الاطلاع وتدورست بلاغاته . وقيل عن اسماعيل بن صبيح : كاتب الرشيد بأنه – لم ير أطيش من قلمه ولا أثبت من حمله .

وقد وصفوا بأنهم «نظام الأمور وكمال الملك وبهاء السلطان وهم الألسنة الناطقة عن الملوك وخزان أموالهم وأمناؤهم على رعيتهم وبلادهم ولذلك كان كتاب الدولة مثلاً يحتذيه الناس في الزي والوقار – وبلغت عظمتهم ومكانتهم في المجتمع إلى حد أن الناس أخذوا يقلدونهم ويتشبهون بهم وليس أدل على ذلك قول رجل لبنيه « يا بني تزيوا بزي الكتاب فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة)

ويقال أن المهدي أول خليفة عباسي جعل للكتاب يوم رسمية يستريحون فيه وينظرون في أمورهم ولا يحضرون الدواوين . ويبدو أن هذا التقليد ظل متبعاً حتى خلافة المعتصم الذي ازال الرسم بتأثير من وزيره الفضل بن مروان ، فأخذ الكتاب يحضرون يوم الخميس .

وقد حرص الخلفاء والوزراء على أن تدون رسائلهم وكتبهم بأسلوب شائق ومختصر، فكان الخليفة المنصور يقول لكتابه « اكتب وقارب بين الحروف وفرج بين السطور واجمع خطك) . وذكر عن يحيى بن خالد البرمكي بأنه قال لكتابه (إن استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات اختصاراً فافعلوا . كذلك نرى الفضل بن سهل يأمر كتابه أيضاً بأن « يقاربوا بين الحرف لئلا يسافر البصر سفراً بعيداً في حروف قليلة .

في وترتب على ارتفاع الكتاب في الدولة العباسية إن ظهر نوع من التنافس بين الوزراء والكتاب تحول إلى عداء ، وكان هذا التنافس سبباً تنكيل الخلفاء ببعض وزرائهم ونكبهم . فإذا كان الكاتب يحظى بمكانة طيبة عند الخليفة ، سعى الوزير إلى النيل منه عند الخليفة أو يحدث العكس ، فذكر أن المنصور قبض على وزيره أبي أيوب المورياني وقتله نتيجة السعاية كاتبه ابان بن صدقة . كما أن ابن المقفع كاتب المنصور راح ضحية دسائس أبي أيوب المورياني وزير الخليفة ، وذكر أن سبب ذلك هو و أن أبا جعفر قال يوماً لأبي أيوب وقد أنكر عليه شيئاً : كأنك تحسب أني لا أعرف موضع اكتب الخلق وهو ابن المقفع ،مولاي ، فلم يزل أبو أيوب خائفاً له يسعى ويدب في أمره حتى قتله

وكانت الحكومة العباسية تدفع لكتابها رواتب مقررة في كل شهر، قدرت في زمن الخليفة أبي جعفر بثلثمائة درهم) . وبقيت كذلك حتى خلافة المأمون عندما أمر بزيادة ارزاقهم فقد أورد التنوخي بأنه كان و رات كاتب في ديوان الجند زمن المأمون ثلاثة الاف درهم .

ولكن يبدو أن الكتاب كانوا يجمعون أموالاً ضخمة عن طريق الاختلاس والرشاوي ، نظراً لمكانتهم عند الخلفاء وتوليهم رئاسة بعض الدواوين الخاصة بالمالية ، ولا سيما ديوان الخراج منها . فقد ذكر أنه في سنة ٢٢٩ هـ حبس الواثق الكتاب والزمهم أموالا عظيمة وأخذ من أحمد بن اسرائيل ثمانين الف دينار بعد أن ضربه ، ومن سليمان بن وهب كاتب ايتاخ اربعمائة ألف دينار ، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار، ومن إبراهيم بن رباح وكتابه مائة ألف دينار ، ومن أحمد بن الخصيب وكتابه ألف ألف دينار ، ومن نجاح ستين ألف دينار، ومن أبي الوزير مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار.

ولا عجب في ذلك إذا علمنا أن أحمد بن خالد الأحول كاتب المأمون يتوسط لدى الخليفة بتولية طاهر بن الحسين خراسان ويشترط على نجاحه في ذلك ثلاثة الاف درهم .

ثالثا: الحجابة :

ومفردها حاجب وهو من كبار موظفي الدولة، وهو همزة الوصل بين الخليفة والناس يقدم السفراء ، ويأذن لمن يشاء بالدخول على الخليفة أو وتفادياً لازدحام الناس حضرة الخليفة منح الصلاحية للبت في القضايا التي لا تستدعي نظر الخليفة . وهذه الوظيفة بشكلها المتكامل لم يعرفها العرب في . الخلفاء الراشدين لأن أبوابهم كانت مفتوحة للجميع ، أحداً مقتدين في بسيرة الرسول الأعظم محمد ﷺ الذي لم يمنع الناس من لقائه وحل ما يعترض حياته من مشكلات ولما انتقل الحكم إلى بني أمية ظهرت هذه الوظيفة واضطر خلفاءها إلى اتخاذ الحجاب مدفوعين في على ارواحهم من خطر اعدائهم وخصومهم من الأحزاب السياسية المعارضة . ويعتبر معاوية بن أبي سفيان أول من فكر باستحداث منصب الحاجب خاصة بعد ظهور محاولة اغتيال الخلفاء علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص من قبل الخوارج، فكان الحاجب يمنع الناس من الدخول عليه إلا بإذن خاص ويبدو أن خلفاء بني امية استثنوا من تلك المراسيم بعض الأشخاص الذين لا غناء عن دخولهم عليهم بلا إذن أو تصريح : المؤذن للصلاة ، وصاحب البريد ، وصاحب الطعام . وفي قول الخليفة عبد الملك بن مروان الحاجبه ما يؤكد ذلك : و قد وليتك حجابة بأبي إلا عن ثلاث : صاحب الطعام فإنه يفسد بالتأخير ، والأذان بالصلاة فإنه داع إلى الله والبريد فإن في تأخيره فساد القاصية

وقال لأخيه عبد العزيز بن مروان واليه على مصر : وأنظر حاجبك ، فليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك ، ولا يقف أحد ببابك إلا اعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن أو ترده

وفي أواخر عصر الدولة الأموية تشدد الحجاب في منع الناس من المثول بين يدي الخلفاء ، فعندما قدم وقد البربر برئاسة ميسرة على باب قصر الخلافة بدمشق لمقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك ويثه شكاواهم مما يلاقيه قومهم في المغرب الاسلامي من عسف ولاتهم واستبدادهم بهم وسوء معاملتهم ، منعهم وزيرة الأبرش عن ذلك ، وظلوا مقيمين على بابه شهراً فتركوا للوزراء رقاعاً بمطالبهم وانصرفوا بعد ذلك ساخطين، ليشعلوا نار الثورة في المغرب.

ومن أشهر حجاب بني أمية : خالد وسعيد موليا الوليد بن عبد الملك وحاجباه ، وأبو عسكر مولى سليمان بن عبد الملك وحاجبه ، والأبرش الكلبي حاجب هشام ، وكان هذا الحاجب و يدخل عليه فيقول فلان بالباب وفلان فيقول : ائذن، فلا يزال الناس يدخلون عليه حتى اذا انتصف النهار وضع الطعام ورفعت الستور. ومن حجاب بني أمية أيضاً قطر مولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك وحاجبه وحاجب إبراهيم بن الوليد ، وصقلاب مولى مروان بن محمد وحاجبه ولما قامت الدولة العباسية اقتدى خلفائها بالأمويين ، فاتخذوا الحجاب ونصحوهم بعدم معاملة الناس الذين يرغبون في مقابلتهم ، فقد روي عن الخليفة المنصور أنه عندما ولي الخصيب حجابته قال له : « إنك بولايتي عظيم القدر وبحجابتي عظيم الجاه فبقها على نفسك ، ابسط وجهك للمستأذنين وصن عرضك عن تناول المحجوبين فما شيء اوقع بقلوبهم من سهولة الاذن وطلاقة الوجه)

وعندما اتخذ الخليفة الهادي الفضل بن الربيع حاجباً له بعد أبيه قال له : ولا تحجب عني الناس فإن ذلك يزيل عني البركة ، ولا تلقي إلي امراً إذا كشفته اصبته ،باطلاً ، فإن ذلك يرقع الملك ويضر الرعية) .

ولم يقف اختصاص الحاجب في هذا العصر على ادخال الناس على الخليفة حسب مقامهم واهمية اعمالهم كما يعبر عن ذلك ابن قتيبة اذ يروي أن أحد الخلفاء قال لحاجبه :

(قد وليتك بأبي فما تراك صانعاً برعيتي ؟ قال : أنظر لهم بعينك واحملهم على قدر منازلهم عندك واضعهم في ابطائهم عن زيارتك ولزوم خدمتك مواضع استحقاقهم وارتبهم حيث وضعهم ترتيبك واحسن ابلاغك عنهم وابلاغهم عنك . قال : قد وفيت ما لك وما عليك)

بل تجاوز هذا الاختصاص إلى المشورة على الخلفاء مستغلين في ذلك مكانتهم العالية ، ومنزلتهم السامية وقربهم من الخلفاء وفيما يلي كثير من الأمثلة نذكرها على سبيل المثال لندلل بها على صحة ما ذهبنا إليه ، فالربيع بن يونس (١) وزير المنصور أخذ البيعة للمهدي والهادي ولعب دوراً مع عيسى بن موسى في أن يخرج البيعة من عنقه إلى موسى ولد المهدي ومما هو جدير بالذكر أن الربيع سبق أن لعب دوراً مماثلاً . مع عيسى بن موسى في اثناء خلافة المنصور ، وهو الذي عمل على نكبة أبو عبيدالله معاوية بن بسيار وزير المهدي، وعن طريقه استوزر المهدي يعقوب بن داود لصداقة كانت بين الربيع وبينه ، فجعل يثني على يعقوب في خلواته بالمهدي حتى استوزره . أما الفضل بن الربيع حاجب الخليفة الرشيد فقد لعب دوراً عظيماً في السعي للايقاع بالبرامكة فقد كان لا يترك أي فرصة تمر دون أن يستغلها لا يغار صدر الرشيد عليهم ، فيذكر الجهشياري أنه حرض الرشيد على جعفر" البرمكي ونسب إليه أنه اهان الخليفة. كما كان له أثر في احداث الخلافة بين الأمين وأخيه المأمون فهو الذي شجع الأمين على خلع أخيه أو الفتك به

وتمزيق امارته . وكان الحجاب في عصر الدولة العباسية كغيرهم من ذوي المناصب العليا ، يسعون إلى الاثراء السريع وجمع الأموال بشتى الطرق سواء كان ذلك عن طريق الرشوة أو عن طريق الهدايا الكبيرة التي يقدمها طالبوا الحاجات لقاء توسطهم لهم لدى الخليفة أو التعجيل في الاذن لهؤلاء الأفراد فقد ذكر أن الربيع حاجب المنصور كان قد اتفق مع يعقوب بن داود على رشوة مقدارها مائة الف دينار حين يتوسط له لدى الخليفة ليتولى الوزارة .

ويأتي الطبري في ذلك برواية أخرى تعبر عن تفنن الحجاب في الأموال وإن كانت بعيدة التصديق لأنها تشير إلى نوع من التواطؤ بين الرشيد وبين حاجبه لتقاسم الأموال يقول الطبري و (أراد الرشيد أن يشرب الدواء يوماً فقال له ابن أبي مريم هل لك أن تجعلني حاجبك غداً عند اخذك الدواء وكل شيء اكسبه فهو بيني وبينك ؟ قال : افعل فبعث إلى الحاجب ، الزم منزلك فإني قد وليت ابن أبي مريم الحجابة . وبكر ابن أبي مريم فوضع له الكرسي وأخذ الرشيد دواءه وبلغ الخبر بطانته فجاء رسول أم جعفر يسأل عن أمير المؤمنين

وعن دوائه فأوصله إليه وتعرف حاله وانصرف بالجواب وقال للرسول اعلم السيدة ما فعلت في الاذن لك قبل الناس : فاعلمها فبعث إليه بمال كثير ، ثم جاء رسول يحيى بن خالد ففعل به مثل ذلك ، ثم جاء رسول جعفر والفضل ففعل كذلك فبعث إليه كل واحد من البرامكة بصلة جزيلة ثم جاء رسول الفضل بن الربيع فرده ولم يأذن له وجاءت رسل القواد والعظماء فما أحد سهل اذنه إلا بعث إليه بصلة جزيلة فلما صار العصر حتى الدواء صار إليه ستون ألف دينار ، فلما خرج الرشيد من العلة ونقى بدنه من ! دعاه فقال له ما صنعت في يومك هذا ؟ قال : يا سيدي كسبت ستين دينار فاستكثرها وقال : واين حاصلي قال : معزول قال : قد سوغناك حاصلنا فاهد الينا عشرة الاف تفاحة، ففعل فكان اربح من تاجره الرشيد .

أولا : القضاء : كان الرسول ألعظم محمد صلى الله عليه وسلم يتولى الفصل في الخصومات والمنازعات التي تقوم بين المسلمين ولم يكن للمسلمين في عهدة قاض سواء. وعندما تولى ابو بكر الصديق) رضي الله عنه(الخالفة أسند هذه المهمة إلى عمر بن الخطاب)رضي هللا عنه(رغم انه لم يتخذ لقب قاض . وفي خالفة عمر توسعت حدود الدولة اإلسالمية، وتباعدت المسافة بين الخليفة في العاصمة وبين المسلمين في المناطق المفتوحة، كما ازدادت المشاكل وتنوعت ولذا رأى عمر انه ال بد من تعيين قضاة وراً لمختلف الواليات، وقد طلب منهم العمل بكتاب هللا العزيز وسنة نبيه الكريم. كما وضع لهم دست يسترشدون به في احكامهم ويتمثل ذلك في الوصايا التي كان يزود بها قضاته وابرز مثل على ذلك الوصية التي بعث بها إلى أبي موسى ألشعري ، احد قضاته وجاء واسى بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى ال يطمع شريف في جيفك ، وال ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إال صلحا احل حراما أو حالال . وال يمنعك قضاء قضيته باالمس فراجعت اليوم فيه عقلك ،وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق. فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل .....(لم يكن للقاضي في بادىء ألمر كاتب وال سجل تدون فيه المرافعات والمحاكمات ، بل كان بيت في القضايا في حينها، وكان القاضي يجلس للحكم اما في داره أو في المسجد. وفي العصر ألموي بقي القضاء منها هاماً وكثيراً ما كانت احكام القضاة ناقلة حتى على الوالة والعمال وكبار رجال الدولة. وفي هذا العهد ظهرت ألول مرة سجالت لحفظ االحكام التي يصدرها القضاة . وما أما في العصر العباسي فقد تعقد القضاء

لتعقد الحياة االجتماعية و طرأ على المجتمع من أساليب جديدة شملت النواحي االجتماعية والثقافي واالقتصادية ، ألمر الذي ادى إلى ظهور الكثير من المشاكل المحتاجة إلى قضاة يفصلون فيها وفقاً إلى أن ظهور المذاهب ألربعة ترتب عليه ضعف روح االجتهاد في االحكام للشريعة االسالمية ، هذا باإلضافة ، بحكم التزام القضاة في احكامهم باحد هذه المذاهب ، فكان قاضي العراق يحكم وفي مذهب أبي حنيفة ، بينما ساد المذهب الشافعي في مصر والمذهب المالكي في الشام والمغرب وألندلس. وقد نتج عن ذلك ان أصبح في كل والية قضاة يمثلون المذاهب ألربعة، ينظر كل منهم في النزاع الذي يقوم بين من يدينون بعقائد مذهبه . لقد ادخل العياسيون تطوراً اساسياً في السلطة القضائية عندما حصر واسلطة تعيين القضاة بالخلفاء وحدهم، فقوي مركز القاضي في ألقاليم واستقل بوظيفته عن ألمير، وكان أبو جعفر المنصور أول خليفة عباسي ولي قضاة ألمصار من قبله ، وهذا يعني ان القضاء في هذا العصر فقد استقالليته وتأثر بالسياسة العامة للدولة الرغبة الخلفاء العباسيين في اكساب اعمالهم صبغة شرعية ، مما دفع بالكثير من الفقهاء إلى االمتناع عن تولي. خشية حملهم على االفتاء بما يخالف الشريعة الاسلامية . وعنيت العربية باختيار االكفاء من القضاة ووضعت شروطاً إلدارة اساسية في اختيارهم وكان القاضي والبصر والعلم باألحكام ليوليه الشرعية ، هذا باالضافة إلى شروط اخرى الزامية كالشرف وألناة والتفقه ، فقد ذكر أن الرشيد احضر رجالً القضاء فقال له : داني ال احسن القضاء وال انا فقيه ، قال الرشيد : فيك ثالث خالل : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ، ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطوه وانت رجل تشاور في امرك ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقه فسينضم اليك من تنفقه به ولقد منح القضاة في العصر العباسي ألول الكثير من المزايا ، حتى توسعت سلطاتهم فاصبح القاضي) يجمع مع الفصل بين الخصوم ، استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين ة إلى أن نر واليتامى والمفلسين وأهل السفه وفي وصايا المسلمين واوقافهم وتزويج أليامى عند فقد ألولياء على رأي من رأه ، والنظر في لتوسع مهام القضاة ، وتعدد لذهب العلم مصالح الطرقات وألبنية راق يحكم وتصفح الشهود وألمناء والنواب . ونظراً يتخذ شهوداً اختصاصاتهم كان يعاونهم مساعدون ونواب عرفوا بنواب الحكم ، وكان في كل وال القاضي عرفوا باألمانة والتفقه في الدين ، ولذلك سموا بالشهود العدول أي الذين ال يشك في ذممهم أضف إلى ذلك أن بعض الخلفاء عهدوا إلى بعض قضاتهم بقيادة الجيوش كما حدث بالنسبة إلى يحيى بن اكثم حين أيام المامون بالجيوش إلى أرض الروم. وقد اقتدى زيادة هللا بن ألغلب عندما ارسل تالل القاضي اسد بن الفرات قائداً

على الحملة ألألغلبية على صقلية في سنة٢١٢ههكذلك تمتع بها القضاة بكثير من ضروب التقدير واالحترام لدى الخلفاء كذلك تمتع العباسيين ، فقد ذكر أن المهدي عندما كان يجلس للمظالم ، يقول : ادخلوا على القضاة فلو لم يكن ردي للمظالم إال للحياء منهم لكفى . وقد اشتهر قضاة ذلك العصر بالقوة والعدالة والنزاهة وعدم التحيز إلى اي جانب ، حتى ولو كان ألمر متعلقا بالخليفة نفسه ، وخير دليل على ذلك ما ذكره الكندي من أنه وقع بين أم المهدي وبين أبي جعفر المنصور ا قاضياً على اعلى خصومة ، فقالت ال أرضى إال بحكم غوت بن سليمان ، وكان هذا : مصر من قبل المهدي ، فحمل للعراق للحكم بينهما ، فوكلت أم المهدي عنها وكيالً جلس أمام القاضي ، فطلب القاضي من أمير المؤمنين أن : خصمه في مجلسه فاتحط عن فرشه ، وجلس مع الخصم ، وبعد النظر في القضية حكم القاضي ألم المهدي على أمير المؤمنين كذلك خوصم مولى السيدة زبيدة زوجة الرشيد ووكيلها إلى القاضي محمد بن مروق فأمر باحضاره فجلس متربعاً فأمر به للسيدة زبيدة ذات النفوذ والسلطة ذلك الوقت مروق فبطح وضرب عشراً على الرغم من أن هذا المولى كان وكيالً أكثر منه دنيوياً ، ثم أصبح يعقد ، وكان القاضي يباشر اعماله اول ألمر في المسجد الجامع ، باعتبار ان منصبه كان دينياً في دار القاضي أن تعددت المساجد الجامعة في المدينة الواحدة ، وفي بعض ألحيان كان القاضي يعقد جلسته في قصر اً الذين الخالفة خاصة إذا ما كان ألمر متعلق بالمظالم . ويتألف مجلس الحكم من القاضي والشهود العدول والموقعين يسجلون محضر الجلسة والحجاب الذين يتولون ادخال الخصوم إلى مجلس الحكم . ويالحظ أن منصب القاضي لم يكن يتأثر باألحداث السياسية بدليل ان القاضي كان يستمر في خدمته مدة طويلة سيما إذا إلى حمل القضاء والنزاهة ومع بني على السير وفق رغباتهم كان يتمتع بالجدارة ذلك فقد لجأ بعض خلفاء العباس احياناً ليكسبوا اعمالهم صفة الشرعية . لذلك امتنع بعض الفقهاء عن قبول منصب القضاء ، فقد ذكر الطبري و أن المنصور عرض على أبي حنيفة النعمان القضاء والمظالم فامتنع .ورغم هذا ، نقض الخلفاء العباسيون العهد مع بعض القواد والعلويين بعد أن اعطوهم ألمان ، وذلك عن طريق فتاوى القضاة : فقد تسلم ابن هبيرة من أبي جعفر المنصور كتاباً يحمل امضاء الخليفة السفاح يعطيه فيه ألمان ولكن لم تمض أيام حتى قتل ابن هبيرة ، وغدر المنصور بعمه عبد هللا بن علي وابي مسلم الخراساني ، وكتب الرشيد بخطه امانا ليحيى بن عبد هللا محمد النفس الزكية وكان قد ثار في بالد الديلم ولكنه لم يلبث ان حبس اخي ونقض ألمان ولم يكتف العباسيون بسلطة تعيين القضاة حسب، بل طوروا إلدارة القضائية بشكل دقيق ومنظم ، فاستحدثوا وظيفة قاضي القضاة ، ليشرف على قضاة الدولة

كلها، ويراقب سيرهم في القضاة ، وكان القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب كتاب الخراج أول من تقلد منصب القضاة قاضي في العهد العباسي من الرشيد وربما يعود ذلك إلى غزارةعلمه و درايته بالشؤون القضائيه و االداريه خاصه فقد ذكر أنه كان أفقه اهل عصره فلم يتقدم عليه أحد في زمانه ، وكان بالنهاية في العلم والحلم والرياسة والقدر والجاللة ، وهو أول من وضع الكتب في ملعب أبي حنيفة واعلى المسائل ونشرها ويث علم ابي حنيفة اصول الفقه افطار أألرض وكان القاضي في عصر الدولة أألموية يجلس مجلسه بدون مراسم ، ال كان أنه منذ العصر العباسي اصبح يتخذ لنفسه الرسوم ... يضع الطليان على منكيه، ويعقد بوسطه سيفا، ويتوشح بالسواد أو البياض حسب مذهب وأول من ميز لباس القضاة والعلماء القاضي أبو يوسف، فاصبح القاضي يحتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ، بعد أن كان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً ال يتميز احد بلباسيه ومن المظاهر التي تعبر عن ازدياد مكانة القضاة في العصر العباسي فقد خوله أألول، ما بلغه أبي محمد يحيى بن أكثم قاضي الخليفة المأمون ، باححان القضاة الذين يراد توليتهم من وجوه الفقهاء وبلغ من أهمية القاضي احمد بن أبي دؤاد أن الخليفة المعتصم لم يكن بيت في أمر إال برأيه أما عن ارزاق القضاة ، فالحقيقة إننا لم نقف على ما كانوا يتقاضونه في العراق في ذلك العصر، إال أنه قد وردت بعض االشارات عن رواتب القضاة في مصر. يمكن أن نستنتج منها الراتب التقريبي لقاضي العراق . فقد ذكر أن الخليفة أبا جعفر المنصور حين ولى عبد هللا بن لهيعة سنة ١٥٥هـ قاضياًعلى مصر اجرى له ثالثين دينار في كل شهر وكان راتب المفضل بن فضاله قاضي مصر من قبل المهدي ثالثين ديناراً في كل شهر أيضاً، وكان يأخذ عسالً بدل عشرة منها ويبدو أن هذا الراتب ارتفع ارتفاعاً عظيماً في أيام المأمون، فقد اجرى والي مصر من قبل المأمون على ن ديناراً القاضي الفضل بن غانم سنة ١٩٨هـ مائة وثمانية وستي في كل شهر، وكان الفضل أول قاضي أجرى عليه هذا الرزق الكبير ثم زاد حين قلد عيسى بن المكندر القضاء في مصر سنة ٢١٢هـ إلى أربعة االف درهم في الشهر . أي ما يوازي ٢٧٠ ديناراً شهرياً . وهذا الراتب الذي يدفع للقضاة في مصر يمكن أن يكون مثله في العراق اذ اخذنا في االعتبار ان كان يصدر تعيينهم في بغداد . لقد اعطى العرب للعدل والقانون المكانة االسمى في دولتهم، وإذا كان القضاة هم االداة الفعالة لتطبيق القانون ، فإننا نجد ثمة سلطات أخرى تمارس سلطة قضائية وقانونية إلى جانبهم في بداية تاريخ الدولة ة لم يكن فصل السلطات واضحاً تماماً العربية إلسالمي ، خاصة فيما يتعلق بالسلطة القضائية فإلى جانب القاضي ، كان هناك صاحب الشرطة يتولى النظر في الجرائم، وصاحب المظالم ، يتولى النظر

في الدعاوي التي يدفعها الناس على السلطة نفسها ، حتى ولو كانت هذه السلطة متمثلة بالخليفة أو قضاته ، وإلى جانب هؤلاء كان هناك المحتسب، ويقوم باالشراف على تنظيم األسواق وسير المعامالت فيها ومع استقرار األوضاع، وتطور المجتمع ، ظهر الفصل بين السلطات أو االختصاص في ممارستها واضحاً، حتى شهد العصر العباسي إلى جانبمؤسسة القضاء مؤسسة قضائية أخرى ، هي النظر في المظالم .. عالوة على الشرطه و الحسبه ثانيا : الدواوين اختلف في أصل التسمية ، ومهما كان أصل الكلمة فارسية أم معربة ، فإن الديوان هو موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة واألموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال نشأة الدواوين أول من أنشأ الديوان عند المسلمين عمر بن الخطاب ، أما قبل ذلك فلم يحتج المسلمون إلى أي من التدوين الحكومي سوى كتاب الوحي للرسول عليه السالم والكتاب الذين كتبوا له رسائله إلى ملوك األمم المجاورة يدعوهم إلى اإلسالم . ولما كان عهد عمر كثر المال ، واتسعت البالد، وكثر الناس ، فدونت الدواوين الوجود الدواعي ؛ فكان رضوان هللا عليه أول من وضع الدواوين في الدولة اإلسالميه واختلف الناس في سبب وضعه له ، فقال قوم: سببه أن أبا هريرة رضي هللا عنه قدم عليه بمال من البحرين ، فقال له عمر : ماذا جئت به ؟ فقال : خمسمائة ألف درهم، فاستكثره عمر ، فقال له : أندري ما نقول ؟ قال : نعم ، مائة الف خمس مرات ، فقال عمر : أطيب هو ؟ قال : ال أعلم إال ذاك ، فصعد عمر المنبر فحمد هللا وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، قدجاءنا مال كثير ، فإن شئتم كلنا لكم كيال ، وإن شئتم عددنا لكم عدا ، فقام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين قد رايت االعاجم يدونون ديوانا لهم ، فدون انت لنا ديوانا وقال آخرون بل سببه أن عمر بعث بعثاً ؛ وكان عنده أحد زعماء الفرس الهرمزان (فقال لعمر : هذا بعث قد اعطيت أهله األموال ، فإن تخلف منهم رجل ، وأخل بمكانه ، فمن أين يعلم صاحبك به ، فأثبت لهم ديواناً ، فسأله عن الديوان حتى فسره له . وقال جما عه: بل سببه مال أتى به أبو هريرة من البحرين ، فاستكثروه وتعبوا في قسمه فأشار خالد بن الوليد بالديوان ، وقال رأيت ملوك الشام يدونون ، فقبل منه عمر ويقول ابن تيمية في السياسة الشرعية لم يكن لألموال المقبوضة والمقسومة ديوان جامع على عهد رسول هللا صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي هللا عنه ، بل كان يقسم المال شيئاً فشيئاً ، فلما كان في زمن عمر بن الخطاب رضي هللا عنه كثر المال ، واتسعت البالد، وكثر الناس ، فجعل ديوان العطاء للمقاتلة وغيرهم ويقول ابو يوسف في كتابه الخراج) لما استقر رأي عمر على تدوين الديوان دعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وكانوا من شباب قريش وكتابها ، وأمرهم أن يكتبوا الناس . على منازلهم ، فكتبوهم

على ترتيب ألنساب مبتدأ من قرابة رسول هللا ، وما بعدها ألقرب فاألقرب ، ثم روعى في التفضيل عند انقراض أهل السوابق ، التقدم في الشجاعة، والبالء في الجهادو فرض العطاء للناس جميعا حتى لالطفال فقد أمر عمر رضي هللا عنه مناديه وأال ال تعجلوا أوالدكم الفطام ، فإنا نفرض لكل مولود في االسالم ففرض المنفوس مائة درهم ، فإذا ترعرع بلغ به مائتي درهم ، فإذا بلغ زاده ومن هذا يتبين أن هذا الديوان كتب بادىء ذي بدء بالعربية ، كما أنه ألطفال » وتلك الحادثة هي ألولى ف كان يضم الجند وأهل ألعطيات حتى تاريخ العالم، حيث اضطلعت الحكومة بمسئولية إطعام سكان الدولة ، وكسرتهم هكذا كان تدوين الديوان في ابتداء وضعه ، وكان ذلك في المحرم سنة ٢٠ هـ كما يقول البالذري ص ٥٥ ، ٤٦٢ ، ابن خلدون في مقدمته ص ٢ ص ٦١٤ أو كما قيل سنة ١٥هـ كما ورد في الطبري ص ٣ ص ١٠٨ ، الفخري في آلداب السلطانية ص ٢٦٠ ، وتاريخ ابي الفداء ص ا ص ١٦٠ . وبقي ديوان الخراج والجبايات بعد االسالم على ما كان عليه من قبل : ديوان العراق بالفارسية، وديوان الشام بالرومية ، وكتاب الدواوين من أهل الذمة من الفريقين الدواوين في عهد ألمويين : أشهر الدواوين التي عرفت زمن ألمويين هي : ديوان الجند – ديوان الخراج – ديوان الرسائل – ديوان الخاتم – ديوان الطراز – ديوان الصدقات : ١ – ديوان الجند : بقى هذا الديوان أول العهد ألموي على ما أنشاءو فرض العطاء للناس جميعا حتى لالطفال فقد أمر عمر رضي هللا عنه مناديه وأال ال تعجلوا أوالدكم الفطام ، فإنا نفرض لكل مولود في االسالم ففرض المنفوس مائة درهم ، فإذا ترعرع بلغ به مائتي درهم ، فإذا بلغ زاده ومن هذا يتبين أن هذا الديوان كتب بادىء ذي بدء بالعربية ، كما أنه ألطفال » وتلك الحادثة هي ألولى في كان يضم الجند وأهل ألعطيات حتى تاريخ العالم، حيث اضطلعت الحكومة بمسئولية إطعام سكان الدولة ، وكسرتهم هكذا كان تدوين الديوان في ابتداء وضعه ، وكان ذلك في المحرم سنة ٢٠ هـ كما يقول البالذري ص ٥٥ ، ٤٦٢ ، ابن خلدون في مقدمته ص ٢ ص ٦١٤ أو كما قيل سنة ١٥هـ كما ورد في الطبري ص ٣ ص ١٠٨ ، الفخري في آلداب السلطانية ص ٢٦٠ ، وتاريخ ابي الفداء ص ا ص ١٦٠ . وبقي ديوان الخراج والجبايات بعد االسالم على ما كان عليه من قبل : ديوان العراق بالفارسية، وديوان الشام بالرومية ، وكتاب الدواوين من أهل الذمة من الفريقين الدواوين في عهد ألمويين : أشهر الدواوين التي عرفت زمن ألمويين هي : ديوان الجند – ديوان الخراج – ديوان الرسائل – ديوان الخاتم – ديوان الطراز – ديوان الصدقات : ١ – ديوان الجند : بقى هذا الديوان أول العهد ألموي على ما أنشاءالخليفة عمر ، وهو أكبر ديوان في الدولة، تحدد فيه مقدار اعطيات

جميع العرب ، والجنود المقاتلة من عرب وغير عرب . ولما خفت حركة الجيوش ، لهدأة الحروب الخارجية ، أبطل الخليفة – هشام بن عبد الملك االعطاءات لمن ال يقوم بالعمل العسكري بنفسه أو من يبعث مكانه نائباً عنه، والغى اسماء جميع من يستنكفون في الجندية ولو كان امير امويا ، وبهذا اعطيات مقدرة ومقررة من ديوان الجند ، ولم يعد أموال هذا الديوان حقاً االصالح ، تحدد االشخاص الذين يتناولون لجميع العرب .... وقد أعجب المنصور العباسي باصالح الخليفة هشام ألموي وأمر بتنفيذه ٢ – ديوان الخراج : وواجباته جمع الخراج واالنفاق من موارده على شؤون الدولة ، وكان في كل والية ديوان اشبه باإلدارة المالية المحلية يجمع الخراج ، ويحتفظ بما يحتاج اليه الوالة من مصروف ، ويرسل الفائض إلى العاصمة ، حيث يجمع دخل ألراضي الزراعية في ديوان مركزي ، لقاء ايصاالت استالم وصرف وتجري عن طريقه محاسبة دواوين الواليات –ديوان الرسائل : يقول القلقشندي : أن ديوان الرسائل ويسمى ايضاً ديوان االنشاء هو أول ديوان أنشىء في االسالم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استلم كتاباً يكتبون عنه إلى أمرائه واصحاب سراياه ، وإلى من قرب من ملوك ألرض يدعوهم إلى اإلسالم، كما كتبوا له العهود واالقطاعات والهدن واالمانات إلى غير ذلك .. فهؤالء الكتاب وان لم يطلق عليهم اسم الديوان كانوا يقومون بشيء من متعلقات ديوان الرسائل . فلما جاء العهد ألموي كان كل خليفة – يفوض أمر ديوان الرسائل إلى كاتب يختاره. ثم جاء العهد العباسي فكان الذي يتولى ديوان الرسائل هو الوزيرنفسه وفي كتاب الوزراء الكتاب للجهشياري صور للنشرات والرسائل التي كانت توجه للعمال والرعية وقد ألف القلقشندي لمن يرشحون انفسهم لمنصب ديوان الرسائل كتان قيماً ذكر فيه تاريخ هذا الديوان وتفاصيل العلوم والمعارف التي ينبغي لصاح أن يعلمها . قال : وليس في منزلة خدم السلطان والمنصرفين من مهمان أخص من كاتب الرسائل ، فإنه أول داخل على الملك واخر خارج عنه ، وال غنى له عن مفاوضته في ارائه ، واالفضاء إليه بمهماته واطالعه على حوادث ديوانه ، فهو لذلك ال يثق بأحد من خاصته ثقته به ... وقد ذكر القلقشندي تفصيالت كثيرة عن اداب صاحب ديوان الرسائل واختصاصاته في كتابه صبح ألعشى –ديوان الخاتم : لم يكن القصد من الختم أن يوضع الخاتم في أدنى الرسالة ، وإنما كانت تطوى ويلصق طرفها بالشمع أو الطين ألحمر الذي يطبع عليه، وهو طري ، خاتم الخالفة. ويترك حتى يجف ، فإذا فتحن الرسالة من قبل أن تصل إلى مرجعها عرف ذلك وأول من وضع هذا الديوان معاوية ، وقد ذكر الصولي في أدب الكاتب الضمة لهم وألنفال ان معاوية حين افرد ديوان الخاتم واله عبيد بن أوس النسائي وسلم الخاتم إليه ، وكان منقوشاً على فصه لكل عمل ثواب ، ، وسبب

ذلك أنه كتب العمرو بن الزبير بمائة الف درهم إلى زياد عامله في العراق . ففض عمرو رفع زياد حسابه ، قال معاوية ما كتبت الكتاب وجعلها مئتي ألف درهم، ، فلما له إال بمئة الف درهم. وكتب إلى زياد بذلك وأمره المئة المئة القامة تعريب وفى نف وان يعتقله بتهمة التزوير ، فدفع عبد هللا بن الزبير المبلغ إلى معاوية وحصل على اطالق سراح عمرو ، وصارت العادة أن يحتفظ ديوان الخاتم بنسخة عن كل ما يوقع من رسائل وحسابات ، وكذلك فعل الوالة ، وذلك للرجوع اليها والمطابقة والمقارنة ، وخاصة في العصر العباسي حين نكب عدد كبير منالوزراء بدعوة الرشوة والتالعب بالقيود والغنى غير المشروع .. وأنشأ أألمويون في دمشق دارا خاصة للمحفوظات الرسمية ، وكذلك فعل العباسيون، وقد ظل هذا الديوان قائماً حتى عهد أألمين)–٨٠٩ ٨١٦م (على حد قول الجهشياري، بينما يرى فون كريمر وسيد امير على ومتر أنه حل ديوان التوقيع محل ديوان الخاتم في عهد الرشيد) ٧٧٦ ٨٠٩م (وعرفت أألوامر الصادرة عن هذا الديوان باسم التوقيعات ولكن المصادر األلخرى تذكر ديوان الخاتم في عهد المأمون .. مما قد ديوان الخاتم بقي قائماً مع احداث ديوان التوقيع لمدة من الزمن ثم حل الثاني أن بسنتج أن ديوان الخاتم بقي قائما مع أحداث ديوان التوقيع لمده من الزمن ثم حل الثاني محل االول –ديوان الطراز : يقول ابن خلدون : » الطراز هو ان برسم الملوك والسالطين أو عالقات تختص بهم من طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج »يضاف إلى هذه الدواوين ديوان البريد ، وقد ذكر المؤرخون كذلك انه عهد عمر بن عبد العزيز ديوان يعنى بالمرضى والمقعدين وترتيب الخدمة لهم واالنفاق عليهم. وكان في عهد هشام بن عبد الملك ديوان للصدقات ، كما كان عندهم دواوين للنفقات والرقيق وغيرها

ثانيا: تعريب الدواوين :

كانت لغة الدواوين حتى زمن عبد الملك في العراق الفارسية وفي الشام الرومية وفي مصر القبطية واليونانية

كان سرجون بن منصور يتقلد ديوان الشام فأمره عبد الملك يوما بشيء فتثاقل عنه وتوانى فيه فعاد لطلبه وحثه فيه فرأى منه تفريطاً وتقصيراً فقال عبد الملك لسليمان بن سعد وكان يتقلد له ديوان الرسائل أما ترى إدلال سر جون علينا وأحسبه قد رأى ضرورتنا إليه وإلى صناعته افما عندك حيلة ؟ قال : لو شئت لحولت الحساب إلى العربية . قال : فافعل فحوله فرد اليه عبد الملك جميع دواوين الشام .

كما حول الحجاج في العراق ديوان الخراج من الفارسية إلى العربية وذلك أنه كان يتقلده زادان فروخ وكان يكتب معه صالح بن عبد الرحمن . وقال صالح مرة لزادان : إني قد خففت على قلب الحجاج ولست أمن أن أزيلك عن عملك . فأجاب زادان : لا تظن ذلك لأنه لا يمكن ان يجد من يكفيه حسابه غيري فقال صالح : والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية الحولته . قال فحول شطرا حتى أرى ، ففعل صالح . وبذل له زادان مائة الف درهم كي يظهر العجز عن نقل الديوان إلى العربية فأبى . ولما قتل زادان خلال ثورة ابن الاشعث خلفه صالح وترجم الديوان إلى العربية وفي رواية للجهشياري والبلاذري أن زادان خشى أن يلحظ الحجاج مهارة صالح فأمره أن يدعى المرضى فأرسل الحجاج طبيبه الخاص لمعالجته ثم عينه بعد مقتل زادان وتقول هذه الرواية أن الذي عرض على صالح المائة الف درهم هم اصحاب المصالح من الفرس بعد تعيينه في عمله الجديد وبعد وفاة زادان

أما في مصر فقد ظلت الدواوين تدون باليونانية إلى أن انتقلت الخلافة – إلى الوليد بن عبد الملك فسار على سياسة ابيه في تعريب الدواوين فحول ديوان خراجها إلى العربية، وقام بتنفيذ هذه السياسة واليه على مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان سنة ٨٧ هـ)

وكان لتعريف الدواوين أثر مزدوج من الناحيتين السياسية والأدبية فقد اصبحت لغة الدواوين هي اللغة العربية مما ساعد على تقلص نفوذ غير العرب. أما من الناحية الأدبية فقد اصبحت اللغة العربية لغة التدوين فنقل اليها كثيراً من الاصطلاحات الفارسية والرومية واليونانية وابتدأت تظهر طبقة الكتاب منذ ذلك الوقت وكان

عبد الحميد الكاتب يقول : (الله در صالح بن عبد الرحمن ما أعظم. منته على الكتاب ، وكان حرى به أن يقول الله در عبد الملك)

الدواوين في العهد العباسي :

تأثر العباسيون بالنظم الادارية الفارسية كما أن الأمور تعقدت وتشعبت بعد العصر الأموي فأنشئت دواوين عديدة عدا التي عرفت زمن الراشدين والأمويين ، وكان أهمها :

١- ديوان العزيز : كان مجلس الخليفة يسمى بديوان العزيز كما كانت الحكومة العثمانية تسمى بالباب العالي وكان يرأس المجلس الوزير الأكبر ولهذا سمي مجلس العزيز وكان رؤساء الدواوين المختلفة يسمون بالوزراء أحياناً ولكنهم كانوا اقل درجة من الوزير الأكبر الذي كان رئيس الإدارة .

٢- ديوان الأزمة : يقول البلاذري بأن هذا الديوان أحدث زمن الأمويين بينما سيد أمير علي يقول : إنه من ابتكار الخليفة المهدي (١٥٨ – ١٦٨ هـ) وقد سمي ديوان الأزمة في العاصمة وديوان الزمام في الولايات كما يقول الجهشياري .

وصاحبه يشبه وزير المالية الذي يجمع أنواع الواردات كلها وأنواع النفقات كلها ويقيم الموازنة بينهما . وقد حوله العباسيون إلى ديوان حسابات عامة لبلاد الخلافة كلها وذلك بما يشبه ديوان المحاسبة اليوم أو الجهاز المركزي للرقابة المالية .

٣- ديوان النظر في المظالم : كان الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدون من بعده يستمعون إلى شكاوى الناس وينصفونهم في كل وقت تعرض عليهم هذه الشكاوى ولكن بعد مقتل الإمام علي ، والاعتداء على معاوية احتجب الخلفاء وخصصوا أوقاتاً محدودة للنظر في المظالم .

كما فعل عبد الملك وعمر بن عبد العزيز فلما جاء العباسيون وانشغل الخلفاء بأمور الدولة المتشابكة افردوا للمظالم ديواناً منظماً كان بمثابة المحكمة العليا الاستئنافية تعرض عليها الأمور التي لم يقبل اصحابها بحكم القضاة وذكر أن جعفر البرمكي قد تولى رئاسة هذا الديوان في عهد الرشيد وأن المأمون قد انفرد من بين

سائر خلفاء بني العباس وترأس مجلس ديوان المظالم يوم الأحد من أكثر الاسابيع . ويذكر الماوردي أن امرأة تقدمت بشكوى من ابن الخليفة المأمون فحضر المأمون بنفسه جلسة النظر بالدعوى واستمع إلى أقوال الأمرأة وابنه وأصدر القاضي الحكم ضد الامير ونفذ الحكم .

٤- ديوان النفقات : واختص بمطالب البلاط من تأمين الرواتب وبناء

و اصلاح القصور وملحقاتها وشراء المواد الغذائية والخيول وما يطلبه سكان القصور من ملابس وأدوات وأثاث وتكاليف الحفلات والمآدب وما شابه ذلك .

٥ – ديوان الصوافي : تعني الصوافي أراض الدولة وهذا يعني أيضاً اهتمام هذا الديوان بجميع أملاك الدولة من تأجير واستئجار أو شراء وبيع وهو أشبه بدائرة الأملاك العامة اليوم .

٦- ديوان الضياع : ويقصد بها ضياع وقرى وأراضي الخليفة الخاصة إذ انفرد لإدارتها واستثمارها ديوان خاص لا علاقة له بالديوان السابق

٧ – ديوان الموالي والغلمان : وتسجل فيه أسماء موالي الخليفة وعبيده

٨- ديوان الجهبذة : وهو خاص للمحافظة على مصالح غير المسلمين يضاف إلى هذه الدواوين دواوين أخرى كثيرة منها ديوان البريد ديوان الشرطة ديوان العطاء ديوان الدية ديوان الري .

وكان يعهد بإدارة كل ديوان إلى مدير يسمى الرئيس أو الصدر . أما التفتيش فكان يقوم به مفتشون يسمون بالمشرفين أو النظار وكان مشرف الممتلكات يضطلع من حين لآخر بالتفتيش على دواوين الدولة ويرفع التقارير الوافية عنها إلى الخليفة

ثالثا : النظر في المظالم :

تميزت السلطة القضائية في الدولة العربية بالحيوية والنمو وكان من مظاهر حيويتها نمو مؤسسة قضائية ذات أهمية استثنائية إلى جانب دائرة القاضي ينحصر اختصاصها في النظر في دعاوى الناس المرفوعة إلى الخليفة أو الوالي أو من ينوب عنهما لترفع عنهم الظلم الذي حل بهم من موظفي الدولة وأجهزتها

فناظر المظالم ينظر : في كل حكم يعجز عنه القاضي ، فينظر فيه من هو أقوى منه سلطة . ظهرت وظيفة المظالم في عهد الخلفاء الراشدين وكان الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أول من نظر فيها ليرسي العدل ويرد مظالم الناس. وإن أول من أفرد يوماً محدداً للنظر في المظالم هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. وكان يستعين في ذلك بقاضيه ابن ادريس الأودي. وفعل مثل ذلك من خلفه من الأمويين فكان عمر بن العزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها ، وراعى السنن العادلة وأعادها ورد مظالم بني أمية على أهلها . ثم جلس لها من خلفاء بني العباس جماعة فكان أول من جلس لها المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم المأمون فآخر من جلس لها المهتدي حتى عادت الأملاك الى مستحقيها .

صلاحيات قاضي ديوان المظالم :

ديوان المظالم هو عبارة عن هيئة قضائية عالية يشرف عليها شخص يدعى «قاضي المظالم أو صاحب المظالم وهو أعلى مرتبة من القاضي كما أن صلاحياته أوسع. ويمكن اجمال مهامه بما يلي :-

١- النظر في الشكاوى التي يرفعها أفراد الرعية ضد الولاة والحكام وكتاب الدواوين وجباة الضرائب وانزال العقوبات بمن تثبت ادانته.

٢ – تنفيذ ما وقف من احكام القضاة لأن والي المظالم أقوى نفوذ اًو سلطة منهم.

٣ – النظر في تظلم الجند (خاصة المرتزقة منهم) إذا نقصت أرزاقهم او تأخر دفعها

٤ –مراعاة اقامة الشعائر والعبادات كالجمع والاعياد والحج والجهاد وغيرها .

وقد اصبحت بعض هذه الصلاحيات فيما بعد من مهام المحتسب .

وكان والي المظالم يعقد مجلسه في يوم محدد ولا ينتظم المجلس الا بحضور خمس جماعات :-

١ – الفقهاء ، للرجوع اليهم والاستفادة منهم فيما اشكل على القاضي من مسائل معقدة.

٢ – الحكام والقضاة، لمعرفة ما يصدر من الأحكام ، والقيام بردالحقوق إلى اصحابها .

٣ –الشهود ومهمتهم الادلاء بما يعرفونه عن المتنازعين

٤ – الكتاب ، وكانوا يقومون بتدوين أقوال الخصوم والشهود وقرارات الحكم.

٥– الحماة والأعوان ، ومهمتهم التغلب على من يلجأ إلى العنف أو يحاول الهرب من وجه القضاء

كانت محكمة المظالم تنعقد برياسة الخليفة أو الوالي أو من ينوب عنه ولم تكن هناك مباني خاصة بالمحاكم وإنما كانت تنعقد المحكمة بالمسجد فكان الناس يدخلون عليهم مباشرة في اليوم المخصص (الجمعة أو السبت) لعرض ظلاماتهم .

وتعرض ظلامات الناس في رقاع (عرائض) ينظم ترتيبها موظف خاص ويعرضها على الخليفة ليتدارسها مع مجموعة من الفقهاء والعلماء والقضاة المحيطين بمجلسه . فإذا استقر رأيه فيها أصدر حكمه مثبتاً اياه في العريضة نفسها وما على الجهة المسؤولة أيا كانت إلا تنفيذ حكم الخليفة فوراً .

من هنا نرى سلطة ناظر المظالم ونفوذه يفوقان بكثير ما يتمتع به القاضي المقيد في اجراءات وأصول النظر في الدعاوي ، حتى أن الماوردي يعدد لنا عشر صفات لناظر المظالم يفوق فيها بسلطنة سلطة القضاة .

إن المصادر تشير إلى كثير من الدعاوي رفعت إلى ناظر المظالم موجهة ضد الخليفة مباشرة أو ضد احد أفراد أسرته. وفي مثل هذه الحال كان الخليفة لا ينظر في المظلمة بنفسه فيوعز إلى القاضي القضاة لينظر في الدعوى على طريقة المظالم . لا بأسلوب القضاة . لقد حدثت مثل هذه الدعاوي على المنصور والرشيد والمأمون فحكم القضاة لصالح أفراد الشعب .

ولو أحصينا دعاوي المظالم لوجدناها كثيرة وبعضها جماعية تقدمها مجموعة من الشعب كأن تتظلم من أحكام احد القضاة أو من ضريبة الخراج أو من اغتصاب بعض الوزراء للأملاك وقد يتظلمون من بعض الضرائب أو من مواعيد استحقاقها .

لقد اشارت المصادر إلى أن الخلفاء كانوا يبادرون إلى عقد مجلس المظالم بسرعة للنظر في مثل هذه الدعاوي ذات التأثير العام كالخراج

والري والضرائب . ثم ما يلبثون ان يصدروا احكامهم العادلة لتقرأ وتعمم على أقاليم الدولة كافة

نظر الخلفاء في مظالم الشعب كما نظر الوزراء ، وقد أولى العباسيون هذه المؤسسة اهتماماً خاصاً فحضروا جلساتها بأنفسهم وتابعوا تنفيذ أوامرهم بأنفسهم أيضاً وقد استمر جلوسهم للمظالم إلى عهد الخليفة المهتدي أما بعد هذا العهد فقد ضعفت سلطة الخلفاء لتسلط القوى الأجنبية ، فكان من الطبيعي أن تضعف سلطتهم في فرض الأحكام .

ولكن الخلفاء ما لبثوا في فترات انتعاش سلطة الخلافة حتى عاودوا النظر في مظالم الشعب وكان ذلك في أواخر العهد السلجوقي .

لم يقتصر وجود مؤسسة المظالم على حاضرة الدولة (العاصمة) حسب بل انتشرت في كافة اقاليمها ولكن افراد الشعب كانوا يفضلون عموماً المجيء إلى بغداد لعرضها على الخليفة مباشرة .

رابعا : الحسبة :

مهم الحسبة كوظيفة القاضي استحدثت لتطبيق أسس العدالة في المجتمع ولتنفيذ مبدأ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). من هنا كانت وظيفة الحسية ذات سلطة قضائية تتوسط بين القضاء والمظالم . ومع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) كقاعدة اجتماعية تدخل في مجال الأخلاق والتشريع لا يمكن تحديد إطارها بشكل دقيقان الحسبة كوظيفة ادارية اختصت بشكل اساسي في تنظيم احوال السوق ومعاملاته .

نشأتها :

نشأة الحسبة في عهد الرسول الاعظم محمد ﷺ استجابة لحكم الآية الكريمة (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون المنكر اولئك هم المفلحون) وقد تولى الرسول ﷺ الحسبة بنفسه وقلدها غيره واتبعها من بعده الخلفاء ثم صارت ولاية من ولايات الإسلام ونظاما من انظمة الحكم التي جرى عليها الولاة والحكام وفي احاديث الرسول محمد صلِّ الله عليه وسلم اهتمام واضح بالسوق ومعاملات البيع والشراء فيه وحديثه : (وليس منا من غشنا) إنما يشمل غش البضاعة في السوق وبيعها على غير حقيقتها . وقد عين الرسول سعد بن سعيد على سوق مكة لمراقبتها كما استعمل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على سوق المدينة . وفي عهد الخلفاء الراشدين كان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يشرف على أسواق المدينة وحالة الأسعار فيها بنفسه . والمصادر تذكر انه ولى احدى الصحابيات (الشفاء بنت عبد الله العدوية) على سوق المدينة وكانت لها عنده منزلة كبيرة حتى إنه كان يقدمها في الرأي وتولت السيدة سمراء بنت نهيك الأسدية هذا المنصب أيضاً وقد ادركت الرسول الاعظم محمد ﷺ وعمرت طويلاً وكانت تمر في الأسواق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتضرب الناس على ذلك بسوط معها .

كذلك كان الخليفة علي (كرم الله وجهه) يمر في الأسواق ينهي عن الغش في الكيل والميزان ويوصي اصحاب السلع بأخذ الحق واعطاء الحق .

واستمر اشراف الدولة على الأسواق طيلة العهد الأموي وقد اطلق في هذا العهد على الموظف الذي يشرف على الأسواق اسم (العامل على السوق) وانحصرت وظيفته بمراقبة الأوزان والمكاييل .

إن وجود وظيفة العامل على السوق أو صاحب السوق لدليل واضح على عروبة اصول هذه الوظيفة. فوظيفة صاحب السوق اصلا كوظيفة المحتسب في نظم الدولة العربية وفي بداية العهد العباسي أولى المنصور اسواق بغداد اهتماماً ملحوظاً فعين عليها محتسباً وهو المنصور أبو زكريا بن عبد الله . ومنذ ذلك التاريخ صار الخلفاء يعينون محتسبين على أسواق بغداد وغيرها من المدن العربية في مختلف الأرجاء.

أعمال المحتسب:

أعمال المحتسب كثيرة تشمل نواحي أدبية ودينية وعمرانية وأخلاقية ولا نجد في الوقت الحاضر موظفاً حكومياً له سلطة شبيهة بسلطة المحتسب

ويمكن ان نلخص أعماله فيما يلي-:

أ) مراقبة الأسواق للإشراف على الأسعار والمقاييس والموازين والمكاييل وغيرها من المعاملات التجارية لمنع كل ما حرمه الإسلام كالربا والنجش والتطفيف ومنع الاحتكار والاستغلال والغش

ب) مراقبة أرباب الحرف وأصحاب المهن المختلفة كمراقبة الأطباء واجبارهم على دفع دية المريض إذا مات بسبب سوء تصرفهم. وكانت الشروط التي يضعها على الخبازين في النظافة لا نجد لها في الوقت الحاضر .

جـ) مراقبة الآداب العامة في الطرقات والأماكن التي يرتادها الناس لشرب الخمر ومنع الرجال من التعرض للنساء.

د) مراقبة العبادات إذ يأخذ المحتسب المسلمين لصلاة الجمعة والجماعة والأعياد ويمنعهم من الإفطار في شهر رمضان ويعني بنظافة المساجد وهيبتها .

هـ) مراقبة الأبنية والطرقات فيأمر بهدم الأبنية البارزة ويمنع فتح النوافذ على الأبنية المقابلة لها ويأمر أصحاب الدور المتداعية إلى هدمها أنقاضها ويراقب البسطات في الأسواق وعدم اشغال الطريق لتسهيل ورفع حركة المرور .

و) يضاف إلى الأعمال السابقة أعمال أخرى منها ، إجبار السادة على معاملة العبيد والإماء معاملة حسنة ، والسهر على الأطفال اللقطاء والتكفل بهم ، ومنع معلمي الكتاتيب من ضرب الصبيان ضرباً مبرحاً ، ومنع الحمالين وأرباب السفن من الإكثار في الحمل حتى لا تتعرض للغرق في مياه البحار والمحيطات

خامسا : الشرطة :

في ظل الدولة العربية ازدهرت الحضارة وتمت المدن وتوسعت وكان لزاماً على المسؤولين أن يوجدوا لهذه المدن نظماً تنظم نمط الحياة فيها وتوفر للسكان رغد العيش ورفاهه.

لقد ازدهرت المدن في أسواقها ومدارسها وحياتها الاقتصادية وكان لا بد من جهاز أمني منظم يضبط شؤون المدن ويوفر لها استقرارها ، وما استحداث نظام الشرطة الخادمة لهذا الغرض وأول من استن نظام العسس الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكان يعس بالمدينة يحرس الناس وينفض الليل عن أهل الريبة ويكشفهم

وفي خلافة علي كرم الله وجهه عرفت وظيفة صاحب الشرطة الذي يشرف على جهاز الشرطة والأفراد كما استحدثت مؤسسة السجن لحبس الجناة والمخالفين وفي العهد الأموي ازدادت اهميتها والعناية بها وكان صاحبها يختار من علية القوم واهل العصبية والقوة واطلقوا عليه صاحب الأحداث وكانت الشرطة من توابع القضاء في أول الأمر فقد كان الغرض منها تنفيذ أحكام القضاء أو فرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم وإقامة التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة ومساعدة للقاضي في إثبات الذنب على مرتكبه كذلك كان صاحبها يتولى إقامة الحدود كحد الزنا وشرب الخمر وغير ذلك من الأمور الشرعية إذا تنزه عنها القاضي

وفي العصر العباسي ازدادت سلطتها بعد انفصالها عن القضاء وأصبح لصاحبها الحق في نظر الجرائم وايقاع العقوبات .

وكان رئيس شرطة بغداد يعادل مرتبه الحاكم أو الوالي وقد شغل هذا المنصب في عهد الخليفة المأمون طاهر بن الحسين وكان الخليفة بعين صاحب الشرطة في عاصمة الدولة أما في الأقاليم الإسلامية فكان لكل أمير أيضاً صاحب شرطته وكانوا يختارون من كبار القواد وعظماء الخاصة . ومن أبرز الصفات التي كان ينبغي أن تتوفر في صاحب الشرطة هي أن يكون حليماً مهيباً . دائم الصمت طويل الفكر بعيد الغور وأن يكون غليظاً على أهل الريب وأن يكون طاهراً نزيهاً غير عجول.

ويجب عليه عمارة سور المدينة وأبوابها ولم شعثها ومعرفة من يدخلها وإذا أفرج عن أحد من السجن ثم عاد بجرم فليجعل الحبس قبره . ويأمر العامة أن لا يجبروا أحدا ولا ينبهوه للهرب بل يدلوا عليه وينبغي تكون عقوبة الخاص والعام واحدة كما أمرت الشريعة السمحاء.

أولا : الجيش

لم تكن الحرب في الاسلام حرباً من أجل الاعتداء على الغير بل كانت حرباً دفاعية، وقد بين القرآن الكريم في مواضع منه السبب الذي من أجله شرع القتال ، وأذن للمؤمنين في الحرب والجهاد، وقد حضرت هذه الآيات في كتاب تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الاسلامي لأبو زيد شلبي ، كما يمكن الرجوع إلى فهرس محمد فؤاد عبد الباقي في مادة حرب وجهاد وقتال

والخلاصة أن الحرب في الإسلام كانت من أجل أمرين اثنين :

الأول : الدفاع عن النفس عند التعدي .

الثاني : الدفاع عن الدعوة إذا وقف أحد في سبيلها بفتنة من آمن ، أو بصد من أراد الدخول في الإسلام عنه، أو بمنع الداعي من تبليغ دعوته.

وأول آية نزلت في شأن القتال هي قوله تعالى في سورة الحج :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) ويقول الله مخاطباً نبيه (وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ....)

من هذا يتبين أن الاسلام لا يريد القتال، ولا يهدف إليه إلا الغرض الدفاع عن النفس ، أو الدفاع عن الدعوة وفيما يلي الموضوعات الرئيسية في دراستنا للجيش في الاسلام :

١-الجهاد :

كان لا بد للدولة العربية الاسلامية أن تعتمد على قوة حربية منذ بداية نشأتها للدفاع عن نفسها عبد الأعداء، ونشر الإسلام . لذلك كان الجهاد فرضاً على جميع المسلمين وأمر به القرآن الكريم وأكدته

الأحاديث النبوية الشريفة . وهو واجب على كل مسلم يستطيع أداءه . والجهاد هو القتل في سبيل الله، ومن قتل في سبيل الله فمأواه الجنة ، وهذه العقيدة زودت المحاربين بمعنويات عالية . وكان على الخليفة بصفته امام الدولة العربية الاسلامية واجب القيام بالجهاد في (دار الحرب) ، إذ لم يكن يجوز في نظر المسلمين الصلح مع الدول غير الاسلامية ولكن جوز عقد هدنة معها لا تتجاوز عشر سنوات ، وبخاصة حين يحتاج المسلمون إلى مثل هذه الهدنة .

٢-تطور الجيش :

و كانت حياة العرب في الجاهلية معرضة للأخطار بسبب فقدان الأمن وكثرة الغزوات ، لذلك كان على جميع أفراد القبيلة أن يكونوا مستعدين للقتال في سبيل مصالح قبيلتهم . لقد كان المسلمون في حياة الرسول ﷺ جنوداً يجاهدون في سبيل الله وبقيادة الرسول ولم تكن للدولة ميزانية خاصة للاتفاق على الجند لأنهم يتطوعون وينالون أربعة أخماس الغنائم ، وكان كل مقاتل يجهز نفسه بأسلحته ودابته ، فإن لم يتح له ذلك استطاع أن يحصل على الداية من مخازن الصدقة .

ولما بدأت حركة التحرير أيام الراشدين ، احتاجت الدولة إلى جيش كبير دائم يكون على استعداد في أيام الحرب والسلم على السواء. وقد دفعت هذه الحاجة الخليفة عمر بن الخطاب إلى إنشاء ديوان الجند وصرف لعطاء لهم من حراج البلاد المحررة ليتفرغوا للجندية ولا يلجأون إلى الزراعة وامتلاك العقارات فيفقدوا روحهم العسكرية. وقد ابدى الجيش العربي المحرر تسامحا وحسن معاملة الشعوب المحررة واحترام كرامتهم ، وعقد معهم معاهدات امان واكتفى بان يدفعوا ضريبة معتدلة .

شهد الجيش تطوراً كبيراً في العصر الأموي فقد ادخل التجنيد الإجباري أيام عبد الملك . وكان الأمويون قد تأثروا بالنظام البيزنطي العسكري القائم على تقسيم بلاد الشام إلى عدة (اجناد) وكان على العرب أصحاب الأراضي تزويد الدولة بعدد من الجند دونت أسماؤهم في ديوان الجند. وصرفت لهم رواتب معينة علاوة إلى حصتهم من الغنائم ، والحق أن الأمويين اعتمدوا على القبائل العربية في بلاد الشام التي كونت غالبية جندهم .

كان الجند يقيمون في العصر الأموي في ثكنات ومعسكرات بعيدة عن دور الحكومة القديمة في البلاد المحررة وجدير بالذكر أن العرب عمدوا منذ البداية إلى تمصير الأمصار في البلاد المحررة، فيتوا البصرة والكوفة والقطاط وغيرها على شكل معسكرات يقيم فيها الجند المحرر وقسموها إلى القبائل . وفي العصر الأموي كان للجيش داراً لاقامته في كل مدينة ، ولكن إذا مر عند تحركه بالريف فعلى أهل القرى ابولؤه وإطعامه من طعامهم ثلاثة أيام.

وكان العرب في عصر الراشدين والأمويين يحملون معهم نساءهم إلى ميادين القتال وكان جيش الخليفة الخاص يتكون من أجناد الشام وهو يقوم يحرب الروم والقضاء على الفتن الداخلية. أما في الولايات فقد كان الولاة هم المسؤولون عن شؤون الحرب وقد استعانوا بالقبائل العربية التي استوطنت الولايات، ولما كانت حروب الأمويين لا تكاد تنقطع مع جيرانهم البيزنطيين (الروم) فقد وجه الأمويون عناية كبيرة لجيوشهم. وكان التفوق فيقد ابدبإسلام معاملة للشعوب المحررة وإحترام كرامتهم، بل صان حياتهم وأملاكهم وبيوتهم الدينية، وعقد معهم. امان ، واكفى بأن يدفعوا ضريبة معتدلة المحرر رحمن معاهدات الوليد بن عبد الملك سمي عمرة العصر

شهد الجيش تطوراً كبيراً في العصر الأموي فقد ادخل التجنيد الإجباري أيام عبد الملك وكان الأمويون قد تأثروا بالنظام البيزنطي العسكري القائم على تقسيم بلاد الشام إلى عدة (استاد) وكان على العرب أصحاب الأراضي تزويد الدولة بعدد من الجند دونت أسماؤهم في ديوان الجند. وصرفت لهم رواتب معينة علاوة إلى حصتهم من الغنائم ، والحق أن الأمويين اعتمدوا على القبائل العربية في بلاد الشام التي كونت غالبية جندهم

كان الجند يقيمون في العصر الأموي في ثكنات ومعسكرات بعيدة عن دور الحكومة القديمة في البلاد المحررة وجدير بالذكر أن العرب عمدوا منذ البداية إلى تمصير الأمصار في البلاد المحررة، فيتوا البصرة

والكوفة والقطاط وغيرها على شكل معسكرات يقيم فيها الجند المحرر وقسموها إلى القبائل . وفي العصر الأموي كان للجيش داراً لاقامته في كل مدينة ، ولكن إذا مر عند تحركه بالريف فعلى أهل القرى ابولؤه وإطعامه من طعامهم ثلاثة أيام. خطط

وكان العرب في عصر الراشدين والأمويين يحملون معهم نساءهم إلى ميادين القتال وكان جيش الخليفة الخاص يتكون من أجناد الشام وهو يقوم بحرب الروم والقضاء على الفتن الداخلية. أما في الولايات فقد كان الولاة هم المسؤولون عن شؤون الحرب وقد استعانوا بالقبائل العربية التي استوطنت الولايات، ولما كانت حروب الأمويين لا تكاد تنقطع مع جيرانهم البيزنطيين (الروم) فقد وجه الأمويون عناية كبيرة لجيوشهم. وكان التفوق في هذه الحروب للمسلمين في أول الأمر حتى كادوا يستولون على القسطنطينية مرتين مرة أيام معاوية ومرة أيام سليمان بن عبد الملك ، غير أن البيزنطيين انتهزوا فرصة الفتن والانقسامات الداخلية في أواخر العصر الأموي فأخذوا يغيرون على البلاد الاسلامية المتاخمة لهم. ومع ذلك ظل الأمويون يقومون بغزوات سنوية منظمة على أراضي البيزنطيين وبخاصة في الصيف وهي التي سميت بالصوائف

ظل التطوع للجهاد قائما في جميع العصور الاسلامية ، وقد ساهم المتطوعون في الغزوات على حدود الدولة البيزنطية وفي مناطق الحدود على قامت (الربط) التي امتلأت بالمتطوعة ، وهي المعسكرات التي يكونون فيها على استعداد دائم للحرب. ثم أصبح (الرباط) فيما بعد نوعا من حصول العبادة يعيش فيه رجال جمعوا الزهد والجهاد وأسهموا في الحروب ضد الروم .والصليبيين فيما بعد.

وقد ازداد عدد أفراد الجيش في العصر العباسي حتى بلغ مئات الألوف من الجند. فكان جيش العراق وحده (٥٢١) ألفا ، وكانت للجند النظامي رواتب تدفع من ديوان الجيش (الذي سمي فيما بعد ديوان العرض). وكان راتب الجندي يبلغ عشرين درهماً في الشهر وهو مبلغ يكفي للمعيشة الاعتيادية بسبب القوة الشرائية للدرهم ورخص أسعار الحاجات الدولة بالصرف على تغذية الجنود وسلاحهم .

٣- قيادة الجيش وتشكيلاته :

كان الخليفة نادراً ما يقود الجيش ، ولكننا لا نعدم خلفاء خرجوا إلى الغزو بأنفسهم مثل هرون الرشيد . غير أن قيادة الجيش عهد بها كل جبهة إلى قائد يدعى (الأمير) وكانت طاعة القائد واجبة لطاعة الخليفة ، لأنه ينوب عنه في القيادة وإمامة الصلاة. وكان إذا اجتمع أكثر من قائد في مكان ما جعل الخليفة أحدهم مقدماً على الآخرين فيصبح هذا القائد بمثابة (قائد القواد).

وإذا توقفت الحرب أصبحت مهمة هؤلاء القادة مقصورة على النظر في أمور الجند وتدريبهم .

لما ضعفت الخلافة العباسية وتعددت الدويلات الاسلامية ظهرت القاب عديدة تدل على قائد الجيش مثل : أمير الأمراء ، وأمير الجيوش ، ورئيس الرؤساء ، وقائد القواد ومع ذلك بقي الخليفة من الناحية النظرية القائد الأعلى لجيش المسلمين ومن ثم احتفظ بلقبه (أمير المؤمنين).

ومنذ العصر الأموي هجر العرب تنظيم الجند في صفوف تجري في مقدمتها المبارزات الفردية التي كانت مجالاً لإبراز الشجاعة والمفاخر ، وتبنوا نظام تعبئة يقوم على تقسيم الجيش إلى خمسة أقسام أو كتائب هي : الميمنة . والميسرة والقلب – حيث يكون القائد والمقدمة والساقة أي المؤخرة . وهذا النظام يقوم على تقسيم الجند إلى مجموعات في عشرات ومئات وألوف على شكل مربعات أو مثلثات أو أهلة . وظل هذا التقسيم معمولاً به في أيام المماليك والعثمانيين وأطلق على القائد الذي يقود عشرة جنود لقب عريف ، والذي يقود مائة لقب نقيب أو خليفة والذي يقود الفا لقب قائد . أما لقب أمير فأطلق على القائد العام للجيش .

ونجد بجانب المقاتلين من الفرسان والرجالة طوائف أخرى كثيرة تقوم بخدمة الجيش وتسهيل مهمته مثل النفاطين وضاربي المنجنيق والعيون وهم الطلائع الذين يرصدون تحركات العدو كما نجد القضاة والأطباء

والمؤذنين والقراء والنجارين والحمالين

٤-الأسلحة والفنون الحربية

كان العرب في الجاهلية يعيشون في حالة حرب مستمرة بسبب فقدان سلطة مركزية عليا . وقد أدى هذا إلى تدربهم على القتال وإلى اهتمامهم الكبير بالأسلحة التي صنعوها أو عملوا على توفيرها بشرائها من البلدان المجاورة لهم فاقتنوا السيوف والرماح والأقواس والسهام والدروع وغيرها . وكان من مبادئ تربية الصبيان قبل الإسلام وفي صدره تعليمهم العلوم والرماية

كانت السيوف ابرز السلعة العرب والمسلمين وهي أنواع منها اليمانية والهندية والمشرفية والبصرية . اما الرماح فقد اشتهرت عندهم منها الردينية (نسبة إلى امرأة تدعى ردينة اشتهرت في الجاهلية بتثقيف الرماح) والسمهرية والخطية التي كانت تستورد من الهند وتباع في مدينة الخط في البحرين .

وكانت أسنة الرماح العربية تختلف ما بين مشعبة وعريضة ودقيقة ومموجة ومستوية . وكانت الرماح في الجاهلية وفي صدر الاسلام تعقد برؤوسها الألوية (الأعلام) ، وكان يحملها الفرسان في المواكب. أما في الحرب فكان يقاتل بها الفرسان على الخيل .

وعرف العرب الأعمدة واستخدموها في مختلف العصور. كذلك عرفوا أنواع الخناجر والنصول والفؤوس وتفنن العرب في صنع السهام ، فمنها (النشاب) ذات النصول المثلثة من الخشب ومنها (الجرادة) وهي قصيرة تطلق نحو الهدف فتجري بسرعة هائلة ، ومنها النبل وهي السهام المعروفة. وحذقوا في استعمال الأقواس التي نطلق باليد وبالرجل أو التي تشد من ركاب الخيل .

وبرع العرب في استخدام آلات الحصار لحاجتهم إليها ، فعرفوا المنجنيق وهو آلة تقذف الحجارة أو اللهب، وعرفوا الدبابات والأبراج والستائر وكلها من آلات الحصار يكمن داخلها الرجال ويستخدمونها في ثقب أسوار القلاع والحصون. والحق أن العرب عرفوا هذه الأسلحة في وقت مبكر بحيث أن النبي ﷺ إ ستخدم المنجنيق والدبابة الضبور (نوع من الدبابة يصنع من الخشب المغطى بالجلد) في الطائف.

ولبس المحاربون العرب على رؤوسهم الخوذة (البيضة) ، كما أنهم وقوا أجسامهم بالدروع التي صنعت من الحديد في الغالب ومنها ما كان يغطي الصدر وهي (الجواشن) ومنها ما يغطي الجسم كله وهي الدروع المسبلة . وبسبب حب العرب للخيل وما اشتهر عنهم من فنون الفروسية فقد اهتموا بوقاية خيولهم خلال الحرب فالبسوها التجافيف وهي دروع حديدية تغطي أجسادها وتصد عنها إصابات الأعداء

وإستخدم العرب النفط في حروبهم وكانت فرقة النفاطين من الفرق الأساسية في إرباك صفوف العدو وإحراق سفنه وقلاعه . وبسبب الاحتكاك بالبيزنطيين اقتبسوا (النار اليونانية) وهي عبارة عن تركيب كيمياوي أساسه النفط يستخدمه النفاطون في إشعال الحرائق في جبهة العدو .

وكان الجيش العباسي يزود بكل ما يحتاج إليه من المعدات مثل الخيام والدواب من الخيل والجمال والفيلة والبغال . ونجد (خزائن السلاح) من المؤسسات الرئيسة في بغداد أيام العباسيين وتكون موضع عناية الخلفاء وقد استخدم في (خزانة السلاح) و (خزانة السروج) أيام العباسيين عدد كبير من الصناع والموظفين .

برع الجيش العربي الاسلامي في كل فنون الحرب المعروفة في العصور الوسطى فكانوا في حالة الدفاع يحفرون الخنادق ثم عمدوا إلى إنشاء القلاع والحصون. واستخدموا الكمائن والخدع الحربية ولجأوا إلى عرقلة العدو بإحراق الأرض أو إستخدام الثعالب والكلاب وذلك بأن يعلقوا النار في اذنابها ثم يطلقوها لتعدو في معسكرات العدو .

تميز الجندي العربي بالخفة وسرعة الحركة والصبر على الجوع والعطش والتعب وكان الانضباط عالياً بين صفوف الجند فقد شدد القواد بالعقاب على الذين يعبثون بالنظام أو الذين يتعرضون للسكان المدنيين . ومما ساعد على حسن السلوك قوة العقيدة الدينية . وقد اتبع العرب المسلمون الرأفة مع الأسرى ومعاملتهم معاملة كريمة ، وسلكوا مسلكاً إنسانياً مع الأعداء فكان لا يجوز قتل الشيوخ والرهبان والنساء والأطفال في حروب ولا في سلم . ومن جهة أخرى اتبع العرب المسلمون أسلوب تبادل أسرى الحرب واسلوب (الفداء بالمال)

٥- فنون القتال :

أما تنظيم الجيوش الاسلامية وفنونها القتالية فقد تطورت مع الزمن ووصلت إلى درجة عالية من التنظيم والمهارة . في بداية العصر الإسلامي كان ترتيب المقاتلين العرب حسب قبائلهم . ثم أصبح الترتيب حسب اختصاصهم في المعركة. وكان قائد الجيش يحمل لقب أمير ، وفي العصر العباسي وجد منصب أمير الأمراء : أي قائد الجيوش كلها . واتخذت كل فرقة عسكرية راية خاصة بها ، وكان لبعض الفرق زيها العسكري المميز وكان قائد الجيش يتخذ لواء وهو الراية الكبرى، ورمز القيادة ، وينصب بجانب خيمته في وسط المعسكر وقبل بدء المعركة كان الجيش يعبأ في خمسة أقسام ولذلك عرف الجيش الاسلامي باسم الخميس : وهذه الأقسام هي : المقدمة ، القلب . والميمنة، الميسرة ، الساقة. على أن ضرورات المعركة وطبيعة أرضها كانت تحتم بعض التعديل في شكل هذه التعبئة ، خاصة إذا كانت المنطقة جبلية وعرة ، فكان الجنود المقاتلون ينظمون أحياناً في مجموعات صغيرة يعرف كل منها باسم كردوس (جمعها كراديس) ، ويدخلون المعركة صفوفاً متتابعة

وكان الجيش يتألف من أنواع مختلفة من المقاتلين مثل الفرسان أو الخيالة : والمشاة ؛ والنشابة أي رماة السهام ؛ وفئات الآليات ، والوحدات المختصة بناء الجسور ؛ ومجموعات الخدمات الطبية والاسعاف . ومن بين المجموعات المقاتلة كان الدور الرئيسي للفرسان أو الخيالة خاصة في الهجوم. وكان رماة السهام يعملون

على إيقاع الاضطراب في صفوف العدو . بينما يتصدى المشاة للهجمات المعادية ، ويسعى الخيالة بهجماتهم الحرق صفوف العدو والاحاطة به. وقد برع الخيالة العرب بخفة الحركة وسرعة الكر والفر ، أي الهجوم الخاطف . ثم الانسحاب السريع مؤقتاً . فالهجوم كرة أخرى. كما برع الفرسان الأتراك المسلمون في هذا الفن. وقد برع المسلمون في حصار المدن والحصون ، وتطور لديهم من الحصار نتيجة معاركهم الكثيرة. فقد استخدموا سلالم من الحبال لتسلق الأسوار وعمدوا إلى عمل نفق سري يوصل إلى قاعدة السور ، ثم إلى عمل خرق في قاعدة السور نفسه ، ومن ثم إشعال النار فيها فيضعف السور ويتهاوى . وقد عرفت هذه العملية باسم النقب ، وقد بلغت فنون الحصار درجة عالية أثناء حروب المسلمين ضد الصليبيين .

٦- نفقات الجند :

كان مورد رزق الجنود في الجيش الاسلامي في عصور الفتوحات من الغنائم ، ثم من العطاء . وكان العطاء ،وهو الراتب السنوي للجندي النظامي ، يتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ درهم أيام الراشدين والأمويين . وكان القادة يتناولون عطاءاً أكثر من ذلك . ومع الزمن توقفت حركة الفتوحات . وعندما ضعفت الدولة العباسية وظهرت الدويلات الاسلامية في الأقاليم اصبحت لها جيوشها وظهرت أساليب جديدة لتأمين أرزاق المقاتلين . وأصبح دفع رواتب الجند وتأمين أسلحتهم وعتادهم وخيولهم يكلف كثيراً . ولذلك عمد الخلفاء والحكام إلى منح مقاطعات بأكملها إلى أمراء شريطة أن يقدم هؤلاء جنوداً مجهزين بالأسلحة والخيل والأدوات للحاكم عند الحاجة . وبنفس الوقت أصبح من المعتاد أن يمنح كبار القادة العسكريين حق جمع الضرائب في منطقة معينة . وأدى هذا بالتالي إلى قيام النظام المعروف بنظام الاقطاع في التاريخ الاسلامي وقد ظهر هذا النظام خاصة منذ العصر السلجوقي (ق ٥ هـ / ١١م) . وبموجبه كان السلطان السلجوقي يمنح بعض أتباعه الحق في جباية الضرائب عن منطقة زراعية معينة . دون أن يكون لهم الحق في ملكيتها. وكان متولي الاقطاع يدفع جزءاً من قيمة الضرائب التي يحصلها لخزينة السلطان وبلغ نظام الاقطاع ذروته في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين في عصر الأيوبيين والمماليك.

٧- اثر المرأة في الجيش :

كان للمرأة في الجيش في الجيش أكثر فعال بسقي الجند وتضميد الجرحى وتذمير الجيش وتحميسه للقتال . وكثيراً ما كانت تقاتل اذا حمى الوطيس ، ورخصت النفوس ، وكان لوجودها في الجيش أثره في تحميس الرجال فإنهم كانوا إذا رأوا النساء استحيوا من القرار ، واستهانوا بالموت ، فيتم النصر لهم على عدوهم .

وقد قاتل النساء من بعض غزوات النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده ، وإن التاريخ الاسلامي ليفخر بمثلة نسيبة بنت كعب المازنية التي دافعت عن رسول الله في غزوة أحد حتى لقد قال فيها : وما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني ، وقد شهدت قتال مسيلمة الكذاب باليمامة وجرحت يومئذ الي عشر جرحاً ، وقطعت يدها

وكن في غزوة أحد قد جئن أربع عشرة امرأة منهن فاطمة عليها السلام يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ، ويسقين الجرحى ، ويداوينهم ومنهن ام سليم بنت ملحان ، وعائشة أم المؤمنين...

وفي غزوة الخندق قتلت صفية بنت عبد المطلب اليهودي الذي كان يطيف بالحصن حتى لا يدل على عورة المسلمين ، بل إنهن لم يكتفين بالغزو في البر بل ركبن البحر وغزون فيه ، فهذه أم حرام بنت ملحان تصحب زوجها عبادة بن الصامت مع بنت قرظة امرأة معاوية بن أبي سفيان في أول غزوة بحرية يقوم بها المسلمون (صحيح البخاري باب غزو المرأة في البحر، فتوح البلدان للبلاذري .

وحمل مسلمة بن عبد الملك حينما غزا و (عمورية) ، نساء معه ، وحمل ناس ممن معه نساءهم، وفي سنة ١٣٩ هـ ، استرد المسلمون (ملطية) ، وكان في الحملة ثنتان من عمات الخليفة المنصور .

ولقد امتدح (ادوارد جيبون) في كتابه سقوط الدولة الرومانية شجاعة النساء المسلمات في حصار دمشق فقال:

(إن هؤلاء النساء اللاتي تعودن الضرب السيف والطعن بالرمح ، والرمى بالنبل هن اللاتي إذا وقعت إحداهن في الأسر تكون قادرة على حفظ عفتها ، وصون دينها من أي انسان تحدثه نفسه بارادتها بسوء) .

ثانيا : البحرية :

١ – تطور القوة البحرية

كان للإحاطة البحار يشبه الجزيرة العربية من ثلاث جهات أثر في تطور الملاحة على سواحلها قبل الاسلام ، لذلك كانت على اتصال بالبلاد

الأخرى بحراً منذ العصور القديمة . وقد ازدهرت التجارة البحرية بين شبه جزيرة العرب ومصر والهند وكان معظمها بيد عرب الجنوب الذين قاموا برحلات تجارية طويلة مع الشرق الأقصى وجلبوا منها البضائع النادرة وتركوا آثار في علم البحار تدل على مدى تقدمهم في الملاحة . كما كان اهل البحرين وعمان يشتغلون بصنع السفن والملاحة ، وكانت لهم موانئ كبيرة أشهرها دارين ، وقد ساهموا في الملاحة في الخليج العربي والمحيط الهندي ، وقد وصف طرفة بن العبد سفنهم في معلقته المشهورة

يحدثنا التاريخ أن الشاطئ اليمني جنوب الجزيرة العربية كان لفترة طويلة في القرن الأول للميلاد يزدحم بأرباب السفن والملاحين العرب ، وكان يسكن هذا الشاطئ قبيلة (حمير) التي عرف أبناؤها في هذا القرن بنشاطهم البحري ، إذ كانوا على اتصال دائم بمدن الصومال وأرتيريا والهند وفارس.

وكذلك يحدثنا التاريخ أن الحبشة أسسها عرب الجنوب الذين حكموا (الصومال) وما جاورها . وأن (زنجبار) كان يحكمها سلطان عربي وكل هؤلاء قدموا إلى هذه البلاد واستوطنوها مع جاليات ضخمة من العرب عن طريق البحر ، بسبب نشاطهم الملاحي الذي كان سبباً لانتشارهم في أكثر البلاد والمدن الساحلية التي تقع على ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي وخليج فارس .

ولقد عرف العرب قديماً الأنواء البحرية ومواعيدها ، كما عرفوا الأيام التي تهب فيها الأنواء الموسمية ، وعينوا الأيام الصالحة للملاحة ، حتى أن المسعودي يقول : أن التجار العرب كانوا يستعينون في أسفارهم بدليل بحري سموه (رهماني) وهي كلمة فارسية تعني – دفتر ارشادات الملاحة . و

والعرب المسلمون هم أول من استعمل الإبرة المغنطيسية في الأسفار البحرية . وكان ذلك في القرن الحادي عشر للميلاد أو قبله . كما أن البحارة الطليان هم أول من استعمله في أوروبا بعدهم.

ولم يكن العرب بعد الاسلام أقل عناية بالبحر والملاحة منهم قبل الاسلام ، بل لقد زادت هذه العناية، وتوسعوا في أعمال الملاحة فاتخذوا الأساطيل الحربية إلى جانب السفن التجارية التي كانت تمخر عباب المحيط الهندي والبحر المتوسط بعد اتساع الفتح العربي والقضاء على الإمبراطوريتين الرومية والفارسية .

وصلات العرب بالحبشة عن طريق التجارة البحرية قبل الاسلام وبعده أشهر من أن تعرف، لا سيما النبي الكريم قد أفاد من هذه الصلات حين أمر المؤمنين بالهجرة إلى الحبشة لما اشتد أذى مشركي قريش لهم . ولقد أحسن (النجاشي)ملك الحبشة استقبالهم في مملكته ، وأمنهم ولم يسلمهم حين طلب إليه كبار قريش من المشركين دفعهم إليهم، لينتقموا منهم ، وليردوهم إلى دين الوثنية .

والتاريخ يروي لنا أيضاً، أنه كان للجالية العربية الاسلامية التي سكنت الصين بسبب صلاتها التجارية البحرية معها امتيازات خاصة عند ملك الصين ، إذ منحهم حق احالة خلافاتهم إلى قاضي منهم ، يحكم بينهم بمعزل عن القضاء الصيني .

وعندما بدأ القرن الثامن الميلادي أصبح للعرب ملك واسع الإرجاء إذ أنهم في أواخر القرن السابع وفي بداية هذا القرن فتحوا بلاد ما وراء النهر أي بلاد العجم أو فارس وبلاد أفغانستان وبلاد الأندلس ، فامتدت دولتهم من حدود الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز إلى صحارى أفريقيا. وكان لهذا الاتساع العظيم أثره في اهتمام العرب بالرحلات البحرية .

وهذا الملك الواسع الذي أسسه العرب كانت أنحاؤه المختلفة تتطلب الدراسة والوصف ، مما دفع بعض الخلفاء والحكام المسلمين إلى أن يوفدوا مبعوثهم وسفراءهم إلى البلاد الاسلامية والعربية المختلفة لدراسة أحوالها ومعرفة طبائع سكانها وبيان الطرق والمسالك المؤدية إليها ، تمهيداً لتطبيق أحكام الشريعة بين سكانها لتوثيق الروابط بين السلطة المركزية وبين حكام الأقاليم ، وقد اقتصرت هذه الرحلات على الدولة الاسلامية .

وإتسع نطاق التجارة إسلامية فانتشرت قوافل التجار المسلمين في أغلب أجزاء العالم المعروف في ذلك الوقت ، وخاضت سفنهم مختلف البحار والمحيطات وعرفتهم الطرق التجارية المعروفة يومئذ ولم تقتصر تلك الرحلات على البلاد العربية بل تجاوزتها إلى الدول المجاورة .

ومن الثابت أن العرب المسلمين ظلوا سادة البحر في المحيط الهندي حتى سنة ١٤٩٨ للميلاد ، وعندما دخل البرتغاليون مياه هذا المحيط واختاروا مرشدهم في هذا البحر تاجراً عربياً مشهوراً هو (أحمد بن ماجد) إذ قاد سفينتهم من (ملندي) شرق افريقيا إلى (كلكتا .

ولم يمض على الفتح العربي واحتلال العرب لبعض شواطئ البحر الأبيض المتوسط زمن طويل حتى شعر الولاة العرب بالحاجة إلى أسطول عظيم يحمي شواطئهم من غارات الأسطول الرومي عليها ، فلقد كان الأسطول البيزنطي يغير بين حين وآخر على سواحل سوريا وفلسطين ومصر ، فينال فيها ، ثم يقفل راجعاً..

وفي فترة قصيرة صار للعرب أسطول ضخم يجوب البحر المتوسط دون خوف أو وجل من الأسطول البيزنطي الذي ظل حتى ذلك الوقت سيد البحر الأبيض المتوسط من شرقه إلى غربه

ولما ظهر الإسلام وبلغت حركة التحرير العربية السواحل المحيطة بالعرب أبدى بعضهم ميلاً إلى ركوب البحر . وكان أول من قام بغارة بحرية من شواطىء شبه الجزيرة هو عثمان بن العاص الثقفي والي البحرين الذي قام بغارة على ساحل الهند أيام الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان حريصاً على العرب ، وقد دفعه حرصه هذا إلى عدم ارتياحه من ركوبهم البحر ؛ وأراد العلاء بن الحضرمي والي البحرين عام ١٧ هـ الذي خلف عثمان بن العاص أن يظهر جرأته فعبر إلى فارس بالسفن غير أن الخطاب غضب عليه غضباً شديداً فقرر عزله لأنه لم يستأذنه ولما طلب معاوية بن أبي سفيان والي الشام من عمر أن يأذن له في غزو بلاد الروم بحراً منعه وحذره أن يعرض العرب المسلمين لأخطار البحار .

غير أن الخليفة عثمان بن عفان سمح في سنة ٢٧ هـ لمعاوية في غزو جزيرة قبرص ، وبدأت الحملة من عكا في سنة ٢٨ هـ بمراكب كثيرة والتحق من مصر أسطول آخر وتمت الغزوة بنجاح ، وقد شجع هذا النجاح على تطور البحرية العربية. وكانت سياسة العرب البحرية في هذا الحقبة حذرة ودفاعية واهتموا بالدرجة الأولى بتعزيز الحصون في مدنهم الساحلية .

كانت مصر في مقدمة البلاد التي ساهمت في بناء الأسطول العربي لأن صناعة السفن كانت أكبر صناعات الاسكندرية . وإلى جانب السفن والأسطول التجاري كانت مصر تصنع كذلك السفن الحربية لها وللدولة البيزنطية قبل تحريرها . وكانت السفن الحربية على نوعين ، نوع كبير كالبوارج وتتسع الواحد لألف رجل ، ونوع صغير كالطرادات وكانت الواحدة تتسع لمائة رجل ، وهذه الأخيرة مهمتها السير السريع والالتفاف حول السفن الكبرى ويروى أن الأسطول العربي الذي أرسل لفتح القسطنطينية أيام معاوية تكون ثلاثمائة سفينة كبرى تحمل كل منها ألف رجل وخمسة آلاف طرادة تحمل كل منها مائة رجل مما يدل على سرعة تطور الأسطول العربي وضخامة عدد لمائة من قطعاته.

كانت السفن الحربية مزودة بالات القذف من المجانيق ، ومن آلات رمي الحجارة ، وفيها الأبراج العالية تستعمل في تسلق الأسوار المحصنة وذلك بأن يقيموا قنطرة من الألواح على الفضاء القليل الذي يفصل بين البرج والسور يعبرون عليها. وكانت مجهزة بالات تقذف (النار اليونانية. (

وكان للعرب اسطول في البحر الأحمر أيضاً، وقد استخدموه في نقل الحنطة وغيرها من مصر إلى الحجاز.

وفيوفي سنة ٣٥ هـ استطاع العرب أن ينتصروا على الروم (البيزنطيين) لكثيرة ساريات العربي . في معركة (ذات الصواري)البحرية والتي سميت بهذا الاسم لكثيرة ساريات السفن التي اشتبكت في القتال . وقد أدى هذا النصر إلى دعم سيادة الأسطول العربي على الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط. لذلك عمد معاوية بعدها إلى القيام بمحاولة غزو القسطنطينية عاصمة الروم نفسها . وقد قوى معاوية الثغور البحرية في مصر والشام وشحنها بالجند المدربين على ركوب البحر ووجه إهتماماً كبيراً إلى دور الصناعة التي تصنع السفن الحربية وغيرها من المراكب التي تنقل المؤن والعتاد . وعلى الرغم من أن العرب لم يستطيعوا الاستيلاء على القسطنطينية بعد حرب استمرت سبع سنوات فإنهم أثبتوا للروم أن عاصمتهم أصبحت مهددة بالأسطول العربي.

كانت في العصر الأموي ثلاثة أساطيل مستقلة عن بعضها ، ويعمل كل منها في منطقة معينة هي : أسطول مصر وأسطول سورية ثم أسطول شمال أفريقية هذا علاوة على وحدة بحرية صغيرة تعمل في البحر الأحمر وقد انعقد لواء كل من هذه الأساطيل لأمير من أمراء البحر.

قام الأسطول العربي في العصر العباسي بنشاط واسع في اقر يطش (كريت) وقد حاول الروم الحد من هذا النشاط بشن الغارات البحرية على شواطئ مصر غير أن الخليفة المتوكل على الله أمر ببناء حصون على ساحل البحر المتوسط مما عزز الدفاع عن هذه السواحل

وفي عصر الطولونيين قام أحمد بن طولون منذ توليه مصر في سنة ٢٥٤ هـ بدعم القوة البحرية هناك فاهتم بتجديد بناء (دور الصناعة) التي تقوم بصنع السفن وقام بصنع مائة مركب حربي كبير وعدد من السفن الصغيرة .واهتم ابن طولون أيضاً بالثغور الشامية وحصنها وأخذ الأسطول الطولوني يقوم منها بالهجوم

على جزر بحر إيجة وموانئ اليونان . وقد كافات الخلافة العباسية ابن طولون على نشاطه ضد الروم فولته إمارة أقليم العواصم والثغور علاوة على مصر والشام وحين توفي هذا الأمير ترك أسطولاً بلغ مجموع سفنه الكبيرة والصغيرة وكذلك التجارية منها نحو ألف قطعة.

كذلك عني الإخشيديون بمصر بالأسطول فأنشأوا المراكب الحربية ونقلوا جزءاً من دار صناعة السفن من جزيرة الروضة إلى الفسطاط في دار (صناعة السفن . (

واهتم الفاطميون بصناعة السفن كثيراً في دور والإسكندرية ودمياط. وأخذت الدولة الفاطمية تثبت سلطاتها على قواعد بلاد الشام البحرية وتطرد الروم من أطراف الشام الشمالية . وقد أنزل الأسطول العربي في هذه الفترة هزيمة ماحقة بالأسطول البيزنطي في مينائي صور وطرابلس . وحين ظهر خطر الصليبيين الذين أخذوا يغيرون على سواحل الشام والاستيلاء عليها ابتداء من سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م حاول العرب رد هذا الخطر باستخدام أساطيلهم الكبيرة لكن ضعف الدولة الفاطمية في هذه الحقبة لم يتح لها إيقاف هذا الخطر الداهم .

وقد خص صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية الأسطول بعناية كبيرة وأنشأ ديواناً سماه (ديوان الأسطول) وفي عهده حقق الأسطول العربي انتصارات باهرة على الصليبيين الأوروبيين في عدة مواقع حربية في موانئ الشام غير أن حالة الأسطول انحطت بعد عهد صلاح الدين.

ولما آلت مصر إلى المماليك عملوا بهمة على استعادة قوة الأسطول إلى ما كانت عليه أيام صلاح الدين . وقد بدأ الظاهر بيبرس منذ سنة ١٢٦٠ م بتكوين قوة بحرية ضخمة تستطيع رد خطر المغول الذين كانوا يغيرون على سواحل الشام واستطاع هذا الأسطول القضاء على قوة المغول في سواحل يافا وإنطاكية قضاء مبرماً ثم توجه بيبرس للقضاء على الصليبيين فهزمهم سنة ١٢٩١ م واخرجهم من آخر معاقلهم في عكا وتم تطهير بلاد الشام من فلولهم ، لكن أمر الأسطول أهمل في آخر عهد المماليك حتى استطاع العثمانيون الاستيلاء على مصر.

٢ – أنواع السفن العربية ومعداتها :

قام العرب المسلمون بصنع أنواع عديدة من السفن والشواني وشحنوها بالرجال والسلاح وسموا مجموع السفن أسطولاً وعلى مر الأيام برعوا في صنع السفن وأكثروا منها حتى ملأوا البحار بها ووضعوا لها أسماء بحسب إختلاف أشكالها وتباين حجومها وتستمد السفن العربية أسماءها من شكل الهيكل مثل البغلة والقنجة والسنبوق والجهازي وغيرها

وقد تكون القسم الأمامي من هيكل السفينة المقدمة والجؤجؤ وهو من صدر السفينة ، والدقل وهو سهم السفينة . ومن الأجزاء المهمة في مقدمة السفينة (الانجر) وهو مرساتها. وفي القرن الرابع الهجري كانت للسفن عابرة المحيطات أكثر من مرساة قد تبلغ الستة أحياناً . أما المؤخر فهو أجزاء المركب الخلفية ويتكون من السكان أو الخيزرانة أو الكوتل أي الدفة وهي التي تدير السفينة يميناً وشمالاً وكانت الدفة الجانبية هي النوع الوحيد الذي عرفه العالم القديم والوسيط ، لكن العرب عرفوا دفة المؤخرة . أما القاع فهو جوف السفينة في أسفل أجزائها ، والجمعه الموضع الذي يجتمع فيه الماء الراشح والسلوقية مقعد الربان من السفينة .

وكانت هياكل السفن تصنع من خشب أشجار الصنوبر الذي كان يغطي أحياناً بطبقة من خشب البلوط . أما السفن الحربية فكانت تصنع من خشب البلوط ثم تغطى بطبقة من خشب الزان . ومن الأخشاب المهمة التي استخدمت في صنع السفن خشب أشجار اللبخ والسنط والأرز اللبناني وأخشاب بلاد الأناضول ، وبعد أن تبني السفن تكسى ألواحها من الخارج بالقار أو الشمع أو بكليهما .

ولما كانت طبيعة البحار مختلفة فإن العرب جعلوا لكل بحر أنواعاً الخشب لتقاوم التيارات والأمواج والصخور ، لذلك إستخدموا خشب الساج وهو أنفس أنواع الخشب وأكثرها مقاومة للمؤثرات البحرية والجوية في بناء السفن التي تمخر المحيط الهندي والبحر الأحمر ، وفي هذه السفن لم يستخدم العرب المسامير، إنما استخدموا الليف في تثبيت الألواح لأن مياه هذا البحار تؤثر في الحديد، في حين استعملوا المسامير في سفن البحر المتوسط ، وكانوا يعقلون حول المراكب من الخارج الجلود أو اللبود المبلولة بالخل أو الماء والشب وبعض المواد الأخرى لمقاومة أذى النفط خاصة .

من أما معدات السفن الحربية فكانت الزرد والخوذ والدرق والتراس والرماح والكلاليب والسلاسل ذات الرمانات الحديدية. وكانوا يجعلون في أعلى السارية صندوقاً مفتوحاً من الأعلى يلقي منه الرجال الحجارة أو

النار على سفن العدو . ومن الأدوات في السفن اللجام وهو كالفاس في مقدمة السفينة على شكل سنان ورمح بارز يساعد على خرق سفن العدو عند الاصطدام بها. وكانوا إذا اقتربوا من مركب العدو ألقوا عليها الكلاليب وجذبوها إليهم ثم يلقون عليها ألواحاً فيعبرون إليها .

وكان من أجزاء السفن المهمة المجاذيف التي كانت كثيرة توضع في صفوف مناسبة وتعتبر الصواري والشرع قلب السفينة وهي التي تسيرها وتحركها .

وقد تفنن العرب المسلمون في صنع السفن وزخرفتها حتى صنعوها على شكل الحيوانات كالفيل والأسد والفرس والعقارب.

٣ –قيادة الأسطول :

يعرف رئيس الملاحين بالربان . وكانت الوظائف والواجبات التي يقوم بها الربان تتطلب معرفة شاملة . فقد كان عليه تدبير سير الأسطول بالريح أو بالمجاذيف وأن يعرف مسالك البحر ومجاريه بواسطة إطلاعه على إرشادات الملاحة التي تحوي جداول فلكية وخطوط العرض ومعلومات عن الرياح والسواحل والشعاب ، بل كان على معرفة بالمد والجزر وعلوم البحار . هذا فضلاً . عن معرفته المسافات والقياس ومطالع النجوم ومغاربها . ا

يتحدث ابن خلدون (المقدمة ٢٨١) عن الربان وقائد الأسطول فيعتبر قيادة الأساطيل من مراتب الدولة العليا . وكان يطلق على وزير البحر (مقدم الأسطول) في دولة بني الأغلب حيث كان أمر الأسطول يرجع إلى قائد النوتية يدير أمور الحرب والسلام والمقاتلة ، ورئيس يدير تسيير الأسطول بالريح أو المجاذيف ورسوه في المرفا .

ومن الوظائف المهمة في البحرية التي تلي الربان وظيفة الديدبان وهو الرقيب الذي يقف في مقدمة السفينة يتطلع أحوال البحر في حالة السلم وأخبار العدو في وقت الحرب ، وهناك المنادي ومهمته تبليغ أوامر الربان إلى الملاحين والنوتية . ومن الوظائف الدليل الذي يرشد السفن عند دخولها أو المرور على السواحل الوعرة والمضايق الخطرة ويتولاها عارف بفنون الملاحة ومجاري الرياح والتيارات المائية والحسابات الفلكية . أما في حالة الحرب فكان إلى جانب الربان قائد أو رئيس يتولى قيادة الجنود في المعارك البحرية .

ارتقى فن البحرية العربية كما نرى وعني العرب ببناء دور الصناعة في كثير من الموانيء ولما اتصل الفرنج بالعرب بطريق الأندلس والحروب الصليبية وتأثروا بحضارتهم اقتبسوا منهم فيما اقتبسوا لفظ (دار الصناعة)وهو المكان الذي تصنع فيه السفن فقال الاسبان واخذت عنهم اللغات Darcinah الأوروبية الأخرى فصارت الكلمة Arsenalكما أن لفظ أدميرال Admiralالأوروبي مأخوذ من تعبير (أمير البحر .(

إن تعدد أنواع السفن الحربية والتجارية وسفن النزهة الصغيرة يعطيك فكرة عن عظمة البحرية في الدولة العربية الاسلامية وإليك بعض أسماء السفن وهي كثيرة جداً : البوارج وهي السفن الحربية الكبيرة ، البدن وهو زورق يمتاز بمقدمة ومؤخرة مدببة ، والبغلة وهي ذات مؤخرة مربعة الشكل حمولتها أكثر من خمسين طناً ، والبركة من السفن الخفيفة ، والجفن وهي سفينة حربية كبيرة الحجم، والجهازي وهي سفينة تجارية ضخمة ، والحراقة وهي سفن فيها مرامي نيران، والحمائم وهي سفن للنزهة ، والسميرية وهي من سفن البحر والنهر الحربية ، والشذا وهي ضرب من السفن في العباسي وكانت صغيرة ، والطراد وهي سفينة صغيرة سريعة الحركة .

٤ –تراث العرب في الملاحة وأثره في الحضارة الانسانية :

هذه صورة مشرقة تدل على أن المسلمين الذين نشأوا في صحراء الجزيرة استطاعوا السيطرة على البحار ، وسجلوا مجداً بحرياً رائعاً .

ولم يدون الملاحون المسلمون في أول الأمر تجارتهم البحرية كعلم قائم بذاته ، بل إكتفوا بتداولها وتوارثها ، وتبادل الانتفاع بها شفاهة ، وقد ورد بعضها في مناسبات عارضة، تضمنت مؤلفات الرحالة الجغرافيين .

غير أنه سرعان ما دعت الحاجة إلى دراسة فن الملاحة علماً قائماً بذاته – فألفت فيه كتب اتسمت بطابع الحيوية والتجربة ، دون فيها ربابنة السفن عصارة تجاربهم في كتب بسيطة ذات أسلوب سهل . ولكنها عامرة بالحقائق الصادقة .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الربابنة وتجار البحر (كانوا يحتفظون بكتب يدارسونها ويعولون عليها ، ويعملون بما فيها). كما وضع أبو القاسم ابن خرداذبة دليلا للمسافرين يصف فيه الطريق البحري من مصب الدجلة في الخليج العربي حتى موانى الصين، ويشير المسعودي إلى تلك العلوم البحرية التي يتوارثها الملاحون ، ويسترشدون بأحكامها فيقول : (لكن من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات هبوبها ، قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب ، يتوارثون علم ذلك قولاً وعملاً ودلائل وعلامات يعلمون بها موعد هيجانه وأحوال ثوراته .(

والمؤرخون العرب الذين كتبوا عن البحر والنشاط العربي فيه فهم كثيرون ، وكتاباتهم جميعاً تدل على أن النشاط البحري العربي في المحيط الهندي ظل يتزايد حتى بلغ الذروة في القرن التاسع الميلادي . وبقي كذلك القرن الرابع عشر حين وضع المرشد البحري المسلم المشهور (أحمد ابن ماجد) دليله البحري الممتاز الذي استند فيه إلى خبرته الشخصية وإلى معلومات من سبقه من البحارة في هذا العلم وأشهرهم (ابن خرداذبة) صاحب كتاب (المسالك والممالك) الذي وضعه سنة ٨٥٠م .

)والمسعودي) صاحب كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) الذي وضعه سنة ٩٤٧ م وكتاب التنبيه والاشراف أيضاً وقد وضعه سنة ١٩٥٥م.

ونشير في النهاية إلى نهضة الدراسات الجغرافية والملاحية في البرتغال الاسلامية . وكان ذلك ثمرة للعناية التي أولاها المسلمون منذ عهد الامارة الأموية للموانئ الغربية ولما أنشؤوه فيها من دور للصناعات البحرية والحربية . ويسجل التاريخ أن أول محاولة لخوض المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) واستكشاف ما قد يكون وراءه من يابسة إنما كان منطلقها من الساحل البرتغالي في ظل المسلمين. ونعني بها تلك الحملة التي قام بها فتى يدعى خشخاش البحري : خاطر بنفسه هو وجملة من فتيان قرطبة في أوائل القرن الثالث الهجري ، فركبوا مراكب توغلوا بها في البحر ، ثم عادوا فأتوا بغنائم واسعة . وقد ولى خشخاش البحري هذا

قيادة الأسطول الأندلسي حينما هاجم النورمنديون (الفايكنج) سواحل الأندلس ، وما زال يقاتلهم حتى استشهد في سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩) م

ولم تكن هذه . هي المحاولة الأخيرة ، إذ نسمع فيما ساقه (الأدريسي) عن خبر (الفتية المغررين) وكانوا ثمانية رجال كلهم أبناء عم ، خرجوا من (الحمة) (الجزء البحري من مدينة الأشبونة وهو لا يزال يحمل اسمه العربي (Alfama)، وابتنوا مركباً أعدوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ثم دخلوا البحر ، فبحروا فيه مدة ثلاثون يوماً ووصلوا إلى جزر كشف البحث عن أنها لا بد أن تكون جزر أزورس ثم جزر كفارياس

وهكذا فتح هؤلاء المسلمون الطريق أمام البرتغال لكي تصبح طليعة الدول البحرية . فالاستكشافات التي قام بها البرتغاليون بعد ذلك في أواخر القرن الخامس عشر إنما يرجع الفضل فيها إلى ما تعلموه على أيدي هؤلاء البحارة المسلمين

أولا : النظم المالية

١ – موارد الدولة.

٢ – نفقات الدولة

٣- النقود الاسلامية

تطلب مصلحة كل دولة أن يكون لها نظام مالي عليه ، وقد راعت الدولة الإسلامية ذلك، فأنشأت بيتاً للمالي يقوم على رعاية مصالحها ، وهو شبيه وزارة المالية في وقتنا الحاضر والقائم عليه يشبه وزير المالية. ولبيت المال حقوق وعليه واجبات فكل ما يستحقه المسلمون ولم يمين مالكه منهم ، فهو حق من حقوق بيت المال، وكل ما وجب صرفه من مصالح المسلمين فهو حق على بيت المال.

ولكل نظام مالى موارد ونفقات أو مصارف وعملة أو نقود متداولة :

موارد الدولة ١-

كانت موارد الدولة الاسلامية الأولى في عهد الرسول هي

١- الزكاة التي تؤخذ من أموال المسلمين

٢- خمس الغنائم التي يحصل المسلمون في غزواتهم (في حين توزع أربعة أخماس الغنائم بين المحاربين)

٣- ما يؤخذ من أصحاب الأراضي التي فتحها الرسول عوال صلحاً، وكان مقدار ما يدفعه هؤلاء بحسب طريقة الفتح والشروط المتفق عليها مع أهل الأراضي المفتوحة. وكذلك ما يؤخذ من غير المسلمين من النصارى واليهود الذين ظلوا على دينهم

وكان ما يدفعه غير المسلمين يشمل الخراج والجزية والخراج هو الضريبة التي كانت تدفع لخزينة الدولة عن الأراضي التي احتلها المسلمون حتى ولو أسلم صاحبها. ويختلف مقدار الخراج بحسب نوعية الأرض وطريقة ريها واستغلالها ونوعية المحصول وكانت هذه الضريبة عادة تفرض على محاصيل الحبوب والأشجار المثمرة، وكانت تدفع سنوياً بعد الموسم

أما الجزية فهي ضريبة شخصية عن كل قادر من أهل الذمة أي أهل الكتاب الذين ظلوا على دينهم من النصارى واليهود (ثم الحق بهم المجوس أيضاً). وكان مقدارها يتراوح بحسب قدرة المكلف. وفي أيام الراشدين والأمويين كان المبلغ يتراوح بين ١٢ درهماً و ٤٨ درهماً دينار إلى أربعة دنانير) سنوياً. وهكذا كان أهل الذمة يدفعون ضريبتين : الخراج عن الأرض التي يستغلونها ، والجزية عن كل شخص قادر منهم ، وأحياناً كانت الضريبتان تعتيران ضريبة واحدة شاملة يدفعها الشخص كل سنة ، وغالباً ما كانت الدولة. تحدد مبلغاً معيناً يدفعه أهل كل قرية مجتمعين في كل سنة. وكان جمع الضرائب يتبع التقسيمات الادارية.

أما مقدار الخراج فقد اختلف من فترة لأخرى ومن منطقة لأخرى، ففي عصر الخلفاء الراشدين كانت الدولة تتقاضي مقداراً معيناً من المحصول او مبلغاً من المال عن كل وحدة مساحة أو من كل كمية محدودة من الغلة ثم أصبح الخراج يقدر بنسبة معينة من الحاصلات تتراوح بين الربع والنصف.

فالأصل في الجزية والخراج أن يدفعهما الذمي . فإن أسلم تسقط عنه الجزية ويبقى خراج الأرض عليه. ولا يكلف المسلم بالجزية ، أما الخراج . فلا يكلف به ما دام غير مالك للأرض الخراجية ، فإن ملكها بقي خراجها في ذمته ويدفع المسلم الزكاة عن أمواله كل سنة . وإذا كان مالكاً لأرض زراعية فهو يدفع عنها ضريبة تعرف باسم العشر : أي نسبة عشر قيمة المحصول إذا كانت تسقى من ماء السماء، أما إذا تكلف بسقيها من غير ماء السماء ففيها نصف العشر

وفي أواخر عصر الراشدين وفي العصر الأموي ازداد امتلاك العرب للأراضي ، ومعنى ذلك أن كثيراً من الأراضي التي أسلم أصحابها أو التي امتلكها العرب المسلمون قد تحولت من أراضي خراجية تدفع ضريبة الخراج المرتفعة إلى أراضي عشرية تدفع ضريبة العشر فقط . وقد شعر الأمويون وولاتهم بهذه المشكلة وأرادوا ضمان استمرار الواردات المالية ، بالاستمرار في دفع الجزية والخراج وقد أراد الحجاج بن يوسف الثقفي والي عبد الملك على العراق معالجة هذه المشكلة ففرض الخراج على كل الأراضي التي كانت خراجية من قبل بصرف النظر عن دخول أصحابها في الاسلام أو انتقال ملكيتها إلى أشخاص مسلمين. كما فرض الجزية والخراج على الذين أسلموا حديثاً. وقد أدى ذلك إلى هجرة الكثيرين من أهل القرى إلى المدان هرباً من دفع الضريبة. فأجبرهم الحجاج على العودة إلى قراهم وحقولهم وقد اتبع الولاة الآخرين خطة الحجاج في عدم رفع الجزية والخراج عمن أسلم .

ولم يستمر الأمر كذلك طويلاً. ففي خلافة عمر بن عبد العزيز وضع هذا الخليفة حلا موفقاً لهذه الأزمة. بحيث حفظ حقوق المسلمين جميعاً ، وضمن عدم ضعف خزينة الدولة. فاعتبر الجزية ضرية يدفعها الذمي عن انفسه وتسقط عنه بدخوله في الاسلام. أما الخراج فاعتبره عمر ضريبة على الأرض وهي بمثابة إيجار أو بدل استغلال الأرض . ذلك أن أرض الخراج كانت ملكاً للأمة الاسلامية جميعاً وعلى المسلم إذا أراد شراء أرض ان يدفع خراجها للدولة. وهكذا استمر دفع الخراج دون اعتبار لأصل مالك الأرض أو دينه وبقي أهل الذمة وحدهم يدفعون الجزية كضريبة شخصية ، فإذا أسلم أحدهم أعفي منها وهكذا وفق عمر بن عبد العزيز بين مبادئ الإسلام وحاجات الدولة.

وفي العصر العباسي تطور نظام الضرائب . وزاد الخلفاء من مراقبتهم. الأعمال الجباة . وظل مقدار الخراج يختلف بحسب المناطق وطبيعة المحصول. وقد أعاد الخليفة المأمون مسح الأراضي في بلاد الشام التقدير مساحاتها ومقدار خراجها .

وبالإضافة إلى الجزية التي كان يدفعها أهل الذمة والخراج عن الأراضي الخراجية ، والعشر والزكاة التي كان يدفعها المسلمون كانت هنالك ضرائب أخرى منها : أخماس المعادن ، وهذه تدفع عن الذهب الذي يستثمر من شرق أفريقيا وغيرها : فيؤخذ خُمسه إلى الخزينة ، وكذلك ما يستخرج من البحر من العنبر أو اللؤلؤ . وكانت هنالك ضرائب على الأسواق وضريبة على الطواحين والمصانع (مثل مصانع ماء الورد في جور ببلاد فارس) وهناك ضريبة المكس على السفن التجارية الواردة في البحر إلى الموانئ الاسلامية مثل البصرة والاسكندرية وغيرها وكذلك وضعت ضرائب على التجارة الخارجية ففرضت نسبة ٤٠/١ على التجار المسلمين الذين يتعاملون مع البلدان الأجنبية مثل الامبراطورية البيزنطية ، والهند والصين. وفرضت نسبة ٢٠/١ على أهل الذمة. كما فرضت ضريبة على التجار الأجانب الذين يدخلون دار الاسلام وكانت تصل إلى العشر ١٠/١

نفقات الدولة : ٢-

كانت واردات الدولة تودع في (بيت المال، وهو خزينة الدولة. وقد اصبح في مركز كل ولاية بيت مال خاص بها بالإضافة إلى بيت المال المركزي في مقر الخلافة أو مركز الحكومة.

وكانت النفقات الرئيسية تشمل اعطيات الجنود ، وما يدفع للولاء والموظفين والكتاب ، وكذلك الهبات والمنح وغيرها ، بالإضافة إلى النفقات خاصة بقصر الخليفة ورجال البلاط (بعد فترة الخلفاء الراشدين). وكذلك نفقات بناء الحصون وإعداد الجيوش وتسيير البريد وغير ذلك من الأمور . ولم تكن الدولة تنفق على كل الخدمات بل كانت الأوقاف الإسلامية وأهل الخير يفقون على إصلاح الجسور والطرق وأحياناً ينفقون على الجهاد في مناطق الثغور (أي مناطق الحدود المجابهة للعدو .)

النقود الاسلامية : ٣-

أستعمل المسلمون في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين وأوائل العصر الأموي النقود البيزنطية والساسانية التي كانت سائدة قبل الاسلام . وهي الدينار البيزنطي وهو عملة ذهبية (وكلمة دينار مشتقة من اللغة اليونانية) والدرهم الساساني وهو عملة فضية. وفي خلافة عبد الملك بن مروان عندما بدا تعريب الدواوين بدأ كذلك تعريب النقود ، وقد تم ذلك بصورة تدريجية . فاستخدمت الدولة الأموية الدنانير البيزنطية القديمة نفسها مع بعض التعديلات كإضافة عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله على أحد وجهي الدينار مع إبقاء صورة الامبراطور البيزنطي هرقل على الوجه الآخر . وقد ضرب هذا النوع من العملة في دمشق حوالي عام ٧٢ هـ / ٦٩١ م . ثم حدث تعديل جديد على العملة حيث استبدلت صورة هرقل بصورة الخليفة العربي عبد الملك بن مروان واقفاً يحمل سيفا . وقد بدأ ضرب هذا النمط من الدنانير ابتداء من عام ٧٤ هـ / ٦٩٣م . وبعد ذلك بسنوات ضربت النقود دون أن تظهر عليها صورة الخليفة بل نقشت عليها عبارات مثل الشهادتين وآية قرآنية .

وكانت الدنانير والدراهم الإسلامية تضرب أو تسك في مصانع خاصة عرف الواحد منها باسم(دار الضرب أو دار السكة) . وقد استخدم العرب بعد الفتوحات دور الضرب التي كانت موجودة في أيام الساسانيين والبيزنطيين وفي خلافه عبدالملك بن مروان أنشئت أول دور الضرب الإسلامية في الكوفة وواسط من قبل الحجاج والي عبدالملك على العراق .

وفي عصر العباسي أوجد هارون الرشيد منصباً جديداً للأشراف على سك النقود وهو(ناظر السكة). وعندما ضعف نفوذ الخلفاء العباسيين وقامت عدة دويلات إسلامية في الأقاليم قيمت مراكز جديدة لسك النقود وقد ساعد النشاط التجاري الاسلامي ونشاط الصنائع في المدن الإسلامية على ازدياد دور الضرب

وكانت ترد إلى دور السكة كميات كبيرة من الذهب والفضة والنحاس . وكان يعمل فيها عدد من الموظفين والعمال منهم السباكون الذين يقومون بصهر المعادن وإعدادها ، والضرابون الذين يضربونها بأحجامها وأوزانها المطلوبة، ثم النقاش الذين كانوا يقومون بحفر قوالب النقش والكتابة .وكذلك الكتاب الذين يختصون بتسجيل فئات النقود وكمياتها وأوزانها في سجلات خاصة .

وقد عرف المسلمون ثلاثة أنواع من العملة : العملة الذهبية ووحدتها الدينار ، والعملة الفضية ووحدتها الدرهم ، والعملة النحاسية ووحدتها الفلس .

أما وزن الدنانير والدراهم والفلوس ونسبة المعادن الرئيسية فيها فقد كانت تتم تحت إشراف الدولة حيث تعرض عادة على القاضي أو قاضي القضاة للتأكد من مطابقتها للمواصفات ، ثم يسمح بعد ذلك بتداولها

كان شكل الدينار الإسلامي وحجمه لا يختلف كثيراً من فترة لأخرى في سائر انحاء العالم الاسلامي سواء في دولة العباسيين أو في الأندلس الأموية ، أو في الدولة الفاطمية أو في الدول الاسلامية الأخرى. وكان النقش عادة يحمل عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله . وآية قرآنية تتكون عادة من سورة قل هو الله أحد، ويحوي النقش مكان وتاريخ الضرب واسم الخليفة أو الحاكم (أحياناً اسم الخليفة والأمير) .

وكانت الدولة تتقاضى إيرادات عالية من دور الضرب وهي عبارة عن نسبة من قيمة المعادن التي ترد إلى دار الضرب. وفي العصور الاسلامية المتأخرة خاصة أيام المماليك أصبح من المعتاد أن تعطى دار الضرب على أساس التعهد أو الالزام لشخص معين مقابل أن يدفع مبلغاً لخزينة الدولة .

وقد كان للسكة أو ضرب النقود أهمية خاصة كوسيلة لإظهار نفوذ الحكام . ولذلك اعتبرت السكة من أهم شارات الخلافة والحكم في الدولة الإسلامية ، فإذا ضربت النقود في الأقاليم الاسلامية باسم الحاكم المحلي كان اسمه يوضع مع اسم الخليفة العباسي لبيان نفوذ ذلك الحاكم وسيطرته ، مع بقاء ولائه للخليفة . وإذا ضرب أحد الحكام المسلمين نقوداً باسمه دون اسم الخليفة كان ذلك دلالة على استقلاله في الحكم وعدم اعترافه بسيادته الخليفة . أولا : النظم المالية

١ – موارد الدولة.

٢ – نفقات الدولة

٣– النقود الاسلامية

تطلب مصلحة كل دولة أن يكون لها نظام مالي عليه ، وقد راعت الدولة الإسلامية ذلك، فأنشأت بيتاً للمالي يقوم على رعاية مصالحها ، وهو شبيه وزارة المالية في وقتنا الحاضر والقائم عليه يشبه وزير المالية. ولبيت المال حقوق وعليه واجبات فكل ما يستحقه المسلمون ولم يمين مالكه منهم ، فهو حق من حقوق بيت المال، وكل ما وجب صرفه من مصالح المسلمين فهو حق على بيت المال.

ولكل نظام مالى موارد ونفقات أو مصارف وعملة أو نقود متداولة :

١-موارد الدولة

كانت موارد الدولة الاسلامية الأولى في عهد الرسول هي

١- الزكاة التي تؤخذ من أموال المسلمين

٢- خمس الغنائم التي يحصل المسلمون في غزواتهم (في حين توزع أربعة أخماس الغنائم بين المحاربين)

٣- ما يؤخذ من أصحاب الأراضي التي فتحها الرسول عوال صلحاً، وكان مقدار ما يدفعه هؤلاء بحسب طريقة الفتح والشروط المتفق عليها مع أهل الأراضي المفتوحة. وكذلك ما يؤخذ من غير المسلمين من النصارى واليهود الذين ظلوا على دينهم

وكان ما يدفعه غير المسلمين يشمل الخراج والجزية والخراج هو الضريبة التي كانت تدفع لخزينة الدولة عن الأراضي التي احتلها المسلمون حتى ولو أسلم صاحبها. ويختلف مقدار الخراج بحسب نوعية الأرض وطريقة ريها واستغلالها ونوعية المحصول وكانت هذه الضريبة عادة تفرض على محاصيل الحبوب والأشجار المثمرة، وكانت تدفع سنوياً بعد الموسم

أما الجزية فهي ضريبة شخصية عن كل قادر من أهل الذمة أي أهل الكتاب الذين ظلوا على دينهم من النصارى واليهود (ثم الحق بهم المجوس أيضاً). وكان مقدارها يتراوح بحسب قدرة المكلف. وفي أيام الراشدين والأمويين كان المبلغ يتراوح بين ١٢ درهماً و ٤٨ درهماً دينار إلى أربعة دنانير) سنوياً. وهكذا كان أهل الذمة يدفعون ضريبتين : الخراج عن الأرض التي يستغلونها ، والجزية عن كل شخص قادر منهم ، وأحياناً كانت الضريبتان تعتيران ضريبة واحدة شاملة يدفعها الشخص كل سنة ، وغالباً ما كانت الدولة. تحدد مبلغاً معيناً يدفعه أهل كل قرية مجتمعين في كل سنة. وكان جمع الضرائب يتبع التقسيمات الادارية.

أما مقدار الخراج فقد اختلف من فترة لأخرى ومن منطقة لأخرى، ففي عصر الخلفاء الراشدين كانت الدولة تتقاضي مقداراً معيناً من المحصول او مبلغاً من المال عن كل وحدة مساحة أو من كل كمية محدودة من الغلة ثم أصبح الخراج يقدر بنسبة معينة من الحاصلات تتراوح بين الربع والنصف.

فالأصل في الجزية والخراج أن يدفعهما الذمي . فإن أسلم تسقط عنه الجزية ويبقى خراج الأرض عليه. ولا يكلف المسلم بالجزية ، أما الخراج . فلا يكلف به ما دام غير مالك للأرض الخراجية ، فإن ملكها بقي خراجها في ذمته ويدفع المسلم الزكاة عن أمواله كل سنة . وإذا كان مالكاً لأرض زراعية فهو يدفع عنها ضريبة تعرف باسم العشر : أي نسبة عشر قيمة المحصول إذا كانت تسقى من ماء السماء، أما إذا تكلف بسقيها من غير ماء السماء ففيها نصف العشر

وفي أواخر عصر الراشدين وفي العصر الأموي ازداد امتلاك العرب للأراضي ، ومعنى ذلك أن كثيراً من الأراضي التي أسلم أصحابها أو التي امتلكها العرب المسلمون قد تحولت من أراضي خراجية تدفع ضريبة الخراج المرتفعة إلى أراضي عشرية تدفع ضريبة العشر فقط . وقد شعر الأمويون وولاتهم بهذه المشكلة وأرادوا ضمان استمرار الواردات المالية ، بالاستمرار في دفع الجزية والخراج وقد أراد الحجاج بن يوسف الثقفي والي عبد الملك على العراق معالجة هذه المشكلة ففرض الخراج على كل الأراضي التي كانت خراجية من قبل بصرف النظر عن دخول أصحابها في الاسلام أو انتقال ملكيتها إلى أشخاص مسلمين. كما فرض

الجزية والخراج على الذين أسلموا حديثاً. وقد أدى ذلك إلى هجرة الكثيرين من أهل القرى إلى المدان هرباً من دفع الضريبة. فأجبرهم الحجاج على العودة إلى قراهم وحقولهم وقد اتبع الولاة الآخرين خطة الحجاج في عدم رفع الجزية والخراج عمن أسلم .

ولم يستمر الأمر كذلك طويلاً. ففي خلافة عمر بن عبد العزيز وضع هذا الخليفة حلا موفقاً لهذه الأزمة. بحيث حفظ حقوق المسلمين جميعاً ، وضمن عدم ضعف خزينة الدولة. فاعتبر الجزية ضرية يدفعها الذمي عن انفسه وتسقط عنه بدخوله في الاسلام. أما الخراج فاعتبره عمر ضريبة على الأرض وهي بمثابة إيجار أو بدل استغلال الأرض . ذلك أن أرض الخراج كانت ملكاً للأمة الاسلامية جميعاً وعلى المسلم إذا أراد شراء أرض ان يدفع خراجها للدولة. وهكذا استمر دفع الخراج دون اعتبار لأصل مالك الأرض أو دينه وبقي أهل الذمة وحدهم يدفعون الجزية كضريبة شخصية ، فإذا أسلم أحدهم أعفي منها وهكذا وفق عمر بن عبد العزيز بين مبادئ الإسلام وحاجات الدولة.

وفي العصر العباسي تطور نظام الضرائب . وزاد الخلفاء من مراقبتهم. الأعمال الجباة . وظل مقدار الخراج يختلف بحسب المناطق وطبيعة المحصول. وقد أعاد الخليفة المأمون مسح الأراضي في بلاد الشام التقدير مساحاتها ومقدار خراجها .

وبالإضافة إلى الجزية التي كان يدفعها أهل الذمة والخراج عن الأراضي الخراجية ، والعشر والزكاة التي كان يدفعها المسلمون كانت هنالك ضرائب أخرى منها : أخماس المعادن ، وهذه تدفع عن الذهب الذي يستثمر من شرق أفريقيا وغيرها : فيؤخذ خُمسه إلى الخزينة ، وكذلك ما يستخرج من البحر من العنبر أو اللؤلؤ . وكانت هنالك ضرائب على الأسواق وضريبة على الطواحين والمصانع (مثل مصانع ماء الورد في جور ببلاد فارس) وهناك ضريبة المكس على السفن التجارية الواردة في البحر إلى الموانئ الاسلامية مثل البصرة والاسكندرية وغيرها وكذلك وضعت ضرائب على التجارة الخارجية ففرضت نسبة ٤٠/١ على التجار

المسلمين الذين يتعاملون مع البلدان الأجنبية مثل الامبراطورية البيزنطية ، والهند والصين. وفرضت نسبة ٢٠/١ على أهل الذمة. كما فرضت ضريبة على التجار الأجانب الذين يدخلون دار الاسلام وكانت تصل إلى العشر ١٠/١

٢–نفقات الدولة

كانت واردات الدولة تودع في (بيت المال، وهو خزينة الدولة. وقد اصبح في مركز كل ولاية بيت مال خاص بها بالإضافة إلى بيت المال المركزي في مقر الخلافة أو مركز الحكومة.

وكانت النفقات الرئيسية تشمل اعطيات الجنود ، وما يدفع للولاء والموظفين والكتاب ، وكذلك الهبات والمنح وغيرها ، بالإضافة إلى النفقات خاصة بقصر الخليفة ورجال البلاط (بعد فترة الخلفاء الراشدين). وكذلك نفقات بناء الحصون وإعداد الجيوش وتسيير البريد وغير ذلك من الأمور . ولم تكن الدولة تنفق على كل الخدمات بل كانت الأوقاف الإسلامية وأهل الخير يفقون على إصلاح الجسور والطرق وأحياناً ينفقون على الجهاد في مناطق الثغور (أي مناطق الحدود المجابهة للعدو .)

٣–النقود الاسلامية

أستعمل المسلمون في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين وأوائل العصر الأموي النقود البيزنطية والساسانية التي كانت سائدة قبل الاسلام . وهي الدينار البيزنطي وهو عملة ذهبية (وكلمة دينار مشتقة من اللغة اليونانية) والدرهم الساساني وهو عملة فضية. وفي خلافة عبد الملك بن مروان عندما بدا

تعريب الدواوين بدأ كذلك تعريب النقود ، وقد تم ذلك بصورة تدريجية . فاستخدمت الدولة الأموية الدنانير البيزنطية القديمة نفسها مع بعض التعديلات كإضافة عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله على أحد وجهي الدينار مع إبقاء صورة الامبراطور البيزنطي هرقل على الوجه الآخر . وقد ضرب هذا النوع من العملة في دمشق حوالي عام ٧٢ هـ / ٦٩١ م . ثم حدث تعديل جديد على العملة حيث استبدلت صورة هرقل بصورة الخليفة العربي عبد الملك بن مروان واقفاً يحمل سيفا . وقد بدأ ضرب هذا النمط من الدنانير ابتداء من عام ٧٤ هـ / ٦٩٣م . وبعد ذلك بسنوات ضربت النقود دون أن تظهر عليها صورة الخليفة بل نقشت عليها عبارات مثل الشهادتين وآية قرآنية .

وكانت الدنانير والدراهم الإسلامية تضرب أو تسك في مصانع خاصة عرف الواحد منها باسم(دار الضرب أو دار السكة) . وقد استخدم العرب بعد الفتوحات دور الضرب التي كانت موجودة في أيام الساسانيين والبيزنطيين وفي خلافه عبدالملك بن مروان أنشئت أول دور الضرب الإسلامية في الكوفة وواسط من قبل الحجاج والي عبدالملك على العراق .

وفي عصر العباسي أوجد هارون الرشيد منصباً جديداً للأشراف على سك النقود وهو(ناظر السكة). وعندما ضعف نفوذ الخلفاء العباسيين وقامت عدة دويلات إسلامية في الأقاليم قيمت مراكز جديدة لسك النقود وقد ساعد النشاط التجاري الاسلامي ونشاط الصنائع في المدن الإسلامية على ازدياد دور الضرب

وكانت ترد إلى دور السكة كميات كبيرة من الذهب والفضة والنحاس . وكان يعمل فيها عدد من الموظفين والعمال منهم السباكون الذين يقومون بصهر المعادن وإعدادها ، والضرابون الذين يضربونها بأحجامها وأوزانها المطلوبة، ثم النقاش الذين كانوا يقومون بحفر قوالب النقش والكتابة .وكذلك الكتاب الذين يختصون بتسجيل فئات النقود وكمياتها وأوزانها في سجلات خاصة .

وقد عرف المسلمون ثلاثة أنواع من العملة : العملة الذهبية ووحدتها الدينار ، والعملة الفضية ووحدتها الدرهم ، والعملة النحاسية ووحدتها الفلس .

أما وزن الدنانير والدراهم والفلوس ونسبة المعادن الرئيسية فيها فقد كانت تتم تحت إشراف الدولة حيث تعرض عادة على القاضي أو قاضي القضاة للتأكد من مطابقتها للمواصفات ، ثم يسمح بعد ذلك بتداولها

كان شكل الدينار الإسلامي وحجمه لا يختلف كثيراً من فترة لأخرى في سائر انحاء العالم الاسلامي سواء في دولة العباسيين أو في الأندلس الأموية ، أو في الدولة الفاطمية أو في الدول الاسلامية الأخرى. وكان النقش عادة يحمل عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله . وآية قرآنية تتكون عادة من سورة قل هو الله أحد، ويحوي النقش مكان وتاريخ الضرب واسم الخليفة أو الحاكم (أحياناً اسم الخليفة والأمير) .

وكانت الدولة تتقاضى إيرادات عالية من دور الضرب وهي عبارة عن نسبة من قيمة المعادن التي ترد إلى دار الضرب. وفي العصور الاسلامية المتأخرة خاصة أيام المماليك أصبح من المعتاد أن تعطى دار الضرب على أساس التعهد أو الالزام لشخص معين مقابل أن يدفع مبلغاً لخزينة الدولة .

وقد كان للسكة أو ضرب النقود أهمية خاصة كوسيلة لإظهار نفوذ الحكام . ولذلك اعتبرت السكة من أهم شارات الخلافة والحكم في الدولة الإسلامية ، فإذا ضربت النقود في الأقاليم الاسلامية باسم الحاكم المحلي كان اسمه يوضع مع اسم الخليفة العباسي لبيان نفوذ ذلك الحاكم وسيطرته ، مع بقاء ولائه للخليفة . وإذا ضرب أحد الحكام المسلمين نقوداً باسمه دون اسم الخليفة كان ذلك دلالة على استقلاله في الحكم وعدم اعترافه بسيادته الخليفة .

ثانيا:النظم الأقتصادية:

١ – الدور الحضاري للعرب المسلمين في مجال الزراعة والنبات والحيوان:

لقد قدم العرب المسلمون أجل الخدمات للانسانية في مجال الزراعة والنبات والحيوان ، ولا شك في أن اهتمامهم بهذه الأمور وتصنيفهم للنبات والفلاحة وأعدادهم المعاجم التي تحصرها ودوائر المعارف التي تنظم امورها ، يعتبر من العوامل الأساسية التي نقلت إلينا حضارتهم العظيمة في هذا المجال ونستطيع أن تحاول تقديم الدور الحضاري للعرب المسلمين في مجال الزراعة والنبات على الشكل التالي:

أولاً : اهتمام العرب المسلمين بالزراعة ثانياً : دراسة مفصلة عن الزراعة

ثالثا : نشأة علم النبات عند العرب المسلمين.

رابعاً : تصنيف النبات عند العرب المسلمين

خامسا: نشأة علم الحيوان عند العرب المسلمين

سادساً : من اقطاب علماء العرب المسلمين في مجال الزراعة والنبات والحيوان

أولاً : إهتمام المسلمون بالزراعة :

ينبع هذا الاهتمام من التربية الاسلامية والايمان المطلق بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ ، تلك التعاليم الاسلامية التي التزم بها العرب المسلمون في شكل علمائهم دفعتهم إلى إتخاذ كافة التدابير نحو الاهتمام بالزراعة إهتماماً يكفل لهم توسيع مجالات الرزق وتحسين الوضع الاقتصادي في ذلك الزمان ، ومن مظاهر هذا الاهتمام :

١ – إصلاح وسائل الري وتنظيمها ؛ فبنوا السدود، وشقوا القنوات والأنهار ، وأقاموا عليها الجسور والقناطر ، وبذلوا في سبيل ذلك أموالاً طائلة ، وإستخدموا لها عدداً كبيراً من العمال ، حتى إن عمرو بن العاص استخدم نحو ١٠,٠٠٠ عامل في إصلاح طرق الري في مصر صيفاً وشتاء ، وقد زاد اهتمام العباسيين بذلك

؛ ففي صدر دولتهم جددوا حفر القنوات القديمة ، واستحدثوا قنوات جديدة ، وخصوصاً في العراق ، حتى أصبح ما بين النهرين ، دجلة والفرات أشبه بشبكة من القنوات والأنهار ، وأطلقوا عليها اسم (النواظم ، لأنها نظمت توزيع المياه

وبذلك أعاد العباسيون إلى العراق شهرته القديمة في الخصب والنما ولاسيما الجزء الجنوبي المعروف بالسواد.

وكان للري تشريعات دقيقة معقدة إستفاد منها الأوروبيون فيما بعد. حتى إن الجزء الأكبر من تشريعهم الخاص بالماء مقتبس منه ، وكان من واجبات الدولة في العراق أن تسهر على صيانة السدود والمسنيات والبشرق وكان ثم لهذا الغرض طائفة قائمة بذاتها من العمال يسمون المهندسين ، وكان في مرو ديوان يسمى (ديوان الماء ، وكان صاحبه يرأس عشرة آلاف عامل . وكان منصبه من أرقى المناصب في تلك المدينة.

وكان الماء يقاس بمقياس مصطلح عليه يسمى البست وكان مقياس ارتفاع النهر عبارة عن لوح مقام على النهر مشقوق شفا طوليا تتحرك عليه شعيرة ، تلك المعلومات أضافها آدم متز في كتابه الحضارة الإسلامية

في القرن الرابع الهجري.

٢ – زرعوا كل نوع من النبات في التربة الصالحة له بعد أن درسوا صلاحية كل تربة لأنواع النباتات، وبذلك أمكن استغلال الأراضي الزراعية أحسن االستقلال

٣– اعتنوا بتسميد الأرض عناية كبيرة بعد أن عرفوا السماد الصالح

لكل نوع من النباتات ، فزاد المحصول تبعاً لذلك زيادة واضحة . ٤_عرفوا التلقيح، فكان أهل فلسطين يلقحون كرومهم وأهل المغرب يلقحون تينهم كما يلقح النخيل بالطلع الذكر كذلك عرفوا تطعيم بعض الأشجار من بعض، واستخرجوا أصناف جديدة

هـ جلبوا إلى بلادهم أنواعاً كثيرة من الأشجار، وبرعوا في تنسيق الحدائق، وعنوا عناية عظيمة بالأزهار، فزرموها في مزارع واسعة التصدير عطورها وادهانها ومياهها، وراجت من أجل ذلك في شيراز ودمشق

وغيرهما ، صناعة استخراج الادمان العطرية من الورد والتيلوفر والبنفسج وغيرهما،

٦- أدخلوا إلى أوروبا نباتات لم تكن معروفة لهم من قبل كالأرز ، وقصب السكر والزيتون ، والمشمش

٧ – زرع الفرس قصب السكر ، وصنعوا منه السكر ، ثم انتقل منها إلى مصر ، وسواحل الشام حيث عرفه الصليبيون فيما بعد ، ونقلوه وصناعة السكر إلى أوروبا كما يحدثنا آدم متز في كتابة الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري. وفيما يلي دراسة مفصلة عن الزراعة :

كانت للزراعة اهمية رئيسية في الدولة العربية الاسلامية ، فقد كانت المنتوجات الزراعية هي المصدر الأول للمواد الغذائية التي يعتمد عليها الناس في معاشهم ، كما أنها تقدم أهم المواد الأولية في الصناعة ، فالقطن والكنان من أهم المواد في المنسوجات التي يلبسها الناس ، والأخشاب ضرورية للبناء وللوقود ولصنع كثير من الأثاث البيتية كالكراسي والمناضد والخزانات والصناديق وبناء السفن، والحصران المصنوعة من القصب هي من أهم المفروشات وخاصة في بيوت العامة من أبناء الشعب . ثم أن كثير من الأصباغ والعطور والأدوية تعتمد على المنتوجات الزراعية .

والزراعة هي الحرفة الرئيسة التي يشتغل فيها أكبر عدد من سكان البلاد الاسلامية ، وهي مصدر معيشتهم وحياتهم ، ومنبع ثروة الملاكين ؛ وكان اعتماد الدولة الرئيس في مواردها على ما تجبيه من الضرائب على الزراعة ، والملك كان توفير وسائل إزدهار الزراعة وتقدمها من واجبات الحكومة ، كما ان ديوان الخراج المسؤول عن تنظيم جباية الضرائب الزراعية من الفلاحين هو أهم دواوين الحكومة وأكثرها تعقيداً

وسائل الري:

تعتمد الزراعة على الري، ولما كانت الدولة العربية الاسلامية واسعه جدا. وسائل الري منوعة فأما بلاد الشام، وشمالي العراق فإن الأمطار الغزيرة فيها ، وتختلف أقاليمها في مناخها وأمطارها وتوفر مياهها لذلك كتابت كانت تكفى للزراعة. أما المناطق الجبلية فتعتمد على المياه الجوفية المتكونة من ذوبان الثلوج.

كان غير أن الأمطار قليلة في اغلبية البلاد العربية والاسلامية ؛ لذلك : الاعتماد الأول للزراعة فيها على الأبار والينابيع والانهار. ومن المعلوم أن المناطق الصحراوية، وخاصة في جزيرة العرب ، تعتمد على المياه

الجوفية والآبار التي يختلف عمقها وكميتها بإختلاف الأماكن . ففي بعض المناطق تكون المياه عميقة وقليلة ولذلك لا تكفى الآبار فيها إلا للشرب وللماشية . غير أنه توجد مناطق قليلة تتوفر فيها كميات من المياه القريبة من سطح الأرض ، وهي تكفي لزراعة أرض واسعة نسبيا . وقد انشئت في بعض تحفر المناطق خزانات واسعة يجمع فيها الماء تحت الأرض ، كما كانت أحياناً فى تحت الأرض لايصال الماء إلى مناطق بعيدة ، وتبنى أحياناً حول بعض البقع المنخفضة سدود لحصر مياه الأمطار وجمعها والاستفادة منها في الري . وقد كانت مياه بعض الينابيع غزيرة لدرجة تكفي لزراعة أراضي واسعة ، كما هو الحال في الواحات .

ولا ريب أن مياه الأنهار الدائمة هي الوسيلة الرئيسة لدى الأقاليم الغنية وخاصة مصر والعراق . فأما مصر فإنها تعتمد على النيل الذي يخترقها من الجنوب إلى الشمال فيروي الأراضي التي حوله على شكل شريط ضيق تحف به الصحارى من جانبيه ووادي النيل مصبه خصب جداً ، وهو ضيق لا يتجاوز عرضه بضعة كيلو مترات ، ولكنه يتسع بالقرب من مصبه فيكون دلتا واسعة ترويها ترع كثيرة تستمد مياهها من النيل.

الري في العراق:

أما العراق فإنه يعتمد على مياه دجلة والفرات اللذين يجريان في الشمالي منه في أرض متموجة مرتفعة الضفاف ، فلا يستفاد منها في الزراعة إلا على شواطئهما الضيقة غير أن هذين النهرين عندما يصلان إلى وسط العراق يجريان في أرض منبسطة قليلة الانحدار ، فيستفاد من مياهها للارواء وقد شق العراقيون من هذين النهرين ترعاً كثيرة لارواء الأراضي ، ومن . نهر عيسى ونهر صرصر ونهر الملك ونهر النيل التي تأخذ مياهها من نهر الفرات بين الرمادي والحلة ، وتسقي الأراضي الواقعة بين دجلة والفرات في وسط العراق ، كما تتشعب من الفرات عدة فروع تروي الأراضي التي في ذلك منطقة الكوفة .

أما دجلة فيأخذ منه نهر الدجيل الذي يروي الأراضي الواقعة غربي دجلة في شمال بغداد ، كما يأخذ منه النهروان الذي يروي الأراضي الواقعة في شرقي دجلة بين سامراء والكوت أما في المناطق الجنوبية تتفرع من دجلة ترع وأنهار كثيرة تسقي تلك الأراضي. وتعتمد منطقة البصرة في الأرواء على الترع الكثيرة التي تأخذ مياهها من شط العرب،

ونظراً لانبساط أراضي القسم الجنوبي من العراق ، ورخاوة تربته ، وخطورة الفيضانات فيه فقد أنشئت في العراق سدود كثيرة لدرء أخطار الفيضان وتنظيم توزيع الماء في الترع والجداول .

استصلاح الاراضي.

وقد بذل العرب المسلمون جهوداً كبيرة في تجفيف البطائح والمستنقعات وكانت الدولة تقوم ببناء السدود الكبيرة والعناية بها ، وتهتم بكري الأنهار وتحويلها إلى أراضي زراعية . وعنوا بأمور الري ، وأنشأوا ديواناً خاصاً للماء والترع الكبيرة وتنظيفها من الرمال التي تترسب فيها فتعرقل جريان الماء

وكانت الأملاح تهدد بإفساد المزارع وتحويل الأراضي إلى سباع لذلك إهتم العرب بمعالجتها ، بقشط الطبقة الملحية من على وجه الأرض وجمع الأملاح أو بزراعة بعض النباتات التي تقاوم الملح ، كالجت والشعر وقد يزرعون الأرض سنة ويتركونها سنة أخرى ، ويقومون أحيانا يغسل الأرض من الأملاح ويزل المياه الزائدة.

تنظيم الري في العراق وقد اختلت أحوال الري في العراق أواخر العهد الساساني الفيضانات الكثيرة التي اجتاحت البلاد فكسرت السدود ودمرت الشرع وأغرقت كثيراً من الأراضي وحولتها إلى مستنقعات وبطائح ثم اجتاحت البلاد على أثرها الأوبئة والطواعين فأفنت كثيرا من السكان وانقصت الأيدي العاملة فساءت أحوال الريف.

فلما حرر العرب العراق اهتموا بأعمار البلاد وعنوا بالري ، وقد قاموا بحفر عدد كبير من الأنهار لتوفير ماء الشرب لأهل البصرة ، ولأعمار الأراضي التي تقع على ضفاف شط العرب. وفي جنوب العراق ومنطقة واسط حققوا كثيراً من البطائح والمستنقعات وأحبوا أراضي واسعة ، وحفروا عدداً من الانهار.

وقد تابع العباسيون عنايتهم بشؤون الري في منطقة البصرة وواسط ، كما اهتموا أيضاً بالأنهار الواقعة في وسط العراق، فحفر أبو جعفر المنصور عدة أنهار في منطقة بغداد لتوفير مياه الشرب لأهلها وحفر هرون الرشيد القسم الأعلى من النهروان في منطقة سامراء كما حفر المتوكل عدداً من الأنهار في سامراء أيضاً. وتابع العباسيون اهتمامهم بصيانة السدود والترع الأخرى .

وقد أدت الاضطرابات التي حدثت في أواخر القرن الثالث الهجري إلى انحطاط أحوال الري ، وقد حاول العباسيون معالجة الوضع وطهروا عدداً . لأنهار والترع التي جفت في منطقة بغداد ، كما شقوا أنهر في منطقة الكوفة

ولكن هذه المحاولات لم تؤد إلى نتائج كبيرة ، فقد استمر تدهور أحوال الري في وسط العراق وجنوبه، ثم أصاب النهروان الاهمال، فجف في القرن السادس الهجري، وتدمرت بجفافه مئات القرى التي كان أملها يعتمدون على مائه في الزراعة.

دراسة دراسة مفصلة من الزراعة : المنتوجات الزراعية :

ولما كانت المنتوجات الزراعية هي عماد حياة الناس ومعاشهم ، لذلك كان كل أقليم يزرع أصنافاً كثيرة من المزروعات التي يحتاجها أهل ذلك الأقليم، وخاصة الحنطة والشعير والمخضرات غير أن بعض الأقاليم اشتهرت بوفرة إنتاجها المزروعات معينة ، فقد اشتهرت مصر بزراعة الكتان ، و خراسان بالقطن، والأحواز بقصب السكر ، واليمن بالنباتات الطبية والورس واللبان وبلاد الشام بالزيتون والكروم، وأرمينية بأشجار الفواكه والبحرين واليمامة بالنخيل.

لا شك في أن التنوع الأتي في الحاصلات الزراعية تشير إليه الآية القرآنية في سورة البقرة : قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وفئاتها وفومها

وعدسها وبصلها ، قال استبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم ...) واستجاب الله لدعاء سيدنا موسى وكان ما كان من بني اسرائيل.

ومن الحاصلات التي برع في زراعتها العرب المسلمون

١–الحنطة وكانت تزرع في كافة البلاد التي يكون فيها الماء موفوراً ، وهي أكثر ما يزرع في العراق، ولها المكان الأول في بلاد خوزستان

٢– الذرة : وكانت تزرع في الأجزاء الجافة في جنوب الدولة ؟ ولة كجنوب جزيرة العرب، وبلاد النوبة، وكرمان، وجنوب مصر.

٣- السمسم : وهو يزرع في كثير من البلاد .

٤-الأرز: وهو يزرع حيث يكثر الماء ، فكان يزرع في خوزستان و مازندران، وغيرهما، وكان خبز الأرز غالبا من طعام أهل مازندران ، وهي بلاد تحيط بها المستنقعات

٥ – الكرم : وهو أكثر ما يزرع من الفواكه ، وكان منتشراً في جميع البلاد، وله في العراق المقام الأول ، كما أنه يكثر من أرمينية واذربيجان ، واكثر ما تكون أشجاره في اليمن، وكانت أصنافه كثيرة متنوعة.

٦ – البطيخ : وكان أكثر ما يباع من الفاكهة في الأسواق ، ولذلك كان سوق بيع الفاكهة يسمى دار البطيخ، واشتهر شمالي فارس بنوع خاص الصبحة الفاكهة وجودة البطيخ .

٧-التفاح : وكان أحسن أنواعه تفاح الشام ؛ حتى ضرب المثل به في الحسن والجودة والطعم.

٨-الرمان : وكان ذا أهمية ، حتى إن سفناً كثيرة كانت تسير من الفرات محملة به إلى بغداد .

٩- التمر : كانت العراق ، وكرمان ، وشمال افريقية ، وبخاصة مدينة سجلماسة في جنوبي مراكش أكبر المراكز لانتاج التمور ، والعراقي أجود انواعه.

١٠– الزيتون : من نباتات إقليم البحر الأبيض المتوسط ، وكانت الشام ، وشمال افريقية تمدان المملكة الاسلامية كلها بالزيت ، وأحسنه ما كان يأتي من الشام ولا سيما مدينة نابلس.

١١– قصب السكر وكان يزرع في كابل وصور وخوزستان والاندلس ومصر

١٢–النيلى : وهو مادة أساسية في الصباغة باللون الأزرق ، وزرع في صعيد مصروالوحات وفلسطين وكرمان وكابل.

١٣– الزعفران: وكان يستعمل للمتلوين باللون الأصفر، ولعظم قيمت كان يزرع في كثير من البلاد كالشام ، وجنوبي فارس، والمغرب ، وكانت طليطلة ، من بلاد المغرب تصدر مقادير كثيرة منه إلى كثير من الجهات.

١٤– الكتان : وكان يزرع بكثرة في مصر. وكانت الفيوم اكبر مكان لزراعته.

١٥– القطن : وكان يزرع في فارس، وفيما وراء النهر التي كانت تنتج منه كميات كبيرة ، ثم شمال افريقية والأندلس . النهرين ، وبلاد ما تر في القرن الرابع في شمال افريقية والاندلس.

وكان نتيجة هذا المحصول الهائل والتقدم في الأمور التي تحافظ على زراعته أن أبرع العرب والمسلمون في علوم النبات وأصبح لدينا علماء عباقرة افذاذ.

بيوت الريف:

كان الفلاحون يعيشون في قرى تختلف في سعتها وعدد سكانها ؛ ولكل قرية رئيس من أهلها يساعد على تنظيم الحياة فيها. وبيوت أهل القرية بسيطة مبنية بالطين ، وهي تتكون من غرفة أو غرفتين يسكن فيها الفلاح وأسرته ، ويضع فيها لوازم الزراعة وأدواتها وبعض البذور. وفي بيوت الفلاحين عادة فناء مكشوف تربط فيه الحيوانات التي يستخدمها الفلاح في عملة كالبقر والحمير . ويمتلك بعض الفلاحين عدداً من الأغنام يشربون ألبانها ويجنون صرفها.

حياة الفلاح :

وحياة الفلاحين بسيطة فمأكلهم من الحبوب وأحيانا بعض الخضر التي تنتجها أراضيهم، وما قد يصيدونه من الطيور والأسماك. أما البستهم فيبسيطة ومعظمها مما يصنعه الفلاح في بيته ولكل قرية أرض لرعي الماشية أو لأخذ الحطب منها ، يشترك فيها كل أهل القرية ، ويقوم أهل القرية عادة بكري الترع التي تسقي أراضي قريتهم،

وكذلك إصلاح الجسور الصغيرة.

تنظيم العمل وتوفير الأيدي العاملة :

ويقوم كل فلاح بزراعة قطعة خاصة من أرض القرية ، ويأخذ مقابل عمله حصة من الحاصل ، غير أن بعض الفلاحين كانوا يعملون بأجور يتفقون على مقدارها مع صاحب الأرض ؛ وأغلب هذا الصنف الأخير عملهم موسمي وخاصة في مواسم الحصاد أو عند جني الثمار ، وهم لا يستقرون في مكان ثابت ، بل ينتقلون حيثما يكون العمل، ويسمون الشكرات .

ولما كانت الزراعة تتطلب توفر الأيدي العاملة فإن الدولة كثيراً ما كانت تتخذ بعض التدابير لالزام الفلاحين على البقاء في قراهم للعمل في الأرض ، فيروى أنه لما حصلت الاضطرابات في العراق، وكثرت هجرة الفلاحين من الريف وتناقص عدد العمال في الأرض ، أمر الحجاج بن يوسف والي العراق بإرجاع الفلاحين الذي هاجروا إلى الأمصار إلى قراهم ، ومنع هجرة الفلاحين إلى واسط ، وكان في مصر موظف خاص بسمى المشد وهو مسؤول عن الزام الفلاحين على البقاء في قراهم والعمل فيها .

غير أن هذه التدابير لم تنجح في بقاء كافة الفلاحين في أراضيهم ، لذلك كثيراً ما كان الفلاحون يهاجرون من الريف وخاصة عندما تسوء أحوال الري وتنظمر الترع بسبب الفيضانات أو الحروب أو إهمال الحكومة وكذلك

نقل الضرائب والشدة في جبايتها وسوء الأحوال في الريف ولا ريب أن الازدهار الاقتصادي في المدن كان يجلب إليه كثيرا من أهل الريف الذين مجالاً للعمل والربح، كما أن الازدهار الفكري يجلب إليها أيضاً بالا

كبيرا . والواقع أن كثيراً من وزراء الدولة العباسية وكتابها وعلمائها اصلهم من القرى ثم هاجروا إلى المدن واستفادوا من حياتها.

ملكية الأرض :

وبالنظر لأهمية الزراعة في حياة الناس فقد اعتبرت الدولة الأراضي هي المالكة الزراعة ملكاً عام للدولة ، وأما الفلاحون فإنهم يحوزون الأراضي ويستغلونها مقابل دفع الخراج الذي هو كالاجارة للدولة ، ولما كانت الدولة. للأراضي ، ، فإنها تستطيع إجبار الفلاح على زراعة المنتوجات الضرورية لحياة المجتمع ، كما أن لها أن تفرض الضريبة التي ترتأيها ؛ ولم يكن بمقدورها الاعتماد في معاشها على ما تستورده من مناطق بعيدة ، وذلك نظراً لصعوبة المواصلات في تلك الأزمنة.

غير أنه بالرغم من حق الدولة القانوني في أن تفرض على الفلاح ما تراه في الزراعة والضرائب ، إلا أن مصلحتها كانت تقضي بالعناية بأمور الزراعة وتوفير الوسائل اللازمة لها ، وكذلك في الترفيه عن الفلاح وتمكينه من الانتاج الجيد الوافر ، إذ على مثل هذا الانتاج يتوقف إزدهار المجتمع وغنى الحكومة وقوته.

كانت الضرائب المفروضة على الزراعة تكون المورد الرئيسي الذي تعتمد عليه مالية الدولة وتختلف هذه الضرائب باختلاف أحوال الري والزراعة وعلاقة اهلها بالاسلام . فأما في الحجاز فإن الرسول ﷺ فرض على اليهود من أهل خيبر وفدك ووادي القرى أن يدفعوا نصف الحاصل ؛ وأما بقية الأراضي الزراعة التي يمتلكها المسلمون في جزيرة العرب ، فقد كانت

الضريبة عليها تختلف باختلاف وسائل الأرواء وهي لا تزيد على عشر وقد عقد العرب مع بعض البلاد التي حرروها صلحاً الحاصل قرروا بموجبه الضريبة التي يدفعها أهل البلاد عن أراضيهم، وتختلف شروط هذا الصلح.

تبعاً للظروف التي تم فيها عقده. غير أن الملبية الأقاليم المحررة اعتبرت فينا للمسلمين ، تكون ملكية أراضيها للدولة ويقوم المزارعون بزراعتها واستغلالها مقابل دفع ضريبة تسمى الخراج وقد تم في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) تحرير العراق وبلاد الشام ومصر، وهي اغنى الأقاليم الزراعية في الدولة العربية الإسلامية. وقد أصر الخليفة عمر على علم توزيع الاراضي المحررة على العرب المقاتلة لأن توزيع

الأرض على العرب يجعلهم ينصرفون عن القتال والفتوح، فتحرم الدولة من خدماتهم في تلك المجالات التي كانت باشد الحاجة اليها، كما أن العرب إذا وزعت عليهم الأرض سينصرفون إلى الزراعة فينافسون الفلاحين الذين كانوا يعملون فيها ، وتتولد بينهم كثير من المشاكل ، ثم أن توزيع الأراضي على المقاتلة الذين شاركوا في التحرير سيؤدي إلى حصر ملكية الأرض بعدد محدود من العرب ، ويحرم الباقين منها ولا يخفي أن جعل ملكية الأراضي للدولة يمكنها من القيام بدورها في الادارة والعناية بمشاريع الري وإصلاح الأراضي ، ويمكنها أيضاً من التدخل الفعال في تنظيم العلاقة بين الفلاحين والمقاتلين، وبذلك يصبح للحكومة دور مهم في تثبيت سلطتها وتعزيز دورها في الادارة .

فرض عمر بن الخطاب الخراج على كل أرض قابلة للزراعة سواه زرعت أم لم تزرع ؛ ومقدار الخراج يختلف تبعاً لقابلية الأرض في الانتاج وموقعها من الأسواق ، والمحاصيل التي تنتجها وعلى العموم فإنه فرض على كل جريب يزرع الحنطة أربعة دراهم والشعير در همين ومن النخيل ثمانية الكروم عشر دراهم، ومن قصب السكر سنة دراهم، ومن جريب والمحاصيل المذكورة هي المنتوجات الزراعية الرئيسية ، وتبلغ مساحة القطن والسمسم خمسة دراهم، كما فرض على الخضر ثلاثة دراهم على كل الجريب الإسلامي ١٣٦٦ مترا مربعا أي حوالي نصف دونم.

من أما الدرهم فكان في صدر الاسلام من الفضة الخالصة ويبلغ وزنه مثقالاً الفضة النقية ، أي حوالي ٤ غرامات وكان سعر التبادل بين الفضة والذهب حوالي ١/١٢ أي أن الدينار الذهب يساوي إنني عشر درهماً ، وزنهما واحد وهو مثقال وكانت الدراهم الفضية تسك على الطراز الساساني في مدن كثيرة ، وقد أمر العرب أن تطبع على حافات بعضها كلمات عربية فلما ولي الحجاج العراق والمشرق ، عرب النقود ، أي سكها على طراز عربي وطبع عليها بالعربية آيات قرآنية ؛ كما أنه جعل وزن الدرهم يساوي ، مع العلم أن سعة أعشار وزنه السابق . وقد عرب المسلمون الدنانير ؛ أي جعلوا الكتابة عليها بالعربية، ولكنهم أبقوا وزن الدينار مثقالاً ، وكان الدينار يسك من الذهب الخالص ، والدرهم من الفضة الخالصة ، وكان الدينار في زمن هرون الرشيد يساوي ٢٢ درهماً ، ثم أصبح بعده يساوي ٢٥ درهماً ؛ وكانت جباية الخراج في العراق والمشرق بالدرهم، أما في بلاد الشام ومصر واليمن فكانت بالدنانير .

أهمية خراج المساحة : إن تقدير الخراج تبعاً لمساحة الأرض يسمى خراج المساحة ومن فوائد هذا النظام أنه يؤمن للدولة موارد ثابتة لا تتأثر بتقلبات الأحوال الزراعية ، لأنه يعتمد على مساحة الأرض وهي ثابتة ، أنه يشجع الفلاحين على تحسين الانتاج وزيادته ، إذا ما دام مقدار الضريبة ثابتاً فإن زيادة الحاصل والفائدة من تحسينه تذهب إلى الفلاح، كما أن نقص الحاصل ورداءة نوعيته يقع عبوه على الفلاح

جباية الخراج:

أما جباية الخراج فتتم بدراسة مساحة أرض كل قرية ومنتوجاتها ، ثم بقدر ما عليها من الخراج بعد تطبيق الأسس التي ذكرناها ، فيجبى الخراج من القرية أو المقاطعة وتقوم الدولة بين فترة وأخرى بإعادة مسح الأراضي وفحص منتوجاتها. ويعاد تقدير الضريبة على أساسها . وكثيرا ما يقوم بالجباية متقبلون

متعهدون يقومون بالجباية ويسلمونها إلى الدولة مقابل بعض الارباح.

تطور أحوال الخراج في العصر الأموي :

إن خراج المساحة يتطلب نجاحه أن تكون أحوال الري والزراعة والأيدي العاملة والأسعار ثابتة مستقرة .

وقد قام العرب في العهدين الراشدي والأموي بإستصلاح مساحات واسعة من الأراضي بتجفيف

المستنقعات والبطائح ، ويشق الترع وإزالة ملوحتها . كما أن بعضهم أخذ يمتلك أراضي زراعية واسعة

وكانوا يدفعون عن كل هذه الأراضي عشراً ، وهو أقل من الخراج .

الهجرة من الريف : أسبابها وأثرها

وكان الاقطاعيون في زمن الساسانيين يهيمنون على الزراعة ويجبرون الفلاحين على البقاء في أراضيهم ، فلما حرر العرب المسلمون العراق تشتت معظم الملاكين الاقطاعيين الساسانيين وتخلص منهم الفلاحون فأصبح بإمكانهم ترك أراضيهم وخاصة بعد أن خربت بعض الأراضي الزراعية نتيجة الحروب وتكسر بعض السدود ولم يقيد العرب الفلاحين فهاجر كثير منهم إلى الأمصار الاسلامية التي تزايدت أهميتها الاقتصادية والفكرية . كما أن بعض الفلاحين انتقلوا إلى الأراضي التي أحياها العرب وامتلكوها ، مستفيدين من الحماية التي يوفرها لهم العرب وهكذا تناقصت الأيدي العاملة في الأراضي الخراجية. ولما كان مقدار الخراج ثابتا على كل قرية مهما كان عدد فلاحيها لذلك فإن من بلي في أرضه يكون مسؤولاً عن دفع الخراج من أرض من يغادرها، وهكذا زاد العبد على من بلي من الفلاحين في أرضه

وكان أكثر الخراج تجيبه الدولة بالدراهم التي تدفعها لعطاء المقاتلة المقيمين في الأمصار: وقد أدى هذا إلى استقرار انتقال الدراهم من الريف إلى الأمصار ، ثم أن الدولة كانت تأخذ من الفلاح أيضاً بعض محاصيل مزارعة، وخاصة من الحنطة وتوزيعها على المقاتلة في الأمصار. وقد أدى هذا إلى أن الدراهم أخذت تتراكم في الأمصار وساعدت على ازدهار الحياة الاقتصادية فيها، أما الريف فقد تناقصت فيه وأصبح على الفلاحين إيجاد النقود لدفع المخراج، ثم أن الأمويين ظلوا يجبون الخراج بالدراهم التي وزنها مثقال حتى بعد أن سكوا الدراهم الخفيفة .

وقد فرض الأمويون على الفلاحين ضرائب إضافية ، منها هدايا الأعياد وهي مبالغ كانت تؤخذ من المزارعين وتدفع هدايا لكسرى في هذين العيدين وقد ألغاها عمر بن الخطاب (رض) ثم أعادها الأمويون ، وكان يبلغ ما يجبى منها في كل سنة عشرة ملايين درهم ..

ومن الضرائب الاضافية أيضاً أجور الفيوج وهم الذين كانوا يرافقون الجباة ، وكذلك نفقة إقامة الجباة وحاشيتهم في القرية ، وأثمان القراطيس تستعمل لتسجيل الجباية ٣ التي

وقد أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز أن تلغى هذه الضرائب الاضافية ، ولا تستعمل الشدة في الجباية. ولكن أوامره الغيت بعد وفاته .

خراج المقاسمة في العهد العباسي :

ولما ولي العباسيون الخلافة اهتموا بأمر الخراج ومعالجة مشاكله فأمر أبو جعفر المنصور بإعادة مسح السواد وضبط الأراضي المزروعة وتمييزها عن الخراب ، أما المهدي فقد أمر بإبطال خراج المساحة ، وأحل محله خراج المقاسمة الذي تأخذ الدولة بموجبه نسبة معينة من الحاصل تبعا لطريقة ري الأرض ؛ ففرض على الأرض التي تسقي سيحا نصف الحاصل وعلى الأرض التي تسقي بالدوالي ثلث الحاصل وعلى التي تسقى بالدواليب الربع ، غير ان هذه الضريبة زيدت فيما بعد، فأصبح يؤخذ من أرض السيح ثلاثة) اخماس ثم أرجعها الرشيد إلى النصف، وأنقصها المأمون بعدئذ فجعلها خمسين أي أربعين بالمائة من الحاصل

الصوافي :

وكان الملوك الساسانيون وأبناء أسرتهم والنبلاء الفرس يمتلكون إقطاعيات واسعة ، كما كانت في زمنهم أراضي واسعة موقوفة على بيوت النيرات والمعابد ، أو مخصصة لرعي خيول الجيش والبريد . وهي خصبة واسعة ، فلما حرر العرب العراق وضعوا أيديهم على تلك الأراضي واعتبروها صوافي ، فكانت جبايتها في العراق تبلغ حوالي خمسة ملايين درهم سنوياً . ولما ولي معاوية الخلافة اعتبر هذه الصوافي ملكاً للخليفة وأخذ لنفسه جبايتها وبذلك صارت الصوافي للخلفاء الأمويين ؛ فلما جاء العباسيون إلى الخلافة صادروا الأراضي التي امتلكها الخلفاء الأمويون واعتبروها ضياعاً سلطانية .

الأراضي العشرية وظهور الملكيات الزراعية :

تدمير ذكرنا أن الاضطرابات التي حدثت في أواخر الحكم الساساني أدت إلى كثير من مشاريع الري وخراب كثير من الأراضي الزراعية في العراق فلما حرر العرب المسلمون البلاد واستقروا فيها عنوا بشؤون الري والزراعة ؛ واهتموا بأحياء الأراضي وإصلاحها وشجعوا الناس على ذلك ؛ فكانوا يملكون الأرض لمن بحيبها ويصلحها ويأخذون عنها العشر فأقبل الناس على إصلاح الأراضي وتملكها ؛ واستطاع بعض المتنفذين إمتلاك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية . ثم أن عدداً من العرب أخذوا يشترون أراضي الخراج ويدفعون عنها العشر كما أن بعض الخراج الذين شعروا بنقل الخراج وأساليب الشدة في جبايته ، أخذوا يلجؤون من أراضيهم، أي يعطونها للمتنفذين من العرب مقابل حماية هؤلاء المتنفذين لأهل الأرض ؛ وكانوا يدفعون عن هذه الأراضي العشر أيضاً ؛ وقد أدى كل هذا إلى ازدياد الأراضي العشرية وتناقص الأراضي الخراجية، وكان له تأثير كبير في تناقص مقدار الخراج الذي تجبيه الدولة . .

وقد حاول الخليفة عمر بن العزيز وضع حد لتحويل الأراضي الخراجية إلى أراضي عشرية ، فقرر أن الخراج هو ضريبة على الأرض ، وينبغي أن يدفع حتى لو تملكها العرب. وقد أمر أيضاً أن تلغى الضرائب الاستثنائية ، وأن يعامل الفلاح بالحسنى، غير أن قراره لم يستمر بعد وفاته ، فاستمر العرب يقتنون الأراضي ويدفعون عنها العشر .

ولما جاء العباسيون إلى الخلافة، استمر العرب بالاهتمام بإقتناء الأرض الزراعية ، وكان أغلب الملاكين يقيمون في بغداد والمدن الرئيسة ويديرون أملاكهم بواسطة وكلاء عنهم همهم بالدرجة الأولى الحصول على الأرباح التي تجني من الزراعة وإستغلال الأرض ، وقد أدى عدم إقامة الملاكين في الريف إلى بقاء الريف مهملاً ، فلم يكن بين الفلاحين والملاكين إتصال مباشر ، وقل إطلاع أهل المدن على المساوىء التي كانت تسود الريف فزادت الهوة بين الريف والمدن

وقد حاول بعض الخلفاء العباسيين معالجة أحوال الريف ، وتحسين

أحوال الفلاحين

جباية الخراج :

وكانت جباية الخراج تتم إما مباشرة بواسطة عمال جباية ، أو بواسطة متقبلين : أو متعهدين يقوم كل منهم بجباية الخراج في منطقة معينة ، وكثيراً ما كان هؤلاء المتقبلون يحاولون أن يجمعوا من الفلاحين أكثر مما هو مقرر عليهم ويختلفون لذلك إعذاراً .

تدهور أحوال الريف :

وقد أدى كل هذا إلى تناقص النقود في الريف وإلى عجز الفلاحين عن دفع الخراج المقرر عليهم ، فتناقصت الجباية في العراق، كما أن الاضطرابات التي حدثت في الأقاليم واستقلال بعضها أدى إلى تناقص ما يصل العاصمة العباسية من موارد ، وقد حاول بعض وزراء الدولة العباسية معالجة هذه الأوضاع لتأمين حصول الدولة على الموارد الكافية الضرورية لمواجهة نفقات البلاد والجيش والادارة وخاصة في العصر العباسي الثاني عندما ازداد سلطان قواد والجيش وزادت حاجتهم إلى الأموال لدفع رواتب الجند

الصلة وكان الخلفاء العباسيون الأولون قد خصصوا موارد بعض المناطق لسد نفقات معينة . فقد حفر الخليفة المهدي نهر في منطقة واسط وجعل ما يجبى منه لأهل الحرمين ، وحفر الرشيد نهر القاطول الذي يأخذ ماءه من دجلة في شمالي سامراء وسماء أبا الجند لأنه كان يعطي من موارده رواتب الجند .

ثم أن بعض الخلفاء العباسيين كانوا يعطون بعض أنصارهم أو المقربين إليهم أراض لاستغلالها والاستفادة منها أو يعفونهم عن دفع الضرائب عنها ، أو يأخذون منهم عنها مبلغاً مقطوعاً من المال ، وهو عادة مبلغ غير كبير .

وقد منح الخلفاء بعض الوزراء وكبار الموظفين طيلة بقاء هؤلاء في غلة بعض المزارع ، وذلك لسد نفقاتهم ، وقد سميت هذه المنح مناصبهم ، إقطاعات ، وهي تبقى لصاحبها ما دام يشغل منصبه ، ثم تسترد منه بعد عزله ظهور الاقطاع العسكري :

ولما استولى البويهيون على الحكم في العراق في سنة ٣٣٤ هـ كانت السدود مخربة ، وأحوال الري مترديه ، والزراعة منحطة والجبايات قليلة . وظلت جباية الأموال أقل من أن تكفي لسد نفقات الجند . لذلك قرر هؤلاء الحكام أن يقطعوا القواد والجند إقطاعات من الأراضي الزراعية يأخذون مواردها لهم بدل الرواتب. وكانت هذه الاقطاعات من أراضي الضباع السلطانية واملاك بعض الملاكين من أراضي بيت المال .

وقد أدت هذه الاجراءات إلى نتائج خطيرة ، منها أن توزيع الاقطاعات لم يكن منتظماً ، فقد نال البعض أراضي غنية بمزروعاتها ، بينما أصاب الآخرون أراضي فقيرة ، فعمل هؤلاء على رد إقطاعاتهم وإستبدالها بغيرها ، أو قام بعضهم بتخريب إقطاعاتهم لتبرير إستبدالها فأدى هذا بدوره إلى تدني أحوال الزراعة وإلى ارتفاع الأسعار، كما أن موظفي الري والجباية لم يعودوا يستطيعون القيام بواجباتهم بسبب تدخل القواد والجند

في الجباية ، فضعف إشراف السلطة المركزية على أحوال الريف، وأدى تدخل الجند إلى إزدياد سوء الأحوال وزيادة العسف على الفلاحين .

وقد حاول عضد الدولة البويهي إصلاح الأحوال لتأمين بقاء حكمه ، فعنى بالري وأصلح السدود، وطهر بعض الأنهار ، وأعاد الأساليب القديمة في الجباية ، وحاول تحسين حال الفلاحين ، ولكنه لم يعمر طويلاً فلما توفى إزدادت الأحوال سوءاً لا في الريف فقط ، بل في المدن أيضاً حيث أدت الفتن واضطراب الأمن إلى تعرقل التجارة وركود الصناعة وكثرة البطالة واضطراب الأحوال الاقتصادية .

ثم سيطر السلاجقة وكان سلطانهم يمتد من خراسان شرقاً إلى بلاد الشام وآسيا الصغرى غرباً ، واستطاعوا أن يعبدوا الاستقرار والنظام إلى هذه الأقاليم غير أنهم لم يستطيعوا الحصول على الأموال الكافية لدفع الرواتب والنفقات للجند ، ولذلك أخذوا يمنحون الجند إقطاعات من الأراضي ، كما فعل البويهيون غير أن السلاجقة كانوا يوزعون إقطاعات القواد ، فيجعلون إقطاع كل قائد في مكانين متباعد بن كأن يقطع القائد أرضاً في آسيا الصغرى وأخرى في خراسان . وقد اشترط السلاجقة على من يأخذ الاقطاع أن يعلن ولاءه للسلطان السلجوقي وأن يقوم بالخدمة العسكرية متى طلب السلطان منه ذلك . وكانت الاقطاعات تختلف في حجمها ، فبعضها يقتصر على رقعة صغيرة من الأرض وبعض الاقطاعات تشمل إقليماً بكامله . وعلى الذي يأخذ الاقطاع أن يعد بدفع نفقاته من الاقطاع. وتتوقف سعة الاقطاع في الغالب على عدد الجند التي للأمير المقطع والاقطاع غير ثابت ولا وراثي ، فقد يسحب من صاحبه ويعطي لغيره ، والغالب أنه لا ينتقل إلى ورثته بعد وفاته .

وقد عم هذا النظام في الأقاليم الخاضعة للسلاجقة كافة ثم ورثه الاتابكة والايوبيون وطبقون في مصر أيضاً. وأصبح يعطي لابناء الأسرة الحاكمة وقوادها وأمرائها، وكذلك إلى القبائل العربية التي تقاتل في

الاقطاع في مصر

صفوفها

وبعد استيلاء المغول على المشرق ، وزوال الدولة الأيوبية ، سيطرت دولة المماليك على مصر وبلاد الشام، فاستمروا في تطبيق نظام الاقطاع العسكري ، وجعلوه يشمل بقية موارد الدولة أيضاً . فقد اقطع بعض المماليك المكوس وموارد الزكاة والمعادن والعشر، ولم تكن الاقطاعات ثابتة أو وراثية ، فكان يعاد توزيعها بين آونة وأخرى ، وخاصة على أثر الثورات أو عند اعتلاء امير جديد الحكم، فيعاد التوزيع ليصيب جماعته وأنصاره بالنصيب الأوفى ويحرم وخصومه أو تنقص إقطاعاتهم . وعلى المقطع أن يؤدي يمين الولاء للسلطان ، وأن يؤدي الخدمة الحربية، ويقوم بحفظ الأمن ، ويسهم في تسهيل وسائل الاتصال بين أطراف المملكة بتقديم خيول البريد . وهو يحصل مقابل هذا على القاب معينة، ومخصصات ومنح يرسلها له السلطان في المناسبات. وعلى كل مقطع أن يكون له عدد من الجند وعليه أن يدفع أيضاً خراجاً من إقطاعاته إلى بيت المال

ويطبق المقطع القوانين المقررة على الفلاحين ، بإشراف السلطان ، والعادة أن يأخذ الفلاح حوالي ثلث الحاصل، وعليه أن يقوم ببعض الالتزامات كضيافة من يمر بأرضه من رجال الدولة وتقديم بعض الهدايا ، وإصلاح الطرق والجسور الصغيرة ، ولم يكون يسمح للفلاح بمغادرة أرضه .

جمع العلنا الآن نعرض لعلم النبات عند العرب فقد حظي باهتمامهم الشديد عندما بدؤوا أسماء النباتات وقت أن اختلطوا بالأعاجم نتيجة اتساع فتوحاتهم ، فانتشرت المذاهب واختلفت الآراء ، وبدأ الفساد يتطرق إلى

اللغة. وكان على فصحاء البادية أن يفدوا على الأمصار لتصحيح اللغة وتعليمها وكان على الأمصار أنفسهم أن يطوفوا البادية لارتشاف اللغة من مناهلها والتحقق منها قبل تدوينها .

ثالثاً : نشأة علم النبات عند العرب :

وهكذا بدأ الاهتمام بالنبات باعتباره جزءاً من اللغة واجب التحقيق ، وليس كعلم نبات له ذاتيته، وكان من الطبيعي أن تكون الزيادة للفقهاء

والشعراء واللغويين والنحاة . ولقد أدى اهتمام العرب بجمع شتات اللغة والتحقق من الفاظها باعتبارها المدخل الصحيح إلى فهم القرآن والحديث – أدى إلى ممارستهم التدوين والتصنيف في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . وقيل إن أول المصنفين هو الامام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصري المتوفى سنة ١٥٥ هـ ، وقيل أبو النصر سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة ١٥٦ هـ ، وقيل ربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠ هـ . وتلاهم غيرهم في التصنيف في اليمن والمدينة والكوفة ومصر وخراسان ، واعتبروا الزرع والشجر والكرم والبقل ابن السكيت – المتوفى سنة ٢٤٣ هـ .. أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن السكيت تعلم النحو من البصريين النبات والشجر) والكوفيين ، وروى عن الأصمعي وغيره . ولقد صنف كتباً كثيرة منها (كان الوحوش) و (كتاب الإبل) و (كتاب الحشرات) و (كتاب النبات والشجر)

* السجستاني – المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ..

أبو حاتم سهل بن محمد بن يزيد السجستاني نزيل البصرة وعالمها من تصانيفه (كتاب النخلة) و (كتاب الزرع) و (كتاب الكرم) و (كتاب العشب) و (كتاب النبات) و (كتاب الخصب والقحط) .

*السكري – المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ..

الحسن بن الحسين بن العلاء بن أبي صفرة المعروف بالسكري الذي انتشر عنه من كتب الأدب ما لم ينتشر لأحد من نظرائه . توفي في خلافة المعتمد ، ومن كتبه) كتاب النبات) .

*الدينوري – المتوفى سنة ٢٨٢ هـ .

أحمد بن داود أبو حنيفة الدنيوري، نسب إلى دنيور في العراق العجمي . يعتبره الغربيون شيخ النباتيين العرب . أما كتابه (كتاب النبات) فهو أحد ثلاثة كتب اشتهر بها ، ولم يصنف مثله في اللغة العربية حتى عصره ، وقد عنى فيه بما قاله العرب شعراً أو نثراً في وصف النباتات أو أي جزء من أجزائه ، واستشهد بأقوالهم عن استعمالاته ومواطن نموه وازدهاره . ووصف فئات النباتات مثل الاراك والاس والاقحوان والدباء وغيرها . واعتمد في رواياته على المصادر العربية فقط دون غيرها . ولم يعر الناحية الطبية كثيراً من العناية ، ولذلك هو نباتي فحسب ، وظل مرجعاً لمن جاء بعده من علماء اللغة الذين نقلوا عنه في أشهر مؤلفاتهم ، مثلما فعل ابن دريد في الجمهرة ، وابن خالويه في كتابه (كتاب النبات والشجر) والجوهري في (صحاحه) وابن سيده في (المحكم والمخصص) ، والصافاني في (العباب) ، وابن منظور في (لانه) ، والفيروز آبادي في محيطه)، والمرتضى الزبيدي في (تاجه) . ولم يقتصر الأخذ عن أبي حنيفة على كتب اللغة ، بل نقلت عنه أكثر كتب المفردات الطبية ككتاب الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار . والحقيقة أن كتاب أبي حنيفة لم يكن مرجعاً أولاً للغويين فقط ، بل كان أيضاً هدف الأطباء والعشابين، فلا يتخرج طبيب او يبرز عشاب إلا بعد أن امتحانا في مواده وقد ظل الكتاب لفترة طويلة يلتقفه الخلف عن السلف إلى أن فقد تماماً. وأخر

العهد بهذا الكتاب أنه كان من مصادر عبد القادر بن عمر البغدادي صاحب كتاب خزانة الأدب الذي فرغ من يستوعبه ، ويؤدي تأليفه في القاهرة سنة ١٠٧٩ هـ

* ابن دريد – المتوفى سنة ٣٢١ هـ

محمد بن الحسن بن دريد بن العتاهية اللغوي البصري ولد في خلافة المعتصم ، ووصف بأنه أحفظ اللغويين لدواوين العرب وفي مصنفه (كتاب جمهرة اللغة) ذكر كثيراً من أسماء النبات نقلا عن ما تقدمه من اللغويين.

* ابن خالويه – المتوفى سنة ٣٧٠ هـ

عاصر أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه من كبار أهل اللغة المتنبي وسيف الدولة . وجاءت نسخ مخطوطه من (كتاب الشجر) نسبت إليه وطبعت في المانيا سنة ١٩٠٩م. تناول القسم الأول من الكتاب اصطلاحات تشرح تسمية الأشجار. ثم أسماء أجزاء النبات ، وأورد فيه نحو ٢٣٠ اسماً .

*الجوهري – المتوفى سنة ٣٩٣هـ .

اسماعيل بن حماد الجوهري صاحب (الصحاح) الذي اشتمل على كثير من اسماء النباتات.

* ابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ...

الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده المرسي ألف كتاب (المخصص) الذي طبع في القاهرة سنة ١٣١٦ هـ وهو كتاب موسوعي في سبعة عشر جزءاً . تناول الجزء الحادي عشر وبعض الثاني عشر النباتات وأوصافها ومرادفاتها . وتميزت المعلومات النباتية الواردة فيه بالدقة والاصالة والتوثيق في التحليل والمقارنة وهو كتاب لغوي بالدرجة الأولى ويفيد الدارسين لعلم الشكل والسلوك ، وقد نقل فيه أبي حنيفة الدينوري . الكثير من

*الصغاني – المتوفى سنة ٦٥٠ هـ .

الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، ولد بلاهور سنة ٥٧٧ هـ وهبط ببغداد سنة ٦١٥ هـ . أشهر كتبه (العباب الزاخر واللباب الفاخر) الذي حوى معلومات كثيرة من النبات والشجر .

* ابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ ..

محمد بن مكرم وقيل رضوان بن أحمد بن أبي القاسم منظور الأنصاري الافريقي المصري، ولد في محرم سنة ٦٣٠ هـ وولى قضاء طرابلس ، وهو صاحب (لسان العرب) أجمع مصنف في اللغة العربية . ضمنه جميع صنف في النبات في كتب الأقدمين ما

*الفيروزآبادي – المتوفى سنة ٨١٧ هـ ..

أبو طاهر محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر قاضي القضاة مجد الدين الفيروزآبادي الشيرازي ولد بفارس سنة ٧٢٩ هـ . وفي كتابه (القاموس المحيط) جمع الكثير من أسماء النبات . وقد تميز عن غيره من كتب بنقله أسماء النباتات المعربة عن اليونانية أو غيرها . الزبيدي – المتوفى سنة ١٢٠٥هـ

مصر مجد الدين أبو الفيض الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي نزيل مصر . ولد سنة ١١٤٥ هـ ونشأ باليمن وهبط سنة ١١٦٧ هـ . صاحب (تاج العروس) في أربعة عشر مجلداً استوعب فيه كثيراً من كتب اللغة وتذكرة الحكيم داود الانطاكي والمنهاج والتبيين وكتاب النبات للدينوري وغير ذلك من كتب النبات .

هكذا نشأ علم النبات عند العرب كجزء من اللغة ، ولقد أشرنا مجملاً لأشهر اللغويين النباتيين الذين قدحوا (الزناد) لضروب أخرى تهدف إلى دراسة النبات كعلم بذاته ولقد تم للعرب ذلك عندما تناولوه من نواحيه العلمية البحتة إلى جانب تناولهم اياه من النواحي الطبية والزراعية والجغرافية . وكان علم التصنيف هو أحد ارهاصاتهم الفكرية .

رابعاً : تصنيف النبات عند العرب المسلمين : وكان العرب هم المهرة في ميدان علم تصنيف النبات ، فوضعوا تصنيفاتهم الخاصة لاهم نباتات ديارهم ووديانهم ، ونجوعهم ، وأوجدوا مجموعات نباتية تقابل بعض الفصائل النباتية الحديثة مثل مجموعة الحموض

من أركان علم ولقد ذكرنا أن عملية التسمية تمثل ركناً التصنيف ، وتتلخص في اختيار اسم مناسب للنبات وفق قواعد معينة . ورغماً عن عدم وجود مثل هذه القواعد في أزمانهم إلا أن العرب قد توصلوا إلى نظام للتسمية بشبه ما عرف في عصور لاحقة بـ) التسمية الثنائية) التي بلورها العالم السويدي Binomial Nomenclature لينيس Linnaeus واستعملها بثبات في مؤلفة الأشهر (الأنواع النباتية) Species

Plantarum الذي نشر في سنة ١٧٥٣ م . فقد أسموا كل نبات بكلمتين تدل أحدهما على صفة مثل نبات (المرار القيصوم) ونبات (حمص الخذراف (ونبات (حمص الرونا) وكانت التسميات من الدقة بحيث حفزت العلماء الأوروبيين إلى استخدامها – أي استخدام الاسم العربي نفسه – بعد اخضاعه للأجرومية اللاتينية ليصبح اسماً ثابتاً ذا دلالة تستعمله جميع البلدان. ذلك لأن التسميات العلمية النباتية هي في جوهرها تمثل انعكاسات صادقة لأهم صفة في المسمى ، فهي وكان العرب ينتقون أحياناً صيغة جامعة لعدة أنواع . وهم على العموم توصلوا إلى صفات كثيرة استعملوها في التسمية مثل ظاهرة التعمير ، وصفة اللون ، وأشكال الثمار والأوراق ، وطبيعة الجذور والأعضاء المتحولة ، ومظهر النبات وملمه ، وطعمه، ورائحته ، واستجابة الحيوان له ، وخصائصه العلاجية ، وخصائص موطنه وبيئته وغير ذلك من صفات . أسماء وصفية

ولعله من الطريف أن نسوق امثلة لبعض التسميات العربية التي اقتبسها علماء الغرب واستعملوها اسماً علمياً لاتينياً .

الصلة الشوكية Zilla spinosa .

الرتم Retama raetam . واستعمل علماء الغرب الاسم العربي أحياناً كدالة نوعية للجنس مثل نبات (السيال) الذي أضحى اسمه العلمي Acacia seyal وهو ما يعرف في مصر باسم السنط ، وأيضاً اسم (الحارة) لتدل على أحد أنواع جنس Diplotaxix كما في النوع Diplo axis harra واسم (الحرمل في الاسم العلمي للنوع Peganum harmala) .

خاماً : نشأة علم الحيوان : مس المسلمون في دراساتهم تعلم الحيوان كثيراً من الجانب ولكنهم لم يتعمقوها ، فدرسوا الشكل والتشريح والخلية والأجنة ، والبيئة ، وسلوك الحيوان والفقريات ، والطيور والحشرات ؛ وكان

دافعهم في ذلك التعاليم الاسلامية ، فقد ورد في كتاب الله في سورة الأنعام الآية ٣٨ ، وما من دابة في الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه ، إلا أمم أمثالكم) وقال تعالى في سورة النور ، الآية ٤٥ ، والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجليه ، ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء، إن الله على كل شيء قدير ..) .

سادساً : من أقطاب علماء العرب والمسلمون في مجال الزراعة والنبات

والحيوان :

١ – ابن العوام من علماء الزراعة في الأندلس :

إن معظم علماء النبات والزراعة المسلمين قد نبغوا في الأندلس ، وكان لهم دور حضاري كبيري في نقل الزراعة إلى البلاد الأوروبية . ومن هؤلاء الرواد ابن العوام وهو أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الأشبيلي ، ولكنا لا نعرف سوى القليل عن حياته ونشأته ، بل لا نعرف متى عاش بالضبط ، وكل ما نعرفه أنه عاش في اشبيلية في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، في ذلك العصر الذي مالت فيه شمس الأندلس إلى الغروب، بعد أن بلغت ذروة التقدم الفكري والحضاري وكانت الفنون الزراعية تزدهر بنوع خاص في هذه المنطقة ، منطقة الوادي الكبير ، ودرس ابن العوام الفنون الزراعية ووضع كتابه (الفلاحة)

للفنون الزراعية مشتقاً وابن العوام يقدم الينا في مؤلفه وكتاب الفلاحة ، عرضاً مستفيضاً من عيون الكتب المتقدمة ، وهو يعتبر الزراعة فناً ، ويقول لنا أن من يريد أن يتخذ هذا الفن صنعة يصل بها إلى معاشه ، ويستعين بها على قوته وقوت عياله وأهله ، فإنه يجد في كتابه حاجته .

ومعنى فلاحة الأرض عند ابن العوام هو اصلاحها ، وغراسة الأشجار

فيها وتركيب ما يصلحه التركيب منها ، وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها فيها ، واصلاح ذلك وامداده بما ينفعه ويجود ، وعلاج ذلك بما يدفع الآفات عنه ، ومعرفة جيد الأرض ووسطها والرديء منها ، ومعرفة ما يصلح أن يزرع أو يغرس من الشجر والحبوب والخضروات ، واختيار النوع الجيد من ذلك ، ومعرفة الموعد المناسب لزراعة كل صنف فيها ، وكيف يتعهده بالعناية والرعاية.

ويقسم ابن العوام مؤلفه إلى قسمين كبيرين ، يشتملان على خمسة وثلاثين باباً ، ويتناول الباب الأول معرفة اختيار الأراضي والأسمدة والمياه ، وصفة العمل في الغراسة والتركيب ، وما يتصل بذلك . والثاني يتضمن الزراعة وما إليها ، وفلاحة الحيوان، أو ما يتعلق بتربية الماشية وعلاجها .

وينطوي تحت القسم الأول ، عدد من المسائل الزراعية العامة مثل دراسة تربة الأرض ، والوقوف على معدنها، واختيار ما يصلح أن يزرع في كل نوع منها ، مع شرح للأسمدة وطرق تجهيزها ، وبيان منافعها للأرض والشجر ، وسقي الأشجار والخضر ، ثم انشاء البساتين ، واختيار الأشجار وأنواع الثمار وأوقات غرسها ، وتطعيم الأشجار وتلقيحها ، ثم علاجها من الآفات ، واختزان الحبوب والفواكه الغضة واليابسة وغير ذلك من أمور

زراعية .

ويتناول القسم الثاني من مؤلف ابن العوام تربية الماشية وعلاجها ودراسة صفاتها التشريحية ، ومعالجة كل عضو من أعضائها ، وكل مرض من أمراضها ويخصص خلال هذه الدراسة فصلا عن الخيل وصفاتها وكيفية تربيتها ، وكيفية ركوبها ، بسلاح أو بغير ؛ ثم يتحدث بعد ذلك عن الدواجن وتربيتها والعناية بها، ثم عن النحل والمناحل والخلايا ويبدي في ذلك كله

كثيراً . من الاستيعاب والدقة والوضوح ..

عن وقد نشر هذا الكتاب أخيراً في عام ١٨٠٢م بمدينة مدريد : نقلا نسخته المخطوطة أو المحفوظة بمكتبة الاسكوريال . وكان ابن العوام شانه شان علماء المسلمين يعتمدون في علمهم على التعاليم الاسلامية والتي من أهمها القرآن والسنة النبوية ، فقد ذكر في كتابه بعض الأحاديث النبوية

الشريعة مثل :

اطلبوا الرزق في حنايا الأرض » ، « من غرس غرساً أو زرع زرعاً فأكل منه انسان أو طائر أو سبع كان له صدقة ، ، و من غرس غرساً فأثمر ، اعطاء الله من الاجر بقدر ما يخرج من الثمر) .

٢ – ابن البيطار والنبات : هو ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي ولد في مدينة مالقة سنة ٥٧٥ هـ ، وسكن اشبيلية وتوفي في دمشق عام ٦٤٦هـ .

ويعتبر ابن البيطار أعظم نباتي ظهر في القرون الوسطى ، وقد قام برحلات متعددة إلى مختلف بقاع العالم درس خلالها النبات ، ودون ملاحظاته التي جعلت لهذا العلم قيمة كبرى. ودفعت به في طريق التطور وكتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) يعد ثروة كبيرة في تراثنا

العلمي وقد اعتمد في كتابه على المشاهدة والنظر والتجربة والاختبار مخالفا

طريق الخبر ، ونبذ ما ثبت فساده، وعدم صلاحيته ، كما فحص الأدوية التي

سبق وقوع وهم أو غلط فيها . رتب كتابه على حروف المعجم ليسهل تناوله ، وقد امتاز في كتابه ايضاً بسرد اسماء الأدوية بسائر اللغات المختلفة بالاضافة إلى منابت الدواء ومنافعه ، وكان يقيد الأسماء تقييداً صحيحاً ، ويتثبت منه ، ويضيف إليه النقط والشكل والتعليق ، حتى يسلم من التصحيف والتحريف ، وهكذا يضرب ابن البيطار مثلا أعلى للعالم العربي المدقق، الناقد ، الذي يعتمد على البحث والتجريب والمشاهدة ، مما جعله في مقدمة علماء المشرق والمغرب .

ومن علماء العرب والمسلمين في مجال النبات كذلك : ابن سينا ، الذي وصف كثيراً من النباتات ، وخاصة الطبية ، في كتابه القانون ، كما كتب فصلاً ممتعاً عن حياة النبات في كتاب الشفاء ، وكتب أبو بكر محمد الرازي رسالتين عن النباتات العطرية والفاكهة ، كما وصف ابن البيطار نحو ألف وأربعمائة من النباتات،

ومنهم الدينوري ، والإدريسي والبغدادي ، والقزويني ، والغافقي وغيرهم من أطباء العرب ، وكانوا يعرفون بالعشابين ، لأنهم يعرفون خصائصها الطبية ، فكان النباتي هو الطبيب ،والطبيب هو النباتي،كذلك من الرحالة العرب ، ابن بطوطة ، ممن دون مشاهداتهم في بقاع مختلفة من الأرض ، وسجلوا في مذكراتهم وصف كثير من النباتات ، ولا ننسى البيروني الذي كان بجانب تفوقه في علوم الفلك والجغرافيا والرياضيات، والتاريخ كان متفوقاً كذلك في علوم النبات والوراثة ، حيث اشتغل في أول حياته صبيا لأحد علماء النبات وقد ساعده ذلك على دراسة الأعشاب الطبية فألف كتابه العظيم المعروف باسم (الصيدلة) فيه استقصى معرفة تراكيب الأدوية ومعرفة أسمالها واختلاف آراء المتقدمين فيها ، وقد رتبه على حروف المعجم، وما يزال هذا الكتاب على يومنا هذا مرجعاً في علم طب الاعشاب والمسمى بالطب الاسلامي في بلاد الهند .

وبفضل دقته وقوة ملاحظته اكتشف البيروني أثناء عمله في النباتات أن في الطبيعة أزهار بعضها ذو بتلات ٣-٤-٥-٦-١٨ ولكن ليس فيها مال سبع أو تسع بتلات فسجل ذلك في كتبه ، وكان هذا الكشف أول خيط في نظرية الوراثة في الأزهار التي أعلنها مندل بعده بعدة قرون.

٤-الجاحظ والحيوان ١٥٩ – ٢٥٥ هـ .

الى الامام

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني نسبة إلى بني كتابة العرب الفصحاء ، ومهما كانت عروبة الجاحظ أو عدم عروبته ، فإن الجاحظ نشأ نشأة علمية من لقاء العلماء ومناقشتهم والارتحال من أجل تحصيل العلم واتصل بعظماء الدولة في بغداد وسر من رأى، وكان من مدرسة المعتزلة التي تعتمد في أبحاثها على البرهان العقلي والحجة والمنطق . وكتاب الحيوان أهل علينا في مقدمته أغراض تأليفه له

أ – الاستدلال على عظمة الحق سبحانه من مخلوقاته

ب – اشاعة جوانب المعرفة بين الناس ج الانتصار للمعتزلة الذين تناولوا الحيوان بالكلام ونظموا فيه بعض الجلب ذلك ومن القصائد

ج –الانتصار للأرومة العربية – حين استثارتها الشعوبية – وذلك بتقبيح بعض الحيوانات واستفزارها ورمي العرب بها كالضب. وكان منهج الجاحظ في التأليف المنهج الاستقرائي ، وهو المنهج) الذي يتم بدراسة الظواهر المختلفة ، ويسير الباحث في هذا المنهج على درب من الخطوات التي تعتمد الملاحظة والتجربة والفرض والقانون .

وقد حدد الجاحظ في صدر كتابه وسائل منهجه في الموضوعات التالية : السماع ، التجربة ، الكتاب والسنة ، الغريزة ، المعاينة ، العقل ، الشك.

ومن مصادر الكتاب : الكتاب والسنة وديوان العرب والكتب الأجنبية ، وأبحاث المتكلمين والنقد العلمي.

د– القزويني والحيوان والنبات ٦٠٠ – ٦٨٢ هـ .

هو أبو يحيى زكريا بن محمد بن محمود القزويني ولد في قزوين قبل سقوط بغداد بأيدي التتار بنحو خمس وخمسين سنة وهو عربي الأرومة نسبة إلى الامام مالك (رض) . واستقر في العراق وشغل منصب القضاء في ويرجع

مدينتي واسط والحلة وكتابه :

عجائب المخلوقات، وغرائب الموجودات وآثار البلاد، وأخبار العباد) .

بعد دائرة معارف وكما يفهم من العنوان ، وصف فيه عجائب مخلوقات الله ، وغرائب الكائنات ، وقد قسم إلى قسمين أساسين : قسم يتناول الكائنات العلوية ، من فلك وهيئة ، وفيه عرض للشمس والقمر والنجوم والكواكب ، وحركاتها ، وقسم تناول فيه الكائنات السفلية من طبيعة ومناخ وبحار وجزر وحيوانات وحجار ومعادن ونبات وقد رتب كل ذلك بحسب حروف المعجم وطبع وترجم اكثر من مرة ، وكتابته ممزوجة بالقرآن والحديث والبعد عن الوهم والخيال .

الفصل السادس

العلوم الدينية

أولاً : علوم القرآن

ثانياً : علوم الحديث

ثالثاً : الفقه

أولا : علوم القرآن :

كان الدين الاسلامي الباعث الأول على ازدهار الحركة العلمية ، لهذا كان من الطبيعي أن تكون علوم القرآن هي أول العلوم التي اعتنى بها العرب والمسلمون ، وأهم علوم القرآن هي : علم أسباب النزول ، وعلم المحكم والمتشابه وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم اعجاز القرآن وإعراب القرآن ، والقراءات ، وفضائل القرآن ، ومجاز القرآن ، وتفسير القرآن ، وكل علم من هذه العلوم يتناول ناحية من نواحي القرآن ، وقد اختصر العلماء هذه العلوم في علم موحد سموه علوم القرآن ، والفوا في ذلك الكتب الكثيرة ، ومن أهمها الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي

علم أسباب النزول كانت آيات الأحكام ، أي الآيات المتعلقة بالتشريع ، تنزل في الغالب جواباً لحوادث تقع في المجتمع ، أو جواباً عن أسئلة يسألها المؤمنون ، ومعرفة هذه الحوادث والأسئلة ، والأشخاص الذين سألوها ، والظروف التي أحاطت بنزول الآية فيها، هي العلم الذي يسمى بأسباب النزول ، ومعرفة أسباب النزول ضرورية في تفسير آيات احكام العبادات والمعاملات والحلال والحرام والغزو والجهاد والاحوال الشخصية والحقوق المدنية . فلا تفهم هذه الآيات على وجهها الصحيح إلا إذا عرفت الظروف التي

نزلت فيها فالعلم بالسبب يساعد على معرفة المسبب ويفيد هذا العلم في معرفة وجه الحكمة عن تشريع الحكم ، فقد يكون اللفظ عاماً فيفيدنا علم النزول بمعرفة الدليل على أن المراد بها أي أن المراد به شخص معين، أو حادثة معينة ، لا أنه علم مطلق

ومن أهم الكتب في هذا العلم لباب النقول في أسباب النزول

لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ = ١٥٠٥م.

- علم الناسخ والمنسوخ : لقد نزلت آيات القرآن الكريم تدريجياً خلال أكثر من عشرين سنة ، وقد تدرجت فيها الأحكام ، فكانت تنزل آية في حكم من الأحكام . وبعد فترة تنزل آية أخرى فتزيل حكم الآية الأولى أو تعدله ، أو تلغيه . وهذا ما يسمى بالناسخ والمنسوخ وهذا العلم ضروري لفهم التدريج في أحكام القرآن والسنة ، ومعرفة المراحل التي مر بها التشريع القراني ومن اهم الكتب في هذا الموضوع : كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم) تأليف أبي جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ .

- إعجاز القرآن :

يقول الله تعالى مبيناً اعجاز القرآن ومتحدياً العرب أن يأتوا بمثله : وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار

التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) البقرة : ٢٣ – ٢٤ .

قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا

يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الاسراء : ٨٨ . عجز العرب أصحاب البلاغة والفصاحة أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو اية من اياته ، ورضخوا أمام التحدي القرآني الذي أذل رقابهم ،

وجعلهم يحسون مرارة الهزيمة في معركة ما عرفوا الهزيمة فيها أبداً ، الا وهي

معركة البيان

وإذا كان الاعجاز القرآني ثابتاً لا مجال للشك فيه ، فإن العلماء قد شمروا عن سواعدهم ليبرزوا جوانب الاعجاز في القرآن ، وظهرت مؤلفات كثيرة تناولت موضوع (الاعجاز القراني ، من هذه المؤلفات التي يعود تاريخها – إلى عصر النهضة العلمية خلال القرون الهجرية الأولى : (الجاحظ في كتابه و نظم القرآن ، ، . والواسطي في كتابه « اعجاز القرآن ، والرماني والباقلاني كتابيهما « اعجاز القرآن والجرجاني في كتابه و دلائل الاعجاز)

ويؤخذ على المؤلفين القدماء أنهم عندما تعرضوا لمظاهر الاعجاز القرآني بحثوا فيه من خلال القواعد البلاغية والمباحث الكلامية التي قد تبعد

كثير من الأحيان عن إبراز جوانب المجال الفني، والتناسق البياني في في القرآن ، ويعود سبب ذلك إلى طبيعة المرحلة التي كانوا يعيشون فيها ، ولذلك كانوا يبحثون في مجال الاعجاز عن التشبيه والاستعارة والمجاز

والكناية والايجاز والاطناب كل ماذا قالو

أما العلماء المحدثون الذين بحثوا عن مظاهر الاعجاز القرآني فقد ابتعدوا عن المباحث الكلامية والصور البلاغية ، وحاولوا إبراز الاعجاز من خلال الخصائص الفنية العامة التي يمكن استلهامها من النص القرآني والتي تتمثل في تلمس العناصر الجمالية التي اختص بها أسلوب القرآن من حيث التصوير الفني والتناسق الموسيقي والتعبير البليغ وتخير الألفاظ التي تعبر احسن تعبير عن الحالة النفسية التي يراد وصفها ، بحيث يحس الانسان أنه امام مشهد حي براء مائلاً أمامه

ومن العلماء المحدثين الذين بحثوا عن جوانب الاعجاز القرآني الاستاذ

مصطفى صادق الرافعي، في كتابه تاريخ آداب العرب ، ، والاستاذ سيد قطب

في كتابه التصوير الفني في القرآن .

ومن جوانب الأعجاز القرآني:

أ_ الأعجاز البياني اللغوي:

وهذا هو الجانب الذي وقع التحدي به، في وقت وصلت اللغة العربية فيه إلى أزهى عصورها، حيث كانت أسواق الأدب واللغة تقام في كل مكان ، ويقف على منابرها الأدباء والشعراء فيعرضون أنفس ما جاءت به قريحتهم من بضاعة الكلام وصناعة الشعر في جو صاخب محموم من المنافسة والمفاخرة .

وفي أشد حالات المفاخرة والاعجاب بالذات جاء القرآن ليتحداهم ويستفزهم ، ويلهب ظهورهم بالتفريع، ويضيف قادة البيان منهم بالعجز ليستثير حفيظتهم ، ويدفعهم إلى الاتيان بمثل القرآن أو يمثل عشر صور منه أو بمثل سورة واحدة فقط ، ثم يعقب على ذلك ساخراً منددا بعجزهم :

قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الاسراء : ٨٨ .

(ب) الاعجاز العلمي : يذكر كثير من العلماء المعاصرين جوانب الاعجاز العلمي في القرآن ، ويأتون لذلك بأدلة علمية واضحة تبين أن القرآن قد عرض لكثير من المعارف

المتعلقة بالانسان والكون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وكانت هذه المعارف غير معروفة وغير مكتشفة في عصر نزول القرآن ، ثم اكتشفت في العصور التي تلت ذلك

(حـ) الاعجاز الغيبي :

ونلاحظ هذا الجانب من جوانب الاعجاز من خلال ما عرض له القرآن من أخبار غيبية مما يخرج عن طاقة البشر ، منها ما هو متعلق بقضايا تاريخية ماضية عن أمم بائدة، أو قصص متعلقة بالأنبياء والمرسلين مما لم يكن معروفاً من أحد من الناس ، ولا مدونا من أي كتاب من الكتب الماضية ، ولم يعرف من حياة الرسول التي نقلت إلينا بكل تفاصيلها ودقائقها أنه قد تلقى أحد أو قرأ كتب الأولين واختلف إلى من كان عالماً بها ..

ومنها أن القرآن قد أخبر عن قضايا غيبية ستحدث في المستقبل مما لا يمكن لبشر أن يعرف عنها أو يتنبأ بها ... كقوله تعالى في أهل بدر : (وإذ

يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم) .

.. وكقوله تعالى مبشراً رسوله أنه سيظهر دينه على الأديان : و هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون (التوبة : ٣٣ ، وكقوله تعالى مخبراً أصحابه بنصر الروم بعد هزيمتهم الم ، غلبت الروم في ادنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين الله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون) القصص : ٤٤ – ٤٥ .

(د) الاعجاز التشريعي :

ويظهر هذا الاعجاز من خلال تتبعنا للأحكام التشريعية التي اشتمل عليها القرآن والتي تمثل الدستور الثابت للمسلمين ، ينظم لهم حياتهم في

المجالات جميع سواء منها ما تعلق بالأسرة والأولاد ، أو ما ارتبط بالمعاملات المالية والمدنية ، أو ما كان منظماً للعلاقات الثابتة التي يجب أن تمثل القواعد الإنسانية التعامل بين العلاقات الثابتة التي يجب أن تمثل القواعد الانسانية للتعامل بين الأفراد والجماعات والدول ، وقد اتصفت هذه الأحكام بالتكامل والترابط والثبات

والمرونة ، واليسر ودفع الحرج ، مما يجعلها قادرة على أن يقيم المجتمع الاسلامي على أساس صحيح ومتين .

علم التفسير : المقصود بالتفسير هو بيان معاني آيات القرآن الكريم، وتوضيحها. وكشف المراد منها ، نزل القرآن بلغة عربية مبينة ، وكان الرسول صلى الله علية وسلم يتلوه على العرب فيفهمون معانيه يدركون ، مراميه ، ولكنهم لم يكونوا ليفهموا القران بدرجة واحدة من الوضوح ، بل كانوا يفهمونه فهماً متفاوتاً بحسب مستواهم العقلي ، واستعدادهم اللغوي، وثقافتهم العامة

فقد كان بعضهم شديدي الاتصال بالرسول ، صلى الله علية وسلم طويلي الملازمة ، فافادهم قربهم منه فهماً للقرآن ، وتعمقاً . في إدراك معانيه

وكان بعض الصحابة ملمين باداب الجاهلية ، عالمين بلغتها وأخبارها وعاداتها أكثر من غيرهم، والقرآن يحتوي على أحكام فقهية وعقائد . ولا يكفي فهم اللغة العربية وحدها لادراك هذه الأمور، ولهذا كان الناس في عصر الرسول ﷺ بحاجة الى من يفسر لهم بعض الفاظ القرآن . وإشاراته :

التفسير بالمأثور: وكان الرسول ﷺ هو الذي يفسره لهم، ويبين معنى ما غمض منه. ، فلما توفى الرسول ﷺ، وتمت حركة التحرير والفتوحات ، ودخل الاسلام الكثير من الناس ، ومنهم من لم يكونوا عربا ، ازدادت الحاجة إلى تفسير القرآن)

وقد قام علماء الصحابة بهذا التفسير استناداً إلى ما تعلموه من النبي وما فهموه منه بحسب علمهم واجتهادهم واشهر المفسرين من الصحابة الخلفاء الراشدون الأربعة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت ، ومن هؤلاء الصحابة وغيرهم أخذ التفسير جماعة من التابعين وجاء العلماء فجمعوا تفسير الرسول صلى الله علية وسلم والصحابة والتابعين والفوا في ذلك الكتب ، وقد سمى هذا النوع من التفسير (التفسير بالمأثور، أي ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه ، أو (التفسير بالمنقول) أي ما نقل عنهم . ومن اهم الكتب في هذا الموضوع تفسير الطبري (ت ٣١٠ هـ) في المسمى جامع البيان في تفسير القرآن ، وهو يقع في ثلاثين جزءاً بعدد أجزاء

وقد سار على نهج الطبري عدد من المفسرين أشهرهم ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ ، وعنوانه « تفسير القرآن العظيم، ويمتاز بالدقة في الأسناد وبساطة العبارة ، ووضوح الفكرة ، والايجاز .

التفسير بالرأي

وقد تعددت تفاسير القرآن الكريم وتنوعت ، وكان يظهر في كل عصر تفاسير جديدة، تعتمد في التفسير على الرأي والاجتهاد ، وسبب ذلك أن القرآن هو دستور المسلمين في دينهم ودنياهم ، وكلما تطورت الحياة الاجتماعية والاقتصادية رجعوا اليه ليروا فيه حلا لما يستجد من الأمور والمشاكل

وكلما تطورت الحياة العقلية نظر العلماء إلى القرآن من وجهة نظر جديدة وقرأوا فيه معانى لم تكن لتخطر على بال من تقدمهم ، وقد أصبح تفسير القرآن في أي عصر من العصور يحمل طابع الحياة العقلية والاجتماعية والدينية لذلك العصر، لأن المفسر عادة يساير أفكار الناس ، ويقصد الى حل

المشاكل التي تواجههم، ويشرح لهم الفاظ القرآن بالطرق المألوفة لديهم وبالأساليب المعروفة عندهم، ومن هنا فإن دراسة تفاسير القرآن ذات قيمة كبيرة في فهم الحركة العلمية في الاسلام ومعرفة المستوى العقلي للمسلمين في أي عصر من العصور

وقد اشترط العلماء في المفسر المؤهل لتفسير القرآن شروطاً عديدة شديدة لا تتوافر إلا في أكابر العلماء ، فقد اشترطوا أن يكون المفسر حسن المعرفة بقواعد اللغة العربية واصولها في الحقيقة والمجاز ومعاني الفاظها واسباب النزول ، وأن يكون عليماً بالشريعة الاسلامية ، جيد الاطلاع على أحكامها، ملماً بما نقل في التفسير مروياً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين .

ومن أشهر التفاسير بالرأي مفاتيح الغيب ، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وهو يسلك طريقة الفلاسفة في الاستدلال وتفسير البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، وهو من أشهر التفاسير عند جمهور المسلمين ...

وقد حاول بعض علماء الفرق الاسلامية تفسير القرآن بما يؤيد مذاهبهم وأرائهم، ومن ذلك تفاسير المعتزلة والصوفية ، وتمتاز تفاسير المعتزلة باتباعها الأسلوب العقلي في الاستدلال وقلة اعتمادها على المأثور من التفسير ومن أشهرها : : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لجار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفي . ٥٣٨ هـ ، وهو موجز العبادة شديد العناية بتوضيح وجوه البلاغة والاعجاز في القرآن

أما تفاسير الصوفية فيغلب عليها الغموض والمصطلحات الخاصه والمعاني التي لا يفهمها إلا المطلع على اداب المتصوفة الخبير بطرقهم فيه

التفكير وأساليبهم في الكلام ومن أشهر هذه التفاسير التفسير المنسوب الى

محي الدين بن العربي المتوفي سنة ٦٣٨

التفسير بالمأثور والرأي :

وكثير من التفاسير تجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ومن أشهرها مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨هـ ، ويقع هذا التفسير في عشرة أجزاء كبيرة وقد رتبه المؤلف ترتيباً جيداً يسهل الافادة منه، فهو يبدأ بذكر اسم السورة وبين. فضلها ويذكر الآية ويعقبها بذكر ما فيها من الأعراب والقراءات وببين معانيها اللغوية ، ثم يذكر ما ورد فيها من التفاسير المأثورة ويبين فيها رأيه واجتهاده أحياناً

تفاسير العصر الحديث

وقد ظهر في العصر الحديث عدد كبير من التفاسير حاولت أن تفسر القرآن بلغة العصر وبالأسلوب الذي يفهمه الناس اليوم وحاولت أن تبين معاني القرآن في ضوء الحركات الاجتماعية والاقتصادية والاكتشافات

العلمية ومن أشهر هذه التفاسير تفسير محمد عبده الذي اكمله تلميذه محمد رشيد رضا والذي يعرف بتفسير المنار ويحاول هذا التفسير أن يوفق بين ما ورد في القرآن من إشارات إلى الظواهر الكونية والنظريات العلمية الحديثة

المراجع

كتب التفسير بالمأثور ١- جامع البيان في تفسير القرآن : ابن جرير الطبري ، الأميرية ١٣٢٣ هـ.

٣-التجارة:

١ – تطور التجارة في الاسلام :كان للعرب قبل الإسلام معرفة بالتجارة، وخبرة بها ؛ ولها عندهم منزلة مرموقة ، ولما جاء الإسلام ، ، وإتسعت الفتوحات ، وارتقت الزراعة والصناعة نشطت التجارة ، واتسعت حتى أصبح للمسلمين صلات تجارية مع معظم بلاد العالم ، وامتدت تجارتهم إلى الشرق حتى وصلت إلى الفليبين والصين ، وإلى الغرب حتى وصلت إلى بلاد الفرنجة ، وإلى الجنوب حتى وصلت إلى نيجيريا ، والحبشة ، وساحل أفريقيا ، وإلى الشمال حتى وصلت إلى بلاد الروس التي ظلت إلى ما بعد الحروب الصليبية وهيه طريق بين شمالي أوروبا والشرق .

وسرعان ما أصبح كثير من المدن الإسلامية مراكز حافلة بمظاهر التبادل التجاري البري والبحري، ومن أهم هذه المدن ، بغداد ، والبصرة والقاهرة ، والاسكندرية ، وسيراف ، وأصفهان ومرافئ الشام كطرابلس ، وصيدا ، وبيروت

وكانت الاسكندرية وبغداد هما اللتان تقرران الأسعار للعالم في ذلك العصر في البضائع الكمالية على الأقل

ومما ساعد العرب في رحلاتهم البحرية مهارتهم في ركوب البحر ، ومعرفتهم بالبوصلة ، والانتفاع بها فتمكنوا (من ارتياد البحار في جرأة ومهارة فائقة حتى ملكوا في أيديهم زمام التجارة بين الشرق والغرب وحملت سفنهم، وقوافلهم المنسوجات والأطياب والبخور ، والسكر والقطن وآنية الزجاج إلى أقاصي آسيا وإفريقية ، وعادت منها محملة بالتوابل ، والكافور ، والحرير، من أقاصي القارة الأسيوية ، والعاج ، والأبنوس ، والرقيق الأسود من القارة الإفريقية .

- أثر التجارة :

أدى نشاط المسلمين التجاري إلى ابتكار بعض النظم المالية والتجارية التي عرفتها أوروبا عنهم ، وقد أثبت العالم جرسهوب أن أول من عرف نظام الحوالات المالية هم العرب وعنهم أخذتها أوروبا في القرن العاشر عن طريق اسبانيا وإيطاليا . وقال المستر كراندال : "وفي التجارة كان الإسلام رائد العالم الحديث في إنشاء الاتحادات التجارية ، وإستعمال الشبكات ، وخطابات الاعتماد والإيصالات ووثائق الشحن "

وفي العصر الذهبي للدولة العباسية وأنشأ التجار لأول مرة نقابية مسؤولة عن راقبة المعاملات التجارية ، ومنع التدليس ، وكان رئيسها ينتخب الأعضاء الممتازين ويسمى (رئيس التجارة ، كما كان النقابة و الأمناء

وقد استفاد المسلمون من تجارتهم – خبرة بشؤون الحياة ، ومعرفة بأخلاق الناس ؛ وأصبحت التجارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري مظهراً من مظاهر أبهة الإسلام وحضارته ، ولها السيادة في البلاد، وغدت سفن المسلمين ، وقوافلهم تجوب كل البحار ، واحتلت المكان الأول للتجارة العالمية

وبذلك اضمحلت المكانة العالمية للتجارة اليهودية ، وقد كانت تستأثر بأهم ما كانت تصدره أوروبا ، وخصوصاً الغلمان والجواري . ونشأ عن هذا التقدم التجاري إزدهار الجاليات الإسلامية في كثير من

الأطراف التي تغلب عليها غير المسلمين ، فكان يرأسهم مسلم ، ولا يقبلون حكم غير المسلمين فيهم هذه الجاليات ما كان في بلاد الخزر والسرير ، واللان ، وغانة ، وكوغة ، والهند ، والصين . بل وكوريا ومن أيضاً

يقول السيد أمير علي : « اخترع العرب البوصلة البحرية التي ساعدتهم أنحاء على القيام برحلات إلى جميع ، طلباً للعلم أو الاتجار ، فأسسوا العالم المستعمرات من شاطىء إفريقيا حتى جزائر الأرخبيل الهندي ، وعلى سواحل الهند ، وجزيرة مالايا ، وتوغلوا في بلاد الصين ؛ وغدت البصرة ثغراً تجارياً هاماً تتجر مع الهند ، وكاتاي، واخترقت قوافلهم شمالي إفريقيا ، وصحراءها عن طريق المغرب ، ونقلوا البضائع من ثغور البحر الأبيض المتوسط إلى أسبانيا ، وصقلية ، وإيطاليا ، وفرنسا، واصبحت طرابزون حلقة التجارة مع الدولة البيزنطية ، ونشطت قوافل بغداد إلى أواسط آسيا ، وشمال الهند بحذاء ، وإمتدت تجارتهم إلى بحر قزوين والبحر الأسود ، وتغلغلوا في روسيا حتى وصلت النقود العباسية إلى شواطىء البلطيق وداخل السويد

- طرق المواصلات النهرية .

فأما الطرق النهرية فهي التي تسلك دجلة أو الفرات، ومن المعلوم أن بغداد تقع على نهر دجلة ، وكانت تأتيها به كثير من بضائع الجزيرة والموصل في شماله ، وثانيها بضائع البصرة وواسط والمدن الواقعة والمدن الواقعة في جنوبه ، أما الفرات فكان يرتبط بدجلة بنهر عيسى الذي تنقل فيه السلع من أعالي الفرات ومن منطقة الكوفة . أما المجاري الجنوبية من هذين النهرين فكانت تعرقلها السدود والأهوار والفروع الصغيرة التي تعترض هذين النهرين في أطرافها السفلى .

٤ – الطرق البرية :

أما الطرق البرية فأهمها الطريق الذي يربط بغداد بالمدن المقدسة في الحجاز، وهو يمر بالكوفة ويخترق صحراء جزيرة العرب ماراً بكثير من المحطات التي تتوفر فيها المياه. وهذا الطريق يسلكه الحجاج الذين يؤم البيت الحرام سنوياً عدد كبير . ويستخدم هذا الطريق لأغراض عسكرية وإدارية وتجارية ، وبالنظر لما لهذا الطريق من أهمية كبيرة فقد عنت به الدولة. فعبدت العقبات فيه ، وحضرت عليه الابار ، وعنت بتوفير المياه في محطاته. ووضعت عليه إشارات الأميال والمنار . وولت قوافل الحجاج عناية كبيرة . فكانت تعين عليها أميرا تختاره من كبار رجال الأسرة العباسية ، وترف القبائل من هذه القوافل بقوات عسكرية لحمايتها ومنع الاعتداء عليها في الجنوب . وتتفرع من بغداد طرق تربطها بواسطة البصرة والأحواز وطرق أخرى تربطها بالموصل، أو بشمال بلاد الشام ، وتسير هذه الطرق موازية لنهري دجلة والفرات.

ويسير غير أن الطريق الرئيسي هو الذي يربط بغداد بالمشرق ، وهو يمر شرقاً بالمدن الواقعة على نهر ديالي ، ثم يسير إلى همدان فالري فنيسابور فمرو ، هذا الطريق إلى بخاري وسمرقند . وتتفرع من هذا الطريق طرق أخرى تربطه بالمدن التي تقع على مسافة منه. إن لهذا الطريق أهمية كبيرة مند العصور القديمة فقد كانت تسلكه تجارة الصين البرية ، وكان يسمى في القديم (الطريق السلطاني ، وقد ازدادت أهيمته في العصور العربية الاسلامية لأنه يربط بغداد بالهضبة الايرانية وخراسان وبلاد التركستان ؛ وتقع عليه مدن كانت لها أهمية كبيرة في الدولة العربية الاسلامية ..

٥– التجارة الخارجية :

إن الدولة العربية الاسلامية كانت أراضيها واسعة وخيراتها كثيرة ومنتوجاتها وفيرة ، ومع هذا فقد كانت تعوزها بعض السلع المتوفرة في الأقاليم البعيدة ، وكان لا بد أن نستوردها من تلك البلاد ، الأمر الذي أدى إلى إزدهار التجارة معها . وأهم الأقاليم الخارجية التي كانت تتاجر مع البلاد العربية الاسلامية الصين، والهند وجزر الهند الشرقية ، وافريقية وأوروبا ..

(أ) التجارة مع الصين

وبلاد الصين واسعة تمتد من أواسط آسيا حتى المحيط الهادي ، وقد عرفت منذ أقدم الأزمنة بإنتاجها للسلع الكمالية التي تتطلب مهارة في الصنع ... كالحرير والمرايا ، والأدوات الخزفية والخشب المحفور ، وكانت تجارة الصين تسلك الطريق البري الذي يخترق أواسط اسيا ثم يمر بخراسان سالكاً الطريق السلطاني » الذي ذكرناه آنفاً. غير أن بعض تجارة الصين كانت تنقل بحرا عن طريق ارخبيل الملايو والمحيط الهندي فالخليج العربي.

(ب) التجارة مع الهند :

أما الهند وجنوبي شرقي اسيا فإن العرب كانوا يستوردون منها منذ أقدم الأزمنة التوابل والبهارات ، والأحجار الثمينة ، والأخشاب الصلبة وخاصة الساج. وهم يستوردون من أفريقية الذهب والعاج والتوابل وكان أهل اليمن يحتكرون الملاحة القرن الأول الميلادي ، وظلوا العصور الاسلامية كانت المحيط الهندي حتى في يقومون بأكبر قسط من تجارته بعد ذلك غير) أنه في مع معظم التجارة البحرية الهند تسلك الخليج العربي ،

وكانت تسير موازية للشواطىء الغربية ، لأن الشواطىء الشرقية وعرة وقليلة المياه . وقد ساعد هذا على ازدهار المدن في عمان والبحرين. وكانت السفن التي تسير في هذا البحر تصنع من الخشب وتربط بالألياف ولا تستعمل فيها المسامير . وتتعرض الملاحة البحرية إلى كثير من الأخطار الناجمة من اعتماد الملاحين في معرفة سيرهم على الشمس أو النجوم التي لا تظهر عند حدوث الغيوم . وقد أدت هذه الأخطار إلى ارتفاع أسعار السلع التي تستورد في البحر وكان يفضلون سلوك الطرق البرية كلما أمكن ذلك

(ج) التجارة مع اوروبا :

أما مع أوروبا ، فإن العرب كانوا يستوردون من روسيا وبلاد البلطية الفراء والكهرب والصفيح، وكانوا يذهبون إلى روسيا بطريق بحر قزوين ونهر الفولجا وقد وصلت تجارتهم الي بلاد البلطيق

لقد كان العرب المسلمون هم الذين يقومون بالتجارة، ولذلك كونوا لهم جاليات في خانقو (كانتون) بالصين ، وكذلك في الملايو وسومطرة وعلى سواحل الهند وأفريقية. كما وصلتنا أخبار عن رحلاتهم إلى روسيا وبلاد البلطيق وأوروبا الشرقية. وقد وجدت في هذه البلاد كميات غير قليلة من النقود العربية الاسلامية التي كانوا يشترون بها هذه السلع

(د) التجارة في البحر المتوسط :

أما في البحر المتوسط فإن العرب المسلمون أنشأوا لهم أساطيل تمكنوا فيها من فتح كثير من الجزر مثل قبرص وكريت وصقلية ، وقاموا بمهاجمة شواطيء ايطاليا وفرنسا. وكانت سفنهم التجارية تنقل السلع بين الأقاليم الاسلامية الواقعة على هذا البحر ولم تكن تجارتهم واسعة مع أوروبا التي ظلت في القرون الأولى التي أعقبت حركة التحرير العربية تعاني من تأخر في الحياة الاقتصادية وفقر في السكان والثروة ثم بدأت الأقاليم الأوروبية تنتعش منذ القرن الرابع الهجري، فبدأت التجارة تنمو بينها وبين بلاد العرب، وأخذت أوروبا تستورد المصنوعات القطنية والمعدنية وكذلك المعادن الثمينة والتوابل من البلاد العربية والاسلامية وتصدر إليها الأخشاب ، وقد ساعد إزدهار التجارة على نمو بعض الموانيء الايطالية وخاصة البندقية وجنوا التي انشأت كل منهما سفناً للتجارة ، واستطاع تجار هاتين المدينتين بمرور الزمن السيطرة على الملاحة التجارية في البحر المتوسط . وقد ظلت تجارة اوروبا مع العالم الاسلامي تتدرج في النشاط والنمو إلى أن اكتشفت

أمريكا في سنة ١٤٩٢ فحول الأوروبيون أنظارهم إلى القارة الجديدة ، وبدأت أوروبا الغربية تنمو فتدهورت التجارة في البحر المتوسط

ثانيا: علوم الحديث:

١- يقصد بالحديث أو السنة كل ما قاله الرسول عليه السلام أو فعله أو رأه ما فأقره ولم ينكره والحديث يلي القرآن في أهميته الكبرى . وذلك أنه يفصل ما أجمله القرآن ويفسر ما يصعب على الناس فهمه منه ، وكثير من آيات القرآن مجملة ، أو مطلقة ، أو عامة . والحديث يفصلها أو يقيدها أو يخصصها، فالقرآن ، مثلاً ، أمر بالصلاة على وجه الاجمال ، أما الحديث فقد وحدد أوقاتها ووصف كيفية أدائها بين عددها ، وكان الرسول يحل مشاكل المسلمين ، ويجيب عن أسئلتهم ، ويفتي لهم من قضاياهم المختلفة ، وعلى هذا فقد أصبح الحديث أساساً مهماً من أسس التشريع في العبادات والمسائل الدينية والجزائية ، وكان للحديث أعظم الأثر في نشر الثقافة في العالم الاسلامي، فقد أقبل الناس على دراسته ورحلوا في سبيل جمعه وتعلمه ، فكان من ذلك تبادل الآراء العلمية ، واطلاع علماء بلد على ما في البلد الآخر من علوم ومعرفة ، وبهذا كان الحديث من العوامل المهمة في توحيد الثقافة في العالم العربي والاسلامي .

2- نقد الحديث وتدوينه:

لم يدون الحديث تدويناً شاملاً منظماً في عهد الرسول ﷺ وفي صدر الاسلام . وإنما كان الناس يتناقلون الأحاديث المتفرقة عن طريق الرواية الشفهية ، وقد نشأ عن عدم تدوين الحديث فى حياة الرسول ﷺ ، واكتفاء الصحابة والتابعين الاعتماد على الذاكرة ، وصعوبة حصر ما قاله الرسول أو فعله مدة ثلاث وعشرين سنة من بدء الوحي إلى وفاته ، أن بعض في الناس أخذوا يضعون الأحاديث وينسبونها للنبي وهذا

ما يسمى بالحديث الموضوع ، ومن اسباب وضع الحديث : الخصومات السياسية ، والخلافات الفقهية والعنصرية . ومما زاد في ذلك تساهل قبول العلماء للأحاديث الموضوعة في الترغيب والترهيب مما لا يترتب عليه تحليل حرام أو تحريم حلال . ولم يغفل العلماء عن تمييز الحديث الصحيح من الموضوع، بل أعاروا ذلك عظيم اهتمامهم، وكرسوا جهودهم لتنقيته مما دخل عليه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة ، وقد اشترطوا إسناد الحديث ، أي بيان سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث عن النبي وهذا ما يعرف بالسند ، أما نص الحديث فيسمى المتن ومن نقد رواة الحديث وتقصى أحوالهم تعرف قيمتهم من حيث الصدق ، ويعرف أيضاً ما إذا كانوا منحازين إلى حزب سياسي أو فلسفي ليؤخذ ذلك بنظر الاعتبار ان ، ويسمى نقد الرواة بعلم الجرح والتعديل ، والجرح هو إكتشاف معايب الراوي ، أما التعديل فهو التوصل إلى أن الراوي عادل أو عدل فيما يروي ، وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد صنف العلماء الحديث بحسب قوة السند وصحته إلى أصناف منها المتواتر والآحاد ، والمتواتر ما رواه جماعة موثوقون لا يتواطئون على الكذب عن جماعة مثلهم إلى الرسول ﷺ وهذا النوع من الحديث يفيد العلم . أما الأحاديث غير المتواترة فتسمى أحاداً ، وهي لا تفيد العلم عند الفقهاء ، وإنما يجوز العمل بها عند ترجح – صدقها وقد قسموا الحديث كذلك إلى درجات بحسب تسلسل الرواة في السند ، ومن ذلك الحديث المسند وهو ما اتصل إسناده من روايته إلى منتهاه ويسمى هذا النوع من الحديث أيضاً المتصل أو الموصول . والحديث المرسل وهو الذي سقط من سنده الصحابي فرواه التابعي عن الرسول مباشرة والحديث المنقطع وهو الذي سقط من سنده راو أو أكثر ؛ والحديث المعضل وهو الذي سقط من سنده اثنان أو أكثر من الرواة وقد بدأ العلماء يدونون الحديث في مطلع القرن الثاني الهجري ، ومن أوائل الكتب التي الفت فيه (الموطأ) للامام مالك بن انس المولود في المدينة سنة ٩٥ هـ والمتوفى فيها سنة ١٧٩ هـ ، والموطأ مزيج من الحديث والفقه ، فقد جمع أحاديث الرسول

ﷺ والآثار المروية عن الصحابة والتابعين ومعاملات الناس في المدينة وهو يقيم الأحاديث بحسب المواضيع ، ويجمع الأحاديث التي تخص كل موضوع في باب مستقل وبعد عصر الامام مالك نشط التأليف المنظم في الحديث حين جمعت الأحاديث في كتب خاصة وأفردت عن الشروح الفقهية ، وأشهر هذه الكتب صحيح البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، وصحيح مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، وسنن ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ ، وسنة أبي داود السجستاني المتوفى بالبصرة سنة ٢٧٣ هـ وجامع الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ وسنن

النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ، وتسمى هذه الكتب بالصحاح الستة ، وأعظمها شهرة وتوثيقاً) صحيحاً البخاري ومسلم) ، فقد ميزها العلماء وسموها بالصحيحة، وسموا صاحبيها بالشيخين ، وسموا الكتب الأربعة الأخرى بالسنن والأحاديث في الصحاح الستة مقسمة على أبواب الفقه حيث جمعت الأحاديث المتعلقة في موضوع معين في باب معين : ومن الكتب المعتمدة في الحديث مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة ٢٤١ هـ وهو يشتمل على أربعين ألف حديث تكرر منها عشرة الاف . وأحاديث المسند مرتبة بحسب الرواة من الصحابة ، أي أن كل الأحاديث التي رواها صحابي معين تجمع تحت اسمه في فصل خاص مهما اختلفت موضوعاتها من صلاة أو زكاة أو ميراث أو غيرها . والخلاصة أن أساس ترتيب الأحاديث في الموطأ أو الصحاح الستة هو وحدة الموضوع ،أما أساس التقسيم في المسند فهو الصحابي الراوي ، ومن كتب الحديث المشهورة الكافي للكليني المتوفي سنة ٣٢٩ هـ ، وفقيه من لا يحضره الفقيه لابن بابويه المعروف بالصدوق المتوفي سنة ٣٨١ هـ وتهذيب الأحكام والاستبصار للشيخ الطوسي المتوفي سنة ٤٦٠ هـ. لقد اكتمل جمع الحديث وتدوينه والتصنيف فيه في القرن الرابع الهجري ، واعتمد المسلمون جملة من هذه الكتب واحلوها المنزلة العالية وانصرف العلماء إلى هذه الكتب المعتمدة، وأخذوا يشرحونها ، أو يهذبونها ، أو يختصرونها أو يعيدون ترتيب الاحاديث فيها وفق أنماط جديدة وقد الفت في ذلك المئات من الكتب في مختلف العصور.

3. – أهم أئمة الحديث : بعدما تناولنا تدوين الحديث على أيد الأئمة السابق ذكرهم ، نود أن نفرد جانباً خاصاً لأهم هؤلاء الأئمة ، فلم يلق علم من العلوم من العناية والاهتمام ما لقيه علم الحديث ، فقد عكف الناس منذ صدور الاسلام على حديث رسول الله يحفظونه وينقلونه ، ويبحثون عن سنده ورواته ففي عصر الصحابة اشتهر عدد من الصحابة برواية الحديث ومن أهمهم أبو هريرة وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، والسيدة عائشة ، وعبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وأبو سعيد الخدري ، وكان هؤلاء من الرواة المكثرين . وفي عصر التابعين اشتهر عدد من العلماء برواية الحديث ، منهم:

وأول من صنف في الحديث الصحيح الامام البخاري ، ثم جاء بعده الامام مسلم ، وقد حاول كل منهما أن يدون الحديث الصحيح وفق شروط معينة ، وقد استوعبا في صحيحيهما عددا كبيراً من الأحاديث النبوية الصحيحة ، حتى قال ابن تيمية : ليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن) .

الإمام البخاري : هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري المولود سنة ١٩٤ هـ من بخارى، والمتوفى سنة ٢٥٦ هـ قرب سمرقند كان البخاري من أئمة الحديث وأعلامه ، تلقى الحديث عن كبار علماء عصره حتى استطاع أن يحفظ عدداً كبيراً من الأحاديث على اختلاف أنواعها الصحيح منها وغير الصحيح ، وقد اشتهر بسرعة الحفظ ودقة النقل وسرعة البديهة ، بالاضافة إلى ما اتصف به من صبر وجلد في طلب العلم ، وحب وشغف بحديث رسول الله وبفضل هذه الصفات أصبح البخاري الامام الأول في الحديث والرواية ، وأصبح (صحيح البخاري) الكتاب الاول الذي يعتمد عليه في الحديث الصحيح كتابه وقد ترك البخاري عدداً من المؤلفات العلمية ، إلا أن أشهر هذه الكتب الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخاري ، ويعتبر هذا الكتاب أول كتاب في الحديث الصحيح ، إذ اشتمل على ٩٠٨٢ حديثاً اختارها من الروايات الكثيرة التي توافرت لديه وكان البخاري متشدداً في قبول الأحاديث ، إذ كان يشترط في رواة أحاديثه أن يكونوا قد بلغوا أعلى درجة من درجات العدالة والضبط والاتقان لكي تكون الرواية المنقولة عنهم صحيحة، ولهذا تلقى الناس صحيح البخاري بالأكبار والتقدير ، ووثقوا به كل الثقة نظرا للجهد الكبير الذي بذله البخاري في جمع صحيحه ، وإذا كان البخاري قد جمع هذا العدد من الأحاديث الصحيحة فإن هذا لا يعني أنه قد استوعب كل الحديث الصحيح ولكن من المؤكد أن ما ورد في صحيح البخاري هو أصح ما ورد في الحديث

الإمام مسلم :

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المولود سنة ٢٠٤ هـ ، والمتوفي سنة ٢٦١ هـ في نيسابور .

تلقى الامام مسلم الحديث عن عدد كبير من علماء عصره ، ورحل إلى عدد من الامصار الاسلامية باحثاً عن الحديث ، حتى استطاع أن يبلغ درجة كبيرة من العلم ، اعترف له بها العلماء الذين عاصروه والذين جاؤوا من بعده وقد وضع كتابه الشهير ((صحيح مسلم)) الذي يعتبر من الكتب الهامة التي يرجع اليها ويعتمد عليها في معرفة الأحاديث الصحيحة ، ولم يذكر من كتابه إلا ما ثبتت عنده صحته من الأحاديث

وقال في كتابه : ما وضعت شيئاً في كتابي هذا إلا بحجة ، وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة » ، ويبلغ عدد الأحاديث التي اشتمل عليها صحيح مسلم ٣٠٣٠ حديثاً .

٤ – علوم الحديث : تكاملت جهود العلماء في الحديث في جمع الحديث وتدوينه في القرن الرابع بما لا مزيد عليه، واستمرت عنايتهم بعلوم الحديث وظلت حية على مدى العصور المختلفة ومن هذه العلوم :

(أ) علم غريب الحديث : وهو علم يبحث في الأحاديث ذات المعاني الغامضة ، أو ما كان المراد هذه منها بعيداً غير واضح للقارىء العادي ، فيشرح المعاني الغامضة ، ويفسرها ، ويوضحها ، ويقرب المراد منها ، ويكشف عما ينطوي فيها من المعاني والأحكام، ومن أشهر الكتب في هذا العلم (غريب الحديث) لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ .

(ب) علم تأويل الحديث :

وهو علم يبحث عن التوفيق بين الأحاديث المتناقضة في الظاهر بطريقة التأويل ، فيزيل التناقض ، ويكشف المعنى ويبين عن المراد المقصود من الحديث ، ومن الكتب المشهورة في هذا العلم « تأويل مختلف الحديث : لابن قتيبة الدينوري

(حـ) علم علل الحديث :

وعلل الحديث هي الأسباب الخفية التي تقدح في الحديث وتضعفه من وصل منقطع ، أو رفع موقوف ، أو إدخال حديث في حديث .

(د) علم ناسخ الحديث ومنسوخه :

يسمى الحديث محكماً إذا سلم من المعارضة وإذا عورض الحديث بحديث آخر ، وظهر بينهما تناقض ، وأمكن التوفيق بين المتعارضين بما يرفع التناقض بلا تعسف ولا إسراف في التأويل ، فيسمى الحديث مختلفاً ، وإذا لم يمكن التوفيق بين الحديثين ، وثبت تأخر أحدهما بالزمن فالمتأخر بالزمن يسمى ناسخاً ويقال للمتقدم المنسوخ ، وقد ألف في هذا العلم علماء كثيرون منهم أبو جعفر النحاس مؤلف كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن المتقدم ذكره في فصل القرآن .

(هـ) مصطلح الحديث : وعلوم الحديث ، وهي تجمع مختلف فنون الحديث في علم واحد وتسمى أيضاً علم مصطلح الحديث ، وقد كتب فيه العلماء الكتب الكثيرة ، ومن أشهرهم الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة ٤٦٣ هـ الذي لم يترك فناً من فنون الحديث إلا وصنف فيه كتاباً مفرداً ؛ وألف الحافظ تقي الدين بن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ – علوم الحديث)) وقد اشتهر هذا الكتاب باسم مقدمة ابن الصلاح ، وقد اختصره المؤرخ المفسر ابن كثير واستدرك عليه استدراكات مفيدة في كتابه اختصار علوم الحديث » ، وقد اشتهر هذا الكتاب باسم مقدمة ابن الصلاح وقد اختصر المؤرخ المفسر ابن كثير واستدرك عليه استدركات مفيده في كتابه ((اختصار علوم الحديث)) وقد شرح هذا الكتاب احمد محمد شاكر ونشره بعنوان : الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث ، وهو من أحسن الكتب المختصرة في علوم الحديث

(و) علم رجال الحديث :

وقد اهتم علماء المسلمين برواة الحديث إهتماماً كبيراً ، والفوا في ذلك الكتب العديدة ، وكانت تلك المؤلفات التاريخية ، نوعاً رائعاً من المؤلفات في هذا المجال ، وسجلاً مفصلاً للحياة الثقافية في البلاد الاسلامية عامة على مدى العصور . وقد سلك المؤلفون طرقاً عديدة في تأليفهم فمنهم من عنى بحياة الرواة وفصلها ، ومنهم من عنى بأسماء الصحابة خاصة ، ومنهم من عنى برواة الحديث عامة ، ومنهم من قصر كتابه على الضعفاء ، أو الحفاظ ، أو المدلسين ، أو الوضاعين . ومنها كتب خاصة بالجرح والتعديل ، أو برجال كتاب معين ، والكتب المؤلفة في رجال الحديث كثيرة تكاد لا تحصى ومن أشهرها كتاب التاريخ للبخاري ، وكتاب الطبقات لخليفة بن الخياط المتوفى سنة ٢٤٠ هـ وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ والاستيعاب لابن عبد البر المتوفى سنة ٤٩٣ هـ وأسد الغابة معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣١ هـ وميزان الاعتدال للحافظ الذهبي والخلاصة أن الحديث هو الأصل الثاني من أصول الدين في الاسلام ، وقد اهتم به المسلمون فرحلوا في طلبه ، وجمعوه والفوا في علومه المختلفة ما لا يحصى من الكتب ، وبنو لتدريسه المدارس والمكتبات وقد نتج عن العناية بالحديث انتشار الثقافة في العالم العربي الاسلامي وتوحيدها وفتح أبوابها لجمهور الناس والعناية باللغه العربية والمحافظة عليها وبالتراث العربي الاسلامي عموماً .

ثالثا:الفقه:

يتناول الفقه الاسلامي جميع المسائل التي تواجه الانسان في حياته الشخصية والدينية والاجتماعية والاقتصادية ، ويضع القواعد التي تنظم حياته ، فهو يبحث في الفرائض الدينية ، والأحوال الشخصية ، والمعاملات الاقتصادية ، وفي الجرائم وعقوبتها ، وقد مر الفقه بتطورات هامة وانتج حركة رائعة من حيث ضخامة الانتاج وعدد العلماء والفقهاء وابتكار الأساليب في الاجتهاد ، والتعبير اللغوي والمصطلحات ، ووضع القواعد التي تسايرتغير الظروف، وتطور المجتمع ، والحق أن إنتاج المسلمين في الفقه من اقوى الأدلة على خصب الثقافة العربية الاسلامية ، ورقي مستواها وأصالتها . ١- مصادر الفقه :

وتستند قواعد الفقه على أصول أربعة وهي : القرآن ، والسنة ، والاجماع، الرأي او الاجتهاد

أولاً – القرآن : القرآن يفيد القطع من ناحية ثبوته ووجوب العمل به ، وهو المصدر النقلي الأساسي الأول الذي لا يعدل عنه إلى سواه . ولكن لفظ القرآن قد يكون نصاً واضحاً محدداً لا يحتمل إلا معنى واحداً ، وقد يحتمل عدة معان ، فيكون محل اجتهاد المجتهدين ، وقد بين الفقهاء قواعد التفسير والاجتهاد ، وأوضحوا شروطها ، والعلوم الموصلة إليهما . وقد ذكرنا شيئاً من ذلك عند الحديث عن التفسير .

ثانياً – السنة : والسنة المصدر الأساسي الثاني للتشريع بعد القرآن ، وقد أجمع الفقهاء على وجوب العمل بالحديث الصحيح (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر : ٧ .

ثالثاً – الاجتهاد أو الرأي : قام التشريع في حياة الرسول الله على القرآن الكريم وعلى السنة النبوية الشريفة ، ولما توفى الرسول سار المسلمون على هذين الأساسيين في حل ما ينشأ لهم من مشاكل قانونية ، فإذا واجهتهم مسائل لا يجدون فيها نصا في القرآن أو السنة لجأوا إلى الاجتهاد برأيهم ، وهذا ما عرف فيما بعد بـ أو الرأي أو القياس وقد كان الخليفة أبو بكر الصديق (رض) إذا عرضت عليه قضية ولم يجد فيها نصاً في القرآن والسنة يجمع الناس ويستشيرهم فيبحثون القضية ويبدون فيها آراءهم ، فإذا اجتمع رأيهم على حل قضى به ، وكذلك كان يفعل الخلفاء الراشدون وفقهاء عصورهم ، وقد قال عمر بن الخطاب (رض) لشريح لما ولاه قضاء الكوفة (انظر ما يتبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً ، وما لم يتبين لك فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد فيه برأيك) .

رابعاً – الاجماع : وكان الحكم الذي يتوصل إليه المجتهدون من الصحابة ، بعد مشاورة وتقليب للآراء المختلفة ، يسمى إجماعاً ، ويتوجب على الناس أن يتبعوه ولا يخالفوه ، لأن في مخالفته نقضاً لوحدة الرأي ،

وكان الاجماع في ذلك العصر ميسوراً لأن عدد المجتهدين من الصحابة كان قليلا ، فكان من السهل جمعهم وإستشارتهم والاطلاع على آرائهم في أي موضوع. وكان الاجتهاد والاجماع يستندان إلى القرآن والسنة ، وإلى العرف والعادة السائدة في المجتمع مما لم يتعرض له القرآن والسنة بالتغير . وكان الاجتهاد والاجماع في هذه المرحلة بسيطين ، بساطة المجتمع العربي الاسلامي الأول ، وقد تعقد فيما بعد وكثرت فيهما المصطلحات ، واختلفت حولهما الآراء وفي عصر التابعين ، أي من نهاية العصر الراشدي إلى حوالى نهاية القرن الأول ، نشط التشريع ، وتعددت فيه الاتجاهات الفقهية . وفي هذا العصر بدأ النزاع بين أصحاب الاجتهاد والرأي وأصحاب الحديث ، وكان أصحاب الحديث يقفون عند ظاهر النصوص من القرآن والسنة ، لا يبحثون في عللها ، وقلما كانوا يفتون برأيهم إجتهاداً، أما$$$$$$$أصحاب الرأي فكانوا لا يقبلون الحديث على علاته ، ويحاولون ربط المسائل بعضها ببعض، ويبدون آراءهم ويجتهدون في القضايا التي لا يجدون لها نصوصاً في الآثار النقلية وقد اشتهر أهل الحجاز بالتمسك بالحديث ، أما فقهاء العراق فقد أخذوا بالرأي واشتهروا فيه ، ومن الأسباب التي جعلت أهل الحجاز يتمسكون بالحديث ، وأهل الأمصار ، وخاصة العراقيين ، يميلون إلى الاجتهاد ، أن الحجاز هو موطن السنة وفيه كثير من العادات والاعراف التي أقرها الاسلام ولم يتعرض لها بتغيير وتحوير إلا قليلاً ، وقد بقي الناس يذكرون سيرة الرسول وأصحابه ويتبعون ما توارثوه عنهم، ويسيرون حسب تقاليدهم وأعرافهم أما في الأمصار الجديدة فقد واجه الفقهاء حضارات قديمة متطورة ، ووجدوا أمورا لم تكن في الحجاز ، ووجدوا نظما وحياة إجتماعية جديدة لديهم عليهم ، واطلعوا على تشريعات وأحكام سائدة وطرق في التقاضي غير معروفة ، وقد حملتهم كل هذه الأسباب على أعمال الفكر والاجتهاد فيما يعرض عليهم من قضايا تحتاج إلى حلول تشريعية . وقد بلغ الفقه مستوى عالياً خلال القرنين التاليين ، أي من أوائل القرن الثاني إلى منتصف القرن الرابع ، فقد تم في هذا العصر تدوين الحديث ، الفقه وظهرت الكتب المعتمدة فيه ، وفي هذا العصر ظهرت واستقل عن الاصطلاحات الفقهية ، واشتدت المناقشات حول أصولها العقلية ، كالقياس والاستحسان وما تفرع عنهما . وفي هذا العصر ظهر كبار الفقهاء الذين أصبح. كل واحد منهم ! إماماً ما زال قائماً حتى عصرنا هذا ، وقد امتاز هذا العصر لمذهب فقهي أحراراً بالخصب ، والحيوية وحرية التفكير ، فقد كان باب الاجتهاد مفتوحا ، ولم تصبح بعد ، أقوال الفقهاء الكبار. مصونة عن النقد ، فكان الفقهاء ، في إبداء آرائهم ، ونقد آراء مخالفيهم ، وكان الناس أحراراً في الأخذ برأي هذا الفقيه أو ذلك ولم يجمدوا على تقليد اتجاه معين .

٢ – المذاهب الفقهية: لا تمثل المذاهب الفقهية آراء خارجة عن نطاق النصوص التشريعية الثابتة ، وإنما نجد الحرص الأكيد من جميع أئمة المذاهب المشهورة وغير المشهورة على تلمس الحق والصواب ، ونظراً لأن الصواب في القضايا الاجتهادية لا يمكن التأكد منه فقد حاول كل فقيه من الفقهاء أن يتلمس الصواب ويصل إليه عن طريق الاجتهاد ، إذ لا يجوز في نظر الاسلام التقليد لمن توفرت فيه شروط الاجتهاد ، ولهذا نصل إلى أن تعدد الاجتهادات وتعدد المذاهب ، إنما هو ظاهرة صحية أنجبت هذه الثروة الضخمة في الآراء والفروع

أولاً : المذهب الحنفي :

ينسب هذا المذهب إلى شيخه ، النعمان بن ثابت ، المولود في الكوفة سنة ٨٠ هـ ، والمتوفى عام ١٥٠ هـ ، وقد نشأ في الكوفة حيث الحركة العلمية الدائبة ، فتأثر في طفولته وتلقى العلم عن كبار علماء الكوفة ، وبفضل ذكائه وصبره وجهده استطاع أن يحتل مكانة كبيرة بين علماء عصره مما مكنه أن يتصدى للتدريس ، فالتف الناس حوله ، ووجدوا فيه علماً غزيراً ، وقدرة على المناظرة والمجادلة ، وموهبة في البحث عن العلل والأسباب . مما مكنه عصره من ولعل الشيء البارز في منهجه التدريبي هو أسلوبه في الحوار ، والذي يشبه فيه طريقه « سقراط) فهو لا يلقى الدرس إلقاء ، ولكن يعرض المسألة ثم يفتح فيها باب المناقشة ، فيبدي كل فرد من تلاميذه رأيه فيها ، ثم إذا إنتهى الحوار أبدى وجهة نظره ، معتمداً في ذلك على ما تمخضت عنه المناقشة وقد توسع المذهب الحنفي في الأخذ بالقياس والرأي ، لا عزوفاً عن حديث الرسول ، ولكن لقلة الحديث الصحيح في العراق ، فإذا صح الحديث عنده فإنه لا يخرج عنه ابداً ، فإذا لم تثبت صحةالحديث عنده فعندها يلجأ الى الرأي مستعملًا القياس والاستحسان ، وقد كان يملك القدرة فائقة في عملية التفريع واستخرج الأحكام من النصوص، وهذا يدلنا على تمكنه من فهم الشريعة ومن استعياب مراميها ومقاصدها ومن اشهر تلاميذه أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم المتوفي سنه ١٨٢هـ الذي شغل منصب قاضي القضاة ، وأول من عين في هذا المنصب ، ومحمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩هـ .

ثانياً – المذهب المالكي :

ينسب المذهب المالكي إلى شيخه الامام مالك بن انس المولود في المدينة سنة ٩٣ هـ والمتوفى فيها سنة ١٧٩ هـ وقد نشأ مالك بن أنس في المدينة فتأثر بالبيئة العلمية التي كانت مسيطرة على الرسول الكريم وتلقى العلم عن علماء المدينة ، فاستطاع بجهده ودأبه وإلحاحه في طلب العلم أن فيه يتبوأ مكانة كبيرة في النفوس ، ولما جلس للتدريس في مسجد الرسول الكريم ﷺ ، رحل الناس إليه من كل مكان والتفوا حوله ، فكان يتكلم في الحديث وفي الفقه ، وقد ترك كتابه الشهير « الموطأ » الذي جمع الأحاديث الصحاح والفتاوى ورتبها حسب الترتيب الفقهي ، فكان هذا الكتاب كتاب حديث وفقه في آن واحد ويختلف منهج الامام مالك عن منهج الامام ابي حنيفة من حيث أن الامام مالك بن أنس كان زعيم مدرسة الحديث ، فكان يكره منهج مدرسة الرأي في العراق ، وبالرغم من هذه الكراهية ، فقد كان يأخذ بالرأي ويعتمد على الاجتهاد والقياس والمصلحة عندما لا يكون هناك نص شرعي ثابت . وقد اشتهر من تلاميذ مالك عدد من العلماء منهم : عبد الله بن وهب ، وعبد الرحمن بن القاسم ، وقد قام تلاميذه من بعده بتدوين آرائه ونشرها ،وقد انتشر هذا المذهب في مصر ثم انتقل إلى المغرب والأندلس ، ولا زال حتى الان في بلاد المغرب وبعض البلاد الإسلامية .

ثالثاً – المذهب الشافعي :

ينسب المذهب الشافعي إلى محمد بن ادريس الشافعي المولود في غزة سنة سنة ١٥٠ هـ والمتوفى ٢٠٤ هـ وقد نشأ محمد بن ادريس يتيماً بسبب فقده لوالده فانتقلت به أمه إلى مكة ، وفي مكة تلقى العلم عن شيوخه فيها ، ثم رحل إلى المدينة حيث التقى بالامام مالك وأخذ عنه العلم ، وبعد وفاة الامام مالك اصبح والياً على نجران » إلا أنه سرعان ما اتهم بتشيعه للعلويين والدعوة لهم فحمل إلى الخليفة الرشيد في الرقة ، إلا أنه برىء من هذه التهمة .

وبعدها انتقل إلى بغداد وكان على صلة وثيقة بالامام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة فأخذ عنه كثيراً من علمه وفقهه وهكذا استطاع الشافعي أن يجمع بين منهجي استاذه الأول مالك بن انس زعيم مدرسة الحديث، وأستاذه الثاني محمد بن الحسن تلميذ ابي حنيفة زعيم مدرسة الرأي . ونستطيع أن نقول أن الشافعي يعتبر مجدداً بالنسبة لعصره ، فقد لجأ في تدريسه وتقريره للأحكام إلى منهج جديد يعتمد فيه على وضع القواعد الأساسية والأصول الكلية سواء بالنسبة لمصادر التشريع أو بالنسبة لوضعه علم اصول الفقه، حيث ترك لنا كتابيه (الام » ، و « الرسالة) .

رابعاً – المذهب الحنبلي : ينسب هذا المذهب إلى الامام) أحمد بن حنبل » المولود ببغداد سنة ١٦٤هـ والمتوفى فيها سنة ٢٤١ هـ ، واتجه إلى دراسة الحديث والرواية والتقى بالامام الشافعي في الحجاز ، فأخذ عنه الفقه والأصول .

وأحمد بن حنبل محدث وفقيه ، وقد اشتهر بالحديث أكثر من إشتهاره بالفقه ولهذا عده بعض العلماء محدثاً وليس فقيها ومن الملاحظ أن الامام أحمد بن حنبل لم يكتب آراءه الفقهية ، كما فعل الشافعي ، بل كان يكره كتابتها ، ولعل سبب ذلك يعود إلى رغبته في ألا ينصرف الناس إلى الفقه عن القرآن والسنة

خامساً – المذهب الظاهري : ينسب من هذا المذهب إلى شيخه (داوود بن الأصبهاني ، المولود بالكوفة سنة ٢٠٢ هـ والمتوفى في بغداد سنة ٢٧٠هـ . وكان داوود المعروف بالظاهري من أنصار المذهب الشافعي ومن علماء هذا المذهب إلا أنه بالرغم ذلك فقد خرج على آراء الشافعية ، وخالفهم في موضوع الأخذ بالقياس ومن المعروف أن الشافعي يعتبر القياس هو المصدر الرابع من مصادر التشريع ، ولا يأخذ بالاستحسان، واعتبر الظاهري أن المصادر الحقيقة للتشريع هي النصوص فقط القرآن والسنة ، ولا يجوز الاعتماد على الرأي أو القياس ، ولهذا سمي بالظاهري لأنه كان يأخذ بظواهر النصوص فقط دون البحث عن العلل والأقيسة إلا أن المذهب الظاهري لم ينتشر بشكل واسع ، ولم تعرف آراؤه الفقهية إلا على يد أبي محمد علي بن حزم الاندلسي ، المتوفي سنة ٤٥٦ هـ والذي صنف كتابيه (المحلي »، « الاحكام في اصول الاحكام »

حيث ضمنهما منهجه وهو المنهج الظاهري، أي الأخذ بظواهر النصوص من القرآن والسنة دون الخوض فيما وراءها من علل وأقيسة . سادساً – المذهب الشيعي: بعد وفاة الرسول الكريم اختلف المسلمون في موضوع خلافة الرسول : من أحق الناس بخلافته ؟.. إلا أن الموضوع قد حسم عندما بويع أبو بكر بالخلافة وبعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان تولى علي بن أبي طالب الخلافة – فأصبح الخليفة الرابع ، ولكن خلاف حاداً نشأ بين المسلمين ففريق وقف إلى جانب الخليفة يناصره ويدافع عن الخلافة ، وفريق آخر بزعامة معاوية بن أبي سفيان وقف في وجه الخليفة ورفض مبايعته

ثم انشق بعض أنصار الخليفة – عليه بعد معركة « صفين ، وقالوا ولا حكم إلا لله) وحارب الخليفة الخارجين عليه إلا أن أحد الخوارج طعنه في مسجد الكوفة فقتله

وهنا استقر الحكم للأمويين وابتدؤ وا ممارسة أقسى أساليب الاضطهاد ضد كل من يتوسمون فيه القدرة على مقاومتهم من آل بيت رسول الله وبخاصة آل علي بن أبي طالب ، وكانت حادثة كربلاء ، التي قتل فيها « الحسين بن علي (على يد الأمويين من أقسى الجرائم الوحشية التي ارتكبت في حق من آل البيت

وقد ظهرت فرق كثيرة كالخوارج والشيعة وأهل السنة . ومن أهم هذه الفرق) الشيعة (ومن أهمها الزيدية والجعفرية ، والزيدية تنسب إلى الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ٨٠ – ١٢٢ هـ وهو فقيه محدث ؛ والجعفرية تنسب للامام جعفر الصادق ٨٠ – ١٤٨ هـ وجده علي زين العابدين بن الحسين إمام المدينة في العلم

والخلافات بين أهل السنة والشيعة الامامية لم تكن جوهرية في أصول المسائل الفقهية، لهذا فإن أمتنا بخير إن شاء الله وأوجه الالتقاء أكبر وأكثر .

أولا : اللغة والمعاجم :

خصائص اللغة العربية :

العصر فهي لغة كل قوم ، في أي . عصر من العصور ، هي مظهر لعقليتهم في ذلك تدل على الأفكار التي جالت في عقولهم ، وأدوات الحضارة المادية التي إستخدموها ، والنظم الاجتماعية التي عاشوا في ظلها . وكانت لغة العرب في الجاهلية غنية بالألفاظ وخاصة فيما يتصل بطبيعة أرضهم وأجوائهم وحياتهم المادية والاجتماعية والرحوية واللغة العربية ، بالاضافة إلى غناها اللفظي ، دقيقة التعبير ففيها لكل معنى لفظ خاص به ، لتأدية فروع المعاني وأجزائها أمثلة ذلك أن لكل ساعة . ساعات النار إسماً خاصاً بها . وفيها ألفاظ تعبر عن ترتيب عمر الانسان منذ تكوينه جنيناً إلى هرمه ووفاته . ونجد مثل ذلك في المعنويات ففيها كلمات تعبر عن السرور والسعادة واللهو والمرح والبؤس والخوف والفقر وكل ذلك إنما يعبر وفيها ألفاظ من ومن من أحوالهم وحياتهم.

وليست اللغه العربيه غنيه بألفاظها فقط بل هيه غنيه كذلك بقواعد نحوها وصرفها وإشتقاقها . ولعلها أغنى اللغات في الالفاظ التي تعبر عن المعاني المجردة والعواطف والانفعالات

وقد أصبحت اللغة العربية، بعد ظهور الاسلام لغة الدين والفكر وإعانتها خصائصها التي ذكرناها على التعبير عن أدواة الحضارة المادية " والمعاني المجردة فأصبحت أداة رائعة للعلوم والفلسفة والأدب ، وكانت لغة المعرفة والثقافة في العالم خلال عصور طويلة .

جمع ألفاظ اللغة :

ومنذ صدر الإسلام بدأ العلماء يجمعون ألفاظ اللغة ويرتبونها . واستمرت جهودهم طوال القرون الثلاثة الأولى. وكانوا يجمعون مفردات اللغة من القرآن الكريم لأنه أفصح اللغة العربية ألفاظاً وأبلغها تعبيراً ، كما كانوا يجمعونها من الشعر الجاهلي ومن ألفاظ أعراب البادية . وكانوا يرحلون إلى البادية، أو يتصلون بمن يقدم من الاعراب إلى البصرة والكوفة ، فيسألونهم ويأخذون منهم ويدونون عنهم. وكانوا ينقدون الألفاظ

ليتأكدوا من أن الكلمة صحيحة من حيث اشتقاقها من أصولها . وإنقسم علماء اللغة إلى فريقين : فريق يصححون اللفظة على أساس صحة روايتها ، وفريق لا يعتبرونها صحيحة إلا إذا كانت صحيحة من حيث القياس وقد اشتهر أهل البصرة بالقياس ، واشتهر أهل الكوفة بالسماع أي بالاعتماد على الروايات المنقولة عن الاعراب .

تدوين ألفاظ اللغة وترتيبها :

وقد دون بعض العلماء ألفاظ اللغة في رسائل وكتب صغيرة مستقلة ، يقتصر كل كتب أو رسالة منها ألفاظ موضوع معين، مثل كتاب الابل ، وكتاب الخيل ، وكتاب النخيل للأصمعي. وكتاب خلق الانسان لأبي إسحاق الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ . ونظم بعض العلماء الألفاظ في معاجم عامة لا

تقتصر على موضوع معين، وإنما ترتب على – حسب الحروف الهجائية أو على المعاني المتشابهة أو المتقاربة . وأول من رتب الفاظ اللغة حسب الحروف الهجائية الخليل بن أحمد الفراهيدي الازدي المتوفى حوالي سنة ١٧٠ هـ وهو واضع قواعد علم العروض، أي علم أوزان الشعر وبحوره . وقد رتب الفاظ اللغة حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالشفتين. وبدا بحروف العين حرف العلة الآخر . ولهذا سمي الكتاب بكتاب العين . وقد أفاد من كتاب العين الأدباء واللغويون وأصحاب المعاجم فائدة كبيرة ..

المعاجم اللغوية :

وقد إستمر العلماء على وضع المعاجم، أو القواميس ، واتبعوا أساليب مختلفة في ترتيب الكلمات ومن أشهر هذه المعاجم : الجمهرة في اللغة لأبي بكر محمد ابن الحسن الأزدي البصري (المتوفى سنة ٣٢١ هـ) وهو معجم مرتب على حروف الهجاء مع تقليبات الكلمة . والتهذيب للأزهري (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) وهو مرتب على طريقة كتاب العين . والمجمل لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ هـ) والصحاح للجوهري (المتوفى سنة ٣٩٨ هـ) ، وقد لخصه الرازي من أهل القرن الثامن في كتاب سماه (مختار الصحاح) . والصحاح ومختار الصحاح مرتبان على الحرفين الأول والآخر من أصل الكلمة ، أي أن الكتاب مقسم إلى أبواب بحسب الحرف الأخير من فالباحث . الكلمة. وكل باب مقسم إلى فصول بحسب الحرف الأول من الكلمة . ن كلمة) علم (يجدها في باب الميم فصل العين . و (كتب) في باب الباء فصل الكاف . وقد سار على

هذا النهج ابن منظور في معجمه السان العرب (الفيروز أبادي في (القاموس المحيط » « والزبيدي) في (تاج العروس .

ومن المعاجم المعتبرة (المحكم » » والمخصص ، لابن سيده العالم الضرير الاندلسي المتوفي سنة ٤٥٨ هـ فأما " المحكم والمحيط الاعظم " فهو

معجم كبير جامع ويشتمل على معظم ألفاظ اللغة . والألفاظ فيه مرتبة على. ترتيب كتاب العين، ويمتاز بالضبط والدقة . وقد انتقى المؤلف الشواهد من أوثق المصادر الشعرية وغيرها. وقد اعتمد عليه الفيروز أبادي في القاموس المحيط. أما المخصص فإن مواده مرتبة حسب مواضيعها ومعانيها وليس على الحروف الهجائية ...

ومن أوسع معاجم اللغة وأعظمها إنتشاراً إلى يومنا هذا لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ وقد أورد عن كل كلمة شواهد كثير من الآيات والأحاديث والأشعار . ولسان العرب أكثر من معجم . فهو كتاب لغة ، ونحو ، وصرف ، وفقه ، وآداب وشرح للحديث ، وتفسير للقرآن . وهو يقع في عشرين مجلداً كبيراً . القاموس المحيط للفيروز أبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ وقد شرحه السيد مرتضى الزبيدي ١١٤٥ – ١٢٠٥ هـ ١٧٣٢ – ١٧٩٠ م مستعيناً بلسان العرب وغيره من كتب اللغة ومعاجمها ، وسمي شرحه تاج في شرح جواهر القاموس .. وهو من أكبر المعاجم وأوثقها . ولم ينقطع التأليف في معاجم اللغة منذ فجر النهضة العربية حتى يومنا هذا : فقد ألفت عشرات المعاجم نذكر منها : المعجم الوسيط ، الذي نشره مجمع اللغة العربية في القاهرة بجزئين سنة ١٩٦٠ وهو من أصح المعاجم العصرية ، وأعظمها فائدة للقارىء ولما حوى من الألفاظ المعربة والاشتقاقات الجديدة والكلمات الحضارية والعلمية المستحدثة . والمعاجم العربية الحديثة ترتب الكلمات بحسب الحرفين الأولين من يجدها في حرف العين المتبوعة باللام و (كتب) يجدها في حرف الكاف المتبوعة بالثاء المادة .. فالبحث كلمة علم عن وهكذا

ثانيا : النحو

النحو هو علم قواعد اللغة العربية ، وبه تعرف أحوال التراكيب العربية من الاعراب والبناء وغيرها. وهو يساعد على معرفة صحة الكلام وفساده

وكان العرب يتكلمون لغتهم صحيحة على الفطرة والسليقة ، فلما تمت حركة التحرير وتعلم أبناء البلاد المحررة اللغة العربية ، دخل الفساد إلى هذه اللغة وشاع اللحن فيها ، فصاروا يرفعون المنصوب وينصبون المرفوع. وكان بعضهم يخطىء ء حتى في قراءة آيات القرآن الكريم . وقد إهتم العلماء بهذه المشكلة ، فبدأوا يضعون القواعد لضبط الكلام ..

نشوء علم النحو :

وقد اختلف المؤرخون في أول من وضع قواعد النحو . فمنهم من قال أنه الإمام علي (كرم الله وجهه) . ومنهم من قال أنه أبو الأسود الدؤلي المتوفي سنة ٦٩هـ ومنهم من ذهب إلى أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي بإرشاد الإمام علي وتوجيهه ومنهم من يذكر غير ذلك . على أن الشيء المؤكد هو أن مبادىء النحو ظهرت في البصرة أولاً ، ثم في الكوفة .

مذهب الكوفيين والبصريين في النحو :

كان أكثر اعتماد علماء النحو البصريين على القياس ، وكانوا يهملون الشاذ الذي لا ينطبق على القاعدة. وكان أكثر إعتماد علماء الكوفة على الرواية والسماع، فكانوا يقبلون الشاذ الذي لا تنطبق عليه القاعدة ، إذا كانوا قد سمعوه من العرب. وأما الخلافات بين الكوفيين والبصريين في الفروع والتفاصيل فكثيرة جداً. وقد ألفت في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين كتب عديدة أهمها : (الانصاف في مسائل الخلاف . بين البصريين والكوفيين » لابن الأنباري .

مدرسة بغداد في النحو :

وعندما تأسست مدينة بغداد وانتقلت الحركة العلمية إليها ، وفق العلماء بين نحو البصريين والكوفيين ، فكونوا مدرسة جديدة للنحو قامت على أساس مدرستي البصرة والكوفة ، فأصبح ذلك هو الأساس والمصدر لما ألف بعد الكتب في النحو . وكانت الغلبة في مدرسة بغداد لنحو الكوفة .

علماء البصرة في النحو :

ومن أشهر علماء البصرة في النحو أبو الأسود الدؤلي ، الذي ينسب إليه أحمد الفراهيدي ، ويونس بن حبيب وضع أسس هذا العلم، والخليل بن المتوفى سنة ١٨٢ هـ وسيبويه المتوفى حوالي سنة ١٧١ هـ ، وقد نشأ البصرة، وتتلمذ على الخليل ويونس بن حبيب في النحو، وألف فيه كتابه المسمى و الكتاب ، وهو كتاب لم يسبقه أحد في النحو إلى مثله ، وقد جمع مسائل النحو العربي ، فهو يحتوي ، مثلا على الكلام وأقسامه ، والفاعل والمفعول ، والفعل وما يعمل عمله وأحكام المصدر ، والحال والظروف وحروف الجر والبدل والمعرفة والنكرة والنداء والاستثناء، وما ينصرف وما لا يتصرف والنسبة والاضافة ، والتثنية والتصغير والمقصور والممدود ، ومزيدات الأفعال ، والوقف وشروطه، ويشمل الكتاب ما يتصل بالعربية من صرف وإشتقاق وبناء وغيرها من مواضيع اللغة

يتبين من هذا أنه كتاب جامع لكل ما يحتاجه الطالب في قواعد النحو واللغة ومن مشهوري علماء البصرة محمد بن يزيد الأزدي المعروف بالمبرد المتوفي سنة ٢٣٥ هـ واشتهر كتبه الكامل في اللغة والأدب .

علماء الكوفة في النحو :

وأشهر علماء الكوفة ابو جعفر بن الحسن الرؤاسي المتوفي سنة ٢٣٥ هـ وهو مؤسس مدرسة الكوفة ورأس علمائها . وقد غلبت عليه الناحية الصرفية التي اهتم بها الكوفيون وتقدموا بها على البصريين حتى عدهم المؤرخون الواضعين لعلم الصرف ومن نحوييهم المشهورين الفراء (المتوفي سنة ٨٠٧هـ) والكسائي وهناك لقي سيبويه وناظره وتغلب عليه ، فلمع نجمه وكان ذلك فوزاً لمدرسة الكوفة في بغداد

التأليف في علم النحو :

وضع هؤلاء العلماء أصول علم النحو ثم جاء بعدهم علماء الفوا في من هذا العلم عدداً كبيراً. الكتب في بعضها ابتكار وإبداع وإضافة معلومات جديدة ، ولكن الكثير منها كان مجرد تقليد وشرح ، وتعليق وتلخيص

لما سبق . ومن أشهر العلماء المتأخرين ابن جني المتوفي سنة ٣٩٢ هـ وكان رأس علماء النحو في بغداد وقد عمل أكثر من غيره على توحيد مذهبي البصرة والكوفة وعلى استنباط المبادىء الفلسفية في اللغة ، وعني بالصرف عناية كبيرة . والزمخشري المتوفي سنة ٣٥٩ هـ وهو أديب وعالم ومتكلم معتزلي ، وله كتاب المفصل في النحو ، وقاموس أساس البلاغة ، ومقامات في الانشاء الأدبي . وجمال الدين بن الحاجب المتوفي سنة ٦٤٦ هـ مؤلف (الكافية) النحو وهي من أشهر المختصرات في هذا العلم وأكثرها تداولاً بين القراء ، وقد شرحها كثيرون. ومن هؤلاء العلماء محمد بن مالك الأندلسي المتوفي سنة ٦٧٢ هـ صاحب الألفية المسماة باسمه : « ألفية ابن مالك " وقد جمع فيها خلاصة قواعد النحو .

ثالثا : البلاغة :

معنى البلاغة :

إهتم العلماء بنقد الأدب وميزوا الجميل من الشعر والنثر ، وفاضلوا بين الشعراء ، وبينوا موضع الجمال وسبب المفاضلة . وما زال النقد ينمو استقل عن الأدب وأصبح علماً قائماً بذاته يسمى علم البلاغة . ويبين حتى هذا العلم نصيب العبارة فيها ، من الصواب والوضوح، ومقدار ما فيها من الفصاحة ، ويشير إلى موضع الجمال فيها ، ويبين اين تكون البلاغة : أهي في جمال اللفظة المفردة وحلاوة جرسها. أم في جمال المعنى ، أم في حسن في العبارة أي ما يسمى بالأسلوب . ويبين التوفيق والملاءمة بين هذا الألفاظ العلم متى يكون الكلام مؤثرا في النفس مقنعاً للعقل ، وما هي وسائل ذلك .. ويورد الأمثلة على الكلام البليغ للتأثير به واحتدائه والنسج على منواله ، وأمثلة على الكلام الردىء لتجنبه والابتعاد عن ركاكته وأخطائه. وقد وضع العلماء في ذلك القواعد، وقدروا لها الأصول. وكان الدافع لهم على ذلك إظهار مواضع الاعجاز في القرآن الكريم ثم في الكلام عامة

كتاب البيان والتبيين للجاحظ :

من أقدم من وضعوا أسس هذا العلم الجاحظ في كتاب و البيان والنبيين ، وقد الجاحظ جمع كتابه هذا عدداً ، من مسائل البلاغة والبيان والنقد. وأورد فيها الكثير من مختار الكلام، وحاول أن يستخرج من هذه المختارات قواعد للكلام البليغ . وقد عني الجاحظ بمسائل البيان والبلاغة والقواعد البلاغية والخطابية والشعر ، والرسائل ولكن أهمية الكتاب الكبرى هي في إحتوائه على هذه المجموعة الكبيرة من مختار كلام العرب في الخطب والرسائل والقصص والشعر . وهدف الجاحظ هو تحديد خصائص الكلام الواضح السليم من العيوب ، وبيان كيف تكون الاصابة في القول ، ومتى يكون الكلام مقنعاً . فهو يتكلم على صحة مخارج الحروف وعلى الجملة الواحدة. ويتكلم على الجملة فيبين كيف يكون الايجاز والاطناب . ويشرح العلاقة بين المعنى واللفظ ، وخلاصة رأي الجاحظ في الكلام البليغ هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهو يقول :- والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير، حتى يقضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله ، كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل . لأن مدار الأمر والغابة التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والافهام، فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت . عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع . (البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦) .

المؤلفون في علم البلاغة وجاء بعد الجاحظ علماء كثيرون كتبوا في البلاغة الفصول والكتب الكاملة. ومن هؤلاء ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ مؤلف كتاب البديع . قدامه بن جعفر المتوفي سنة ٣١٠هـ مؤلف كتاب نقد الشعر . وأبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وله كتاب الصناعتين في النظم والنثر. على ان أشهر من الف في موضوع البلاغة وأعظمهم تأثيرا هم عبد القاهر الجرجاني المتوفى ٤٧١ هـ مؤلف كتابي « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز ، وأبو يعقوب السكاكي المتوفى سنة ٦٢١ هـ مؤلف كتاب « مفتاح العلوم .. وضياء الدين ابن الأثير المتوفي سنة ٦٣٧ هـ مؤلف كتاب و المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر

رابعا : الأدب :

معنى الأدب :

إهتم العلماء بجمع مفردات اللغة وتحقيقها وتنظيمها في كتب ومعاجم . واهتموا بالنحو والصرف وألفوا في ذلك الكتب . وإهتموا بالنقد الأدبي والبلاغة وعنوا طوال العصور الاسلامية بالشعر والخطب والرسائل والقصص والأمثال والمناظرات وغيرها . لم يقتصروا على فرع واحد من الأدب ، وإنما كانوا يلمون بها جميعاً. وقد يتعمق أحدهم في ناحية من الأدب يختص بها ويبرز فيها . فقد كان مفهومهم للثقافة عاماً واسعاً يمثل المعرفة بأسرها. ومن هنا كان تعريف الأديب والمثقف ، في عرفهم ، بأنه (الشخص الذي يعرف طرفاً من كل علم) وتظهر هذه الصفة في المؤلفات الأدبية عامة . فلم تقتصر هذه الكتب على نوع واحد من الأدب ، فقد كان الأديب لغوياً ومؤرخاً وجغرافياً ، وملماً بأطراف المعارف الأخرى .

الشعر الجاهلي :

الشعر أهم جوانب الفكر العربي قبل الاسلام : أصالة ، وإبداعاً ، وكمالا فنياً وضع العرب فيه أجود ما ابتكرته قرائحهم ، وعبروا فيه عن خطرات عقولهم وخلجات أنفسهم وآرائهم في الطبيعة والحياة والمجتمع وقد وصف الشعراء طبيعتهم أرضاً وسماء وجواً وحيواناً ونباتاً ، وما كان يلم به من خطوب أو ما يظفر به من خير . وذكروا فيه أخبارهم الماضية ، وأنسابهم وأحسابهم، وتغنوا فيه بالمناقب التي يحمدونها وذموا المعايب التي يكرهونها وقديماً قالوا : (الشعر ديوان العرب) . والحق أن الشعر الجاهلي هو السجل الجامع لأخلاق العرب وعاداتهم ومعتقداتهم وعواطفهم وسائر معارفهم. يقول أبو هلال العسكري المتوفى سنة (٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م) في كتاب الصناعتين : لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها . فالشعر ديوان العرب ، وخزانة حكمتها ، ومستنبط آدابها ، ومستودع علومها ..

كان الشاعر الجاهلي كريماً في قومه ، عالى المنزلة في قبيلته ، لأنه كان لسان القبيلة ، يدافع عن أحسابها ومناقبها ومما رفع من مقام الشاعر قومه أنه كان كريماً على نفسه حريصاً على كرامته ، فلم يذل نفسه التماساً للمال على أبواب ذوي المال والسلطان كما فعل شعراء المدح بعد الاسلام .

وكان الشاعر الجاهلي قوي الاحساس الوصف ، واقعي النظرة إلى الحياة . وكان الشعر غني اللغة والمعاني والموضوعات ، لغته بسيطة ، مباشرة ، خالية من الحشو والتلف ، في الزخارف اللفظية والمحسنات البديعة .

وكانت خاصيته المميزة الايجاز البليغ ، فهو من شعر اللمحة الخاطفة الذي تعبر فيه الجملة القصيرة عن المعاني العديدة ، وترسم العبارة الوجيزة الصورة التامة

وكانت القصيدة قوام الشعر . وهي منظومة ذات وزن واحد وقافية واحدة وتتألف من عدد من الأبيات ، كل بيت وحدة قائمة بذاتها. وتتألف القصيدة من أجزاء يتناول كل جزء موضوعاً معينا . ومن المواضيع التي طرقها الشعراء وأكثروا فيها الحماسة والأدب والنسيب والهجاء والرثاء . وكانت كل

قصيدة تستهل عادة بالنسيب. وبعد أن يستوفي الشاعر القول فيه ينتقل إلى الموضوعات التي يقصدها كالحماسة أو الرثاء وغيرها . ويشمل النسيب الكلام في الحب والشوق والذكرى والحنين وما إلى ذلك من معاني الحب وظروفه وأحواله . ويعبر عن النسيب أيضاً بالغزل . تشمل الحماسة كل ما له صلة بالقتال والبسالة فيه ، والذود عن الحريم ، والأخذ بالثأر ، والفخر بالأهل والقبيلة

وأما الرثاء فيشمل البكاء والحزن على الميت. ومنه التأبين أي مدح الميت والثناء عليه وتعديد صفاته الكريمة. ومنه المراثي الحكيمة التي يتحدث فيها الشاعر عن فلسفة الحياة والموت .

وموسيقى الشعر الجاهلي غنية متنوعة ، ولعلها كانت موسيقى شعر عند الأمم القديمة . وقد استخلص الخليل بن أحمد الفراهيدي بحور الشعر السنة عشر وضروبها من بحور هذا الشعر وضروبه العديدة التي لم يضف إليها الشعراء إلا القليل في عصور الاسلام كلها .

ولم يخل الشعر الجاهلي من فلسفة ، أي من نظرة معينة إلى الكون ، و موقف معين من الحياة ، مع تعليل لهذه النظرة ولهذا الموقف . وهذه الفلسفة بسيطة ، بعيدة عن التكليف ، واضحة البرهان . فقد كان الشاعر واقعياً يستمد أفكاره من تجاربه ، ويركز التجربة في بيت واحد أو في أبيات معدودة وبساطة الفكر ناتجة عن بساطة تجربة الشاعر وتجربة المجتمع الذي يعيش فيه . ونجد نماذج جيدة لهذه الفلسفة . معلقات طرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى والحارث بن حلزة وقصائد دريد بن في الصمة وغيرهم .

نقل الأدب الجاهلي وتدوينه :

كان الأدب ينتقل شفاها منذ العصر الجاهلي حتى عصر التدوين المنظم في صدر الدولة العباسية حيث إهتم الرواة بالشعر ، واختص بعضهم بروايته وعن طريقهم وصلنا شعر الجاهلية وصدر الاسلام. وقد ضاع معظم الشعر أقدمه الجاهلي ولم يصلنا منه إلا النزر اليسير الذي لا يتعدى تاريخ وخمسين سنة قبل الاسلام

واهم مجموعات الشعر الجاهلي التي وصلتنا :-

١ – المعلقات :

المعلقات أقدم ما بقي لنا من مجموعات الشعر الجاهلي وهي سبع قصائد طوال لسبعة من شعراء الجاهلية المشهورين ، جمعها حماد الرواية المتوفى سنة ١٥٦ هـ وسماها السموط أو المعلقات

٢ – المفضليات :

والمجموعة الشعرية الثانية هي مجموعة المفضل الضبي المتوفي سنة ١٦٤هـ وقد سماها المؤلف في الأصل كتاب الاختيارات ، ولكنها عرفت بعد ذلك بالمفضليات نسبة إلى جامعها ، وهي من أهم ما وصلنا من الشعر القديم . وتحتوي المفضليات على ١٢ قصيدة لسبعة وستين شاعراً ٤٧ منهم من شعراء الجاهلية ، و ١٤ من الشعراء المخضرمين ، أي الذين ولدوا في الجاهلية وعاشوا بعد الاسلام ، و ٦ من الشعراء الاسلاميين

٣ – الاصمعيات :

والمجموعة الثانية هي القصائد التي جمعها الأصمعي وتسمى و الاصمعيات ، وتشتمل على ٧٢ قصيدة مجموعة أبياتها ١١٦٣ بيتاً وعدد شعرائها ٦١ شاعراً . والمجموعة الرابعة هي جمهرة اشعار العرب لأبي زيد القريشي . وهناك مجموعات شعرية أخرى أهمها الحماسة لأبي تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، والحماسة للبحتري المتوفى سنة ٢٨٤هـ . ويضاف إلى هذه المجموعات كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . وطبقات

الشعراء لابن سلام ونجد مختارات من الشعر العربي القديم في كتب الادب كالأغاني لأبي الفرج الاصفهاني الأدباء لياقوت ، والعقد فريد لابن عبد ربه وغيرها

الشعر في صدر الاسلام والدولة الأموية :

وبعد ظهور الاسلام ظل العرب يهتمون بالشعر ونظمه ، ولم يقتصر ذلك على الصحراء بل امتد إلى موطن العرب في المدن والأمصار الاسلامية ، مثل المدينة ومكة والبصرة والكوفة والشام. وقد أضيفت إلى موضوعات الشعر القديمة موضوعات جديدة اقتضتها ظروف الحياة الجديدة

فقد أيد الشعراء الدعوة الدينية ، وشاركوا في معارك التحرير والفتوح ، ومدحوا الرسول ﷺ وأصحابه، وتغنوا بشجاعة العرب المسلمين في الحروب، وحثوا المقاتلين على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، ورثوا القتلى من المجاهدين . ومن أشهر الشعراء في فترة ظهور الاسلام وإنتشاره : كعب بن زهير المتوفى سنة ٢١ هـ صاحب قصيدة (بانت سعاد المعروفة بالبردة ، وأبو ذؤيب الهذلي المتوفى سنة ٢٦ هـ ، وحسان بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة ٥٤ هـ ، وهو شاعر الرسول ﷺ .

وبرز في هذا العصر عدد من العشراء نظموا في الشعر السياسي منهم الأخطل المتوفى سنة ٩٢ هـ ، وعمران بن حطان والطرماح بن حكيم شاعر الخوارج ، الكميت بن زيد المتوفى سنة ١٢٦ هـ ، وعبد الله بن قيس الرقيات القريشي المتوفى سنة ٧٥ هـ.

وفي هذا العصر استقل الغزل ، وأصبح ينظم لذاته ، وأخذ الشعراء يفردون له قصائد بكاملها يعبرون فيها عن حبهم وعواطفهم وأشواقهم. وكان الغزل، في هذا العصر ، نوعين : الغزل العفيف أو العذري ، ويمتاز بالبساطة والصدق والرصانة ومن شعرائه المشهورين : جميل بن معمر المعروف بجميل بثينة ، المتوفى حوالي سنة ٨٢ هـ وكثير عزة ، وليلى الاخيلية المتوفاة سنة ٧٥ هـ .

والغزل الحضري المترف، وقد اشتهر به عمر بن أبي ربيعة المتوفى سنة ٩٣ هـ . ولمع فى هذا العصر شعراء كثيرون نظموا في الشعر السياسي

والغزل والفخر والهجاء ومن أبرزهم جرير والفرزدق والأخطل .وكان لتقدم الموسيقى والغناء فى هذا العصر أثر ظاهر في الشعر من غزل وخاصة في الشعر الغنائي والغزلي ، حيث أصبح أرق ألفاظاً الجاهلين والطف أخيلة ، وأحلى أنغاماً . ولم يكتف شعراء هذا العصر باصطناع معاني الأقدمين وأخيلتهم ، وإنما أضافوا إليها الكثير من المعاني المبتكرة والخيالات الجميلة ، وتأنقوا في إختيار الألفاظ واصطنع عمر بن أبي ربيعة القصص والحوار في قصائده فجاءت سهلة الفهم حلوة الوقع في الانشاء ، تمتع النفس بطرافة صياغتها ، ولطافة معانيها

الشعر في العصر العباسي:

طرأت على الشعر تغيرات عديدة في العصور العباسية . فقد ضعفت فيه مواضيع وقويت مواضيع أخرى ، ونشأت فيه أغراض لم تكن موجودة اصلا ، أو كانت ضئيلة محددة المجال، وتغيرات معانيه وأخيلته والألفاظ المستعمله فيه . لقد ضعف الشعر السياسي والحماسي ، والغزل العذري ، وقوي شعر المدح والرثاء وازداد الشعر الحكمي عمقاً ، واشتد ميل الشعر الوصفي إلى التعبير عن مظاهر المدينة والعمران ، وظهر الشعر الزهدي والصوفي والفلسفي والتعليمي والقصصي وغير ذلك من الموضوعات . وحرص الشعراء على التناسب والترابط بين أجزاء القصيدة ، الجديدة. وراعوا الترتيب في المعاني، واختاروا الأوزان الخفيفة ، واستعملوا الألفاظ الواضحة ، اللطيفة ، وأكثروا من المحسنات البيانية والبديعة . وقد أسرف الشعراء المتأخرون في إستعمال ضروب البديع من جناس وطباق وتورية وما إليها ، واهتموا بتزويق اللفظ. وهكذا تدرج الشعر العربي من المعاني البسيطة الساذجة إلى المعانى المعقدة ، ومن الخيال البسيط والصورة الواقعية إلى التكلف في الصنعة ، والغلو في الوصف والاستعارة والتشبيه.

وقد ظهر في العصور العباسية عدد كبير من الشعراء المجيدين في مختلف الأقطار العربية والاسلامية ومن أبرزهم : بشار بن برد المتوفى سنة وأبو نواس المتوفى سنة ١٩٨ هـ وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة ٢٢٨ هـ . والبحتري المتوفى سنة ٢٨٤ هـ . وابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٣ هـ وعبد الله بن

المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ . والمتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ . وأبو فراس الحمداني المتوفى سنة ٣٥٧ هـ . والشريف الرضي المتوفى سنة ٤٠٦ هـ . وأبو العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩ هـ . وابن الفارض المتوفى سنة ٦٣٢ هـ .

الشعر الأندلسي :

وقد تابع الشعراء الأندلسيون شعراء المشرق في معظم أغراض شعرهم ومعانيه وأساليبه . ولكنهم جددوا في الغزل ، ووصف الطبيعة والعمران . ولعل أهم ما أضافه الاندلسيون إلى الشعر العربي هو ابتكارهم الموشح وتطويره، وتفننهم في أساليبه . لقد درج الشعراء العرب على استعمال وزن واحد وقافية واحدة في القصيدة الواحدة. ولكن الشعراء ابتكروا أشكالاً مختلفة للشعر غير القصيدة ، منها الأرجوزة وهي معروفة منذ الجاهلية والمخمسة وهي منظومة تتألف من قطع تحتوي كل قطعة على خمسة أشطر ، للأربعة الأولى منها قافية واحدة ، وللشطر الخامس قافية تتفق مع قافية الشطر الخامس لكل قطعة .. والمربعات وتجري على طريقة المخمسات ، سوى أن أشطرها أربعة بدلاً من خمسة على أن أهم أشكال الشعر الجديدة هي الموشح . والموشح منظومه مقسمة إلى قطع مستقلة بقوافيها ، مع قافية موجودة تتكرر من قطعة إلى قطعة . والشائع أن مبتكر فن الموشح هو عبد الله بن المعتز . ولكن المرجح أنه نشأ في الأندلس أصلاً ومنهم أقتبسه أهل المشرق . وحتى في الأندلس لم يظهر هذا الفن إلا في العصور المتأخرة . وكان الموشح خطوة كبيرة في تطور ، فقد أتاح للشاعر ، بالاضافة إلى حرية التصرف في شكل الشعر العربي القوافي ، حرية التنويع في الوزن. وذلك بأن يقصر شطرا ويطيل شطراً . وكان من نتائج إنتشار الموشح ، بلغته السهلة وأوزانه المختلفة وقوافيه

المتعددة وملاءمته للغناء ، إنبعاث أدب جديد هو الزجل الشعبي ، ونشوء فن جديد في الشعر الأوروبي هو شعر الطروبا دور الذي سنتكلم عنه بعد قليل. وتفخر الأندلس بعدد كبير من الشعراء المجيدين منهم : ابن هاني المتوفى سنة ٣٦٢ هـ ، وابن زيدون المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، والمعتمد بن عباد المتوفى سنة ٤٨٨ هـ

الشعر العربي والمجتمع :

يؤلف الجيد من الشعر العربي ، منذ الجاهلية إلى مطلع النهضة الأدبية الحديثة تراثاً ضخماً رائع الفكر واللغة والعبارة ، ويمتاز بأناقة ألفاظه ، وحلاوة أنغامه ، وطرافة أخيلته ، وجمال صوره ، ودقة معانيه وإتساع آفاقه وجمال صياغته وتأليفه . وقد عبر الشعر عن عواطف الشعراء وأفكارهم ، ووصف حياة الناس وما يحيط بها من مظاهر الطبيعة والعمران . وكان جانب من هذا الشعر، وخاصة في العصور العباسية ، يعبر عن حياة الطبقات الحاكمة والمترفة في المجتمع .

ولكن الشعر العربي ، حتى في العصور العباسية ، لم يكن كله شعر تكسب ، ومدح كاذب ، فالحق أن كثيراً من الشعراء المجيدين كانوا ملمين بأحوال جمهور الناس ، شاعرين بمشاكلهم وآلامهم ، وقد عبروا في شعرهم عن متطلبات الفكر والحياة ، وعن وجدان الأمة ووعيها وموقفها من الحياة والكون .

وللتأكد من هذه الحقيقة بحسبنا أن نقرأ، على سبيل المثال ، شعر حروب التحرير ، والشعر الذي قيل في حصار بغداد وتخريبها أثناء الفتنة بين الأمين والمامون ، وشعر المتنبي في وصف معارك العرب والبيزنطيين وقصائد الشعراء في معارك الحروب الصليبية والحملات الاسبانية على المدن الاسلامية في الاندلس .

والخلاصة أن الشعر العربي ذو قيمة تاريخية عظيمة لفهم نفسية العرب

وتتبع مراحل نمو عواطفهم، والكشف عن وجدان الأمة عموماً . ولكن للشعر العربي قيمة ذاتية ما تزال تمنحه البقاء والخلود

إن في الشعر العربي قصائد كثيرة تسمو إلى أعلى آفاق الشعر الوجداني الانساني الذي يثير النفوس، ويلهم العقول، والذي يعبر عن القيم الانسانية الخالدة وعن ابتهاج الانسان بالحياة ، وقلقه الدائم ، وأشواقه التي لا

تعرف المستقر كشعر المعري والحلاج وابن الفارض وابن العربي والمتنبي وابن الرومي والشريف الرضي وغيرهم من الشعراء الكبار الخالدين

النشر :

كان للعرب نثر فني رائع، ما زالت نماذجه الحية تقرأ فتثير النفوس وتمتع العقول . وقد بدأ النثر في صدر الاسلام بسيطاً ، مباشراً ، موجز العبارة ، واضح الألفاظ ، وكانت أهم أشكاله : الرسائل والخطب والأحاديث والأخبار التاريخية. وبتقدم الحياة الاجتماعية والعقلية تقدم النثر فتنوعت مواضيعه، وتعددت فنونه ، ودقت معانيه ، وظهرت الصنعة في أسلوبه والاسهاب في عبارته ، ومن كبار الكتاب الأولين عبد الحميد الكاتب بن المقفع. وجاء الجاحظ فطور النثر المرسل ووسع آفاقه وصار إماماً فيه يقتدي به المقتدون ، ويحذو حذوه المنشؤون . وقد بلغ تطور النثر الفني مداه في القرن الرابع الهجري ومن أشهر كتابه أبو حيان التوحيدي . ثم طغت بعد ذلك ، على النثر موجة الزخرفة اللفظية ، والاسراف في التأنق ، والاكثار من المحسنات البديعية، على حساب دقة المعاني وعمق الموضوعات ويظهر ذلك المقامات ورسائل بعض الكتاب المتأخرين . ويجدر بنا أن تؤكد هنا على أن النثر لا يقتصر على الخطب والرسائل والمقامات وإنما يشمل كل ما انتجه الكتاب من نثر فني. والحق أن روعة النثر العربي تتجلى في مؤلفات كثير من المؤرخين والجغرافيين والفقهاء والفلاسفة ، حيث يجد القارىء العبارة الرصينة ، والمعاني الدقيقة، والوصف الحي الممتع ،

والتأليف المحكم . تناول النثر كل موضوعات الفكر والوجدان المعروفة ، واصطنع كل أشكاله الممكنة يومئذ ، ومن أهم أشكاله الفنية الرسائل والخطب والأمثال والقصص .

الرسائل :

والرسائل نوعان : رسمية أو عامة. ورسائل غير رسمية أي خاصة أو اخوانية كما تسمى أحياناً . وقد كانت الرسائل الوسمية في الدولة العربية في صدر الاسلام والعصر الأموي ، موجزة بسيطة ، واضحة ، لا تكلف

فيها ولا صنعة ، وكانت تصل إلى الغرض المقصود بعد السلام والتحية رأساً دون ديباجة مطولة في الافتتاح أو دعوات كثيرة في الانتهاء . ومنذ أواخر عهد الدولة الأموية أخذ كتاب الدواوين يتأنقون في الرسائل حتى أصبحت معرضاً للصياغة اللفظية والبراعة والبلاغة في الدولة العربية أواخر العصر العباسي، ومن أشهر كتاب الرسائل الرسمية : عبد الحميد الكاتب ، الحسن بن سهل ، وأبو اسحاق الصابي ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وضياء الدين بن الأثير. أما الرسائل الخاصة ، أو الأخوانيات ، فهي التي يكتبها الكاتب إلى صديق ، ويعبر فيها عن أفكاره أو يصف حوادث وقعت أمامه ومن أشهر كتاب هذا النوع من الرسائل : الجاحظ ، والخوارزمي ، وبديع الزمان الهمداني ، وابن زيدون وغيرهم

الخطابة :

واهتم العرب بالخطابة وهي تلي الشعر في الأهمية عندهم . لانها كلام بليغ فيه حماسة وخيال ، يتوجه به الخطيب إلى عقول السامعين فيقنعها بالمنطق ، وإلى عواطفهم فيثيرها بالحماسة ويحملها على قبول فكرته والتسليم بها . وقد كان للخطابة شأن كبير في الجاهلية وصدر الاسلام . فكانوا يدربون فتيانهم على الخطابة منذ حداثتهم ، ويحفظونهم الخطب البليغة ليتأدبوا بها ويحذوا حذوها. ونجد الكثير من الخطب البليغة في كتب الأدب التي ذكرناها ، وفي البيان والتبيين للجاحظ ، وفي نهج البلاغة الذي يضم خطب الامام علي كرم الله وجهه) .

الأمثال :

أشهرها و مجمع خمسين كتاباً في وقد إهتم العلماء العرب بالأمثال فجمعوها والفوا فيها الكتب ومن الأمثال : للميداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ جمعه مؤلفه من نحو الأمثال ورتبه على حروف المعجم بعد أن أضاف إليه أمثال المولدين . وهو أجمع كتاب في الأمثال العربية . والمستقصى في الأمثال للزمخشري ، وهو معجم للأمثال العربية مرتب على حروف الهجاء حسب أوائل الأمثال والمثل عبارة موجزة تلخص مغزى تجربة مر بها الفرد أو الجماعة ، أو خلاصة رأي حكيم . ولما كانت الأمثال نتيجة تجارب الأمة جيلا بعد جيل أصبحت دراستها مهمة لمعرفة درجة عقلية الأمة وأخلاقها وعاداتها وظروفها عامة . وتنطلق كثير من

الأمثال عفوياً من تجارب أبناء الشعب ، وتشيع على السنتهم بلغة تخاطبهم دون صقل وتهذيب ، وهذا ما يجعلها أدل على نفسية الشعب ومستوى عقليته . ولهذا قيل المثل هو صوت الشعب

القصص :

للعرب في القصة تراث ضخم ما زال الناس يقرأونه فيبهرهم ويخلبهم بسعة آفاقه ، ولطف أخيلته ، وغرابة أحداثه ، وعجيب تصرفات أشخاصه وقد وردت في القرآن الكريم قصص عديدة تذكر وقائع الأمم الغابرة والأنبياء الأولين ليعتبر الناس بها. وجمع الرواة من أخبار عرب الجاهلية واسمارهم عشرات الكتب يدور معظمها على الغزوات والحروب واخبار العشاق . وفي القرن الرابع الهجري وضعت القصص الأدبية القصيرة التي تسمى المقامات ، وهي حكايات قصيرة قليلة الحوادث ، يقصد فيها الكاتب إلى التانق في العبارة ، وإظهار البراعة في اللغة ، أكثر مما يقصد إلى القصة بذاتها . ومن أشهر كتاب المقامات بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨هـ ، والحريري البصري المتوفى سنة ٥١٦هـ . وبالاضافة الى هذه القصص الموضوعة ترجمت قصص عديدة عن اللغات الأجنبية ، منها الواقعية ، والرمزية ، والخرافية ، ومن أشهر هذه القصص المترجمة « كليلة ودمنة » التي ترجمها إلى العربية بأسلوب رفيع عبد الله بن المقفع وقصصها تحكي على لسان الحيوانات

منذ عصر وقد ازدهر فن القصة في مصر الفاطميين حيث وضعت اعظم القصص العربية وأطولها وهي قصة عنترة التي يطلق عليها بعض مؤرخي الأدب المحدثين و الياذة العرب) وقد وضع هذه القصة يوسف بن اسماعيل شيخ القصاصين في عهد العزيز بالله الفاطمي ٣٦٥ – ٣٨٦ هـ .

وتصور هذه القصة العظيمة المثل البطولية التي يعتز بها العرب بأسلوب قصصي رائع الخيال ، متماسك الحبكة ، قوي الاثارة ، يتخلله حوار ممتع ، وشعر شعبي فصيح بسيط العبارة والتأليف. وفي أثناء الحروب الصليبية والعصور التالية ألفت قصص بطولية كثيرة تشيد بمآثر أبطال العرب والمسلمين ومن أشهرها : سيرة الظاهر بيبرس ، وقصة سيف بن ذي يزن ، وقصص أبي زيد الهلالي وغيرها . ولعل أعظم القصص العربي جميعاً (ألف ليلة وليلة) والتي تم جمعها في مصر بصورتها الحاضرة في القرن العاشر الهجري . ومن روائع القصص العربي رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، وحي بن يقظان للفيلسوف الأندلسي ابن طفيل .

وهي تعبر ، صراحة ورمزاً وإيحاءاً ، عن المعاني الفلسفية والدينية والاجتماعية ، بالاضافة إلى ما تحويه من طريفة ممتعة . والقصص العربي عموماً ثروة عظيمة في الأدب العربي .

أثر الأدب العربي في الآداب الشرقية :

أثر الأدب العربي شعراً ونثراً ،وقصصاً في آداب الأمم الشرقية من حيث الموضوعات والمعاني والأساليب وأوزان الشعر وإيقاعاته ومفردات اللغة ، ومقاييس الفصاحة والبلاغة. ويظهر أثر الأدب العربي واضحاً في نشوء وتطور الآداب الفارسية والتركية والهندية وغيرها من آداب الأمم الشرقية نشأت في محيط الثقافة العربية الاسلامية أو كانت على اتصال بها .

لم يكن للفرس ادب مزدهر في العصر الساساني ، ولم يؤلف في اللغة الفارسية ، بعد الفتح الاسلامي ، إلا كتب قليلة معظمها في الدفاع عن الدين المجوسي ، ولا يتجاوز أقدامها عهد عصر المامون . وقد اصطنع مثقفو الفرس اللغة العربية ، واستعاضوا بها عن لغتهم الفارسية فكتبوا بها ونبغ منهم توابع عديدون في المستقلة الفارسي مختلف فروع الثقافة العربية الاسلامية . ومنذ أواخر القرن الثالث بدأ الأدب الفارسي الجديد بالظهور ، وقد شجع على ذلك عوامل عديدة منها : ظهور الأسر الفارسية المتنفذة والامارات الفارسية المستقلة وشبه المناطق الفارسية ، والمناطق المتاخمة لها . وكان هذا الأدب الجديد أدباً إسلامياً احتذى حذو الأدب العربي في أساليبه ومعانيه وموضوعاته ، وكتب بالحروف العربية واستعار من العربية ألفاظاً كثيرة . واقتبس شعراء الفرس من الشعر العربي الأوزان واللغة والقوافي ، وطبقوا ذلك على ما نظموه في لغتهم. وتناولوا في قصائدهم كثيراً من موضوعات الشعر العربي كالمدح والهجاء والغزل والوصف، ويبدو أثر العربية في النثر الفارسي ابين من أثرها في الشعر، فالألفاظ العربية فيه أكثر ويكثر فيه الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث والأمثال وأبيات الشعر العربي . وطبق الأدباء الفرس قواعد البلاغة العربية والمحسنات البديعية على الشعر والنثر الفارسي ، وأخذوا اصطلاحات البلاغة العربية .

وقد تأثر الأدب في الهند تأثراً عميقاً بالأدب العربي الاسلامي . وظهر بين المسلمين الهنود مؤلفون كبار كتبوا باللغة العربية المؤلفات الكثيرة التي بدور معظمها على العلوم الدينية واللغوية والتاريخية. وقد نشأت ، تحت تأثير الثقافة العربية والفارسية لغة هندية جديدة هي اللغة الأوردية ، وهي جمعت بين السنسكريتية والعربية والفارسية والتركية . ويستمد الأدب الأوردي ، مثل

سائر الآداب الإسلامية غير العربية ، كثيراً من موضوعاته ومعانيه . من الأدب العربي ، ولغته تزخر بالألفاظ العربية ، وبمقتبسات من القرآن الكريم والحديث وأبيات الشعر العربي . وقد أخذ أدباء الأوردية أوزان الشعر العربي وقواعد البلاغة العربية واصطلاحاتها .

أثر الادب العربي في الاداب الاوربيه :

انتقلت معظم المؤثرات العربية في الأشعار العربية بواسطة والأناشيد والقصص الشعبية التي كان الناس يتداولونها ويتناقلونها شفاها . وكان الاقبال على غناء المغنين الأندلسيين عظيماً في بلاط الأمراء في اسبانيا والبلدان الأوروبية القريبة منها ، مثل بروفاني في جنوب فرنسا وايطاليا . وفي القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ظهرت في أوروبا طائفة الشعراء المنشدين جمعوا بين الغناء والعزف على العود وقد أطلق على هؤلاء الشعراء المنشدين اسم (الطروبادور) وهي لفظة طرب العربية ، والطابع العربي في شعر هؤلاء الشعراء ظاهر ولا شك فيه ، فقد كانت أغانيهم تدور حول الغزل والنسيب بكل خصائصه المميزة من الهوى العذري ، والشوق والحنين إلى محبوبة عزيزة المنال ، إلى ما في الغزل العذري من وفاء ونبل وغاية ، وتأجج عاطفة وكانت هذه الأغاني الأندلسية في كلمة مشتقة من أوزانها وقوافيها .

وترجمت إلى اللغات الأوروبية قصص كثيرة أهمها كتاب (كليلة ودمنة) الذي ترجم إلى الاسبانية واللاتينية في القرن الثالث عشر ، ثم إلى اللغات الاوروبية الأخرى، وأصبح نواة أدب قصصي عن الحيوان والطير ، وكان له أثر بالغ في أدب الشاعر الفرنسي) لافونتين .. ولعل القصص العربية التي نقلت إلى أوروبا كانت أبعد تأثيرا في الآداب الأوروبية من القصص المترجمة والمنشورة .

فائر القصص العربي يبدو واضحاً. قصص ديكا ميرون ، للكاتب الإيطالي بوكاتشيو وكذلك أثبت مؤرخو الأدب أثر رسالة الغفران لأبي العلاء المعري وأحاديث المعراج في (الكوميديا الالهية) للشاعر الايطالي دانتي .

وقد اشتد اقبال الأدباء الغربيين على الأدب العربي منذ القرن السابع عشر الأسباب عديدة منها توسع أوروبا ، والحركة الرومانطيقية ، وإنتظام حركة الاستشراق ، فترجمت قصة حي بن يقظان إلى اللاتينية في القرن السابع عشر. وظهرت الترجمة الأولى الفرنسية لكتاب ألف ليلة وليلة في سنة ١٧٠٤ م ، وانتشرت في أوروبا إنتشاراً سريعاً حيث ترجمت إلى معظم لغائها . ونذكر من أدباء اوروبا الكبار الذين تأثروا بالأدب العربي دانيل ديفو مؤلف : روبنصن كروزو (ويوناثان سويفت مؤلف : رحلات كوليفر) . وفولتير في قصصه وحكاياته ، وشاعر الالمان غوته الذي نظم كتاباً كاملاً سماه « ديوان الشرق والغرب) واستمد موضوعه من الأدب العربي والفارسي ، وسرفانتس أديب أسبانيا الأكبر في قصته الخالدة و دون كيشوت ..

خامسا : التاريخ : حرصة حرة تعريف التاريخ :

التاريخ علم يبحث في الوقائع الماضية. وكان العرب في الجاهلية إلى ذلك . ولما ظهر الاسلام وتأسست الدولة العربية الاسلامية وإمتدت يتخذون من بعض الحوادث المهمة مبدأ للتوقيت كبناء الكعبة أو عام الفيل وما الفتوحات أصبحت الحاجة ملحة إلى إتخاذ حادثة مهمة يجعلونها أساساً لتوقيت رسائلهم وكتبهم وحوادثهم، فوقع إختيارهم في عهد عمر بن الخطاب (رض) على اتخاذ عام هجرة الرسول من مكة إلى المدينة مبدا للتاريخ. واعتبروا المحرم أول السنة . وتقابل السنة الأولى من الهجرة من ٦٢٢ في التاريخ الميلادي وكانوا يؤرخون بالأشهر القمرية ، وبالليالي ، لان اليلة النهار

التاريخ عند العرب في الجاهلية : من الثقافة فة العربية كان لعرب اليمن وسكان شمال الجزيرة العربية معرفة بسيطة بالتاريخ ، وكانوا يدونون بعض الحوادث المهمة في حياتهم . وإنما نشأ علم التاريخ ونما وتطور بعد ظهور الاسلام ، وأصبح جزءاً مهماً الاسلامية له قواعده وأصوله وفروعه. كان عرب الجاهلية يتناقلون أخباراً متفرقة حدث بعضها في بلادهم والبعض الآخر في البلدان الأخرى . وكانوا يتخذون هذه الأخبار والقصص

مادة لسمرهم. وكانت كل قبيلة تتناقل أخبارها الماضية ، ومآثرها وبطولات أجدادها. فكان من الطبيعي أن ينصرف راوي كل قبيلة إلى تمجيد أحساب قبيلته ، والمغالاة في عرض بطولات أجدادها . ومآثرهم ومناقبهم .

الأنساب :

واهتم العرب بالانساب إهتماماً كبيراً ، فقد كان نظامهم الاجتماعي قائماً على القبيلة ، وأساس وحدة القبيلة صحة النسب . ويلحق بالنسب الحسب وهو تعداد مناقب الأجداد وماترهم وشيمهم، وقد كثر النسابون في الجاهلية فلم تخل قبيلة من واحد منهم ، وكان النسب يؤلف عماد الأخبار المتداولة بينهم .

أثر الاسلام في نشوء علم التاريخ : كان ظهور الاسلام وإنتشاره السريع أهم الحوافز التي دفعت العرب الاهتمام بالتاريخ على فقد اهتموا بتتبع حياة الرسول ﷺ وغزواته وحديثه واهتموا بالردة وحركة التحرير والفتوح وما جرى فيها من الوقائع . وقد ظهر اسلوبان في تدوين التاريخ : أسلوب المحدثين ، وأكثر ما يظهر في تاريخ السيرة النبوية الشريفة . وكانت المدينة مركز هذا النوع من التاريخ . ويتميز هذا الأسلوب بذكر الخبر على وجه الايجاز وذكر الراوي الذي رواه . وأسلوب الاخباريين ، وكانت الكوفة مركزه . ويتميز أسلوب الاخباريين بإعطاء صورة كاملة عن الواقعة التاريخية ، وفي ذكر التفاصيل ، ورواية الشعر والخطب . اتحد الاسلوبان في مطلع العصر العباسي، وأصبح المؤرخون يجمعون ثم أتحد ينهما. المؤلفات في السيرة النبوية الشريفة :

إن ظهور الرسول ﷺ أعظم حدث في تاريخ العرب والمسلمين ، ومن أعظم الحوادث في التاريخ الانساني . فقد بشر بدين جديد ، ووحد كلمة العرب، وأدخلهم في التاريخ الانساني العام يشاركون في أحداثه مشاركة مبدعة ويضيفون إلى الحضارة الانسانية صفحات مجيدة من الفكر المشرق والعمل البناء والمثل النبيلة . ومن الطبيعي أن يهتم العرب والمسلمون بحياة النبي ﷺ وتعاليمه وأعماله منذ الصدر الاول . وقد انصرف جمهور من المحدثين والرواة إلى جمع ما تفرق من أخبار سيرته . ويمكن تصنيف رواة السيرة بحسب تقدمهم في الزمن إلى ثلاث طبقات. الطبقة الأولى وأهم رجالها أبان بن عثمان بن عفان مسلم بن شهاب الزهري

المتوفى سنة ١٢٤ هـ . وعروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤ هـ . والطبقة الثانية وأشهر رجالها محمد بن عفان المتوفى حوالي سنة ١٠٥ و والطبقة الثالثة وأشهر رجالها محمد بن اسحاق المتوفى حوالى سنة ١٥٠ هـ ومحمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

الاخباريون :

والأسلوب الثاني في كتابة التاريخ ، أي أسلوب الاخباريين، فهو إمتداد لما كان معروفاً في الجاهلية . وأهم الاخباريين أبو محنف الأزدي المتوفى سنة ١٥٧ هـ . وعوانة بن الحكم الكلبي الكوفي المتوفى سنة ١٤٧ هـ. وسيف بن عمر المتوفى سنة ٢١٢ هـ . وأعظم الاخباريين الكبار وأهمهم جميعاً : التميمي الكوفي المتوفى سنة ١٠٨ هـ ونصر بن مزاحم الكونى المدائني المتوفى سنة ٢٢٥هـ وهو يتفوق على من تقدمه من الرواة والاخباريين باعتماده على الاسناد أكبر مما اعتمدوا ، وباتباعه أسلوب المحدثين في تقد الروايات وتمحيصها، وبتنظيم رواياته . وقد جمع بين الدراسات التاريخية والأدبية . وهو يتناول في كتبه ورسائله التي تزيد على المئتين مختلف . التاريخ العربي الاسلامي منذ بدء الاسلام إلى خلافة المعتصم العباسي .

النسابون واللغويون :

وقد نمت بعد الاسلام العناية بدراسة الانساب وتسجيلها . وكانت الدوافع لذلك متعددة منها : الحاجات الادارية كتنظيم العطاء ، وإسكان القبائل في الأمصار والمدن الجديدة ومن أشهر النسابين محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦هـ. وابنه هشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ مؤلف كتاب جمهرة النسب . ومصعب الزبيري المتوفى سنة ٢٣٦ هـ مؤلف كتاب نسب قريش . وهو يورد نسب الشخص، ويورد موجزاً عن حياته وأهم أعماله .وقدم علماء اللغة مادة للدراسات التاريخية فقد اهتموا بتوضيح ظروف نظم الشعر الذي جمعوه، وشرحوا الاشارات التاريخية الواردة فيه وتتبعوا عمرو بن العلاء ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى. الأخبار والانساب التي يشير إليها الشعراء ومن أشهر هؤلاء اللغويين :
ابو خصائص علم التاريخ عند العرب :

اصبحت هذه المادة التي جمعها مؤرخو السيرة النبوية الشريفة والاخباريون والنسابون واللغويون المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها المؤرخون العرب في العصر العباسي، وأفادوا منها في تأليف كتبهم التاريخية ، وصاغوها بأشكال مختلفة . فمنهم من نظم المادة التاريخية بحسب السنين كما في تاريخ الطبري ، حيث يذكر في كل سنة ما جرى فيها من الحوادث. ومنهم من نظمها بحسب عهود الخلفاء كما فعل اليعقوبي . ومنهم من إتخذ أسلوب الطبقات كما فعل ابن سعد ومنهم من اتبع طريقة الانساب كما فعل البلاذري، وقد تعددت المواضيع التي تناولتها المؤلفات التاريخية العربية ولم تترك موضوعاً إلا وطرقته ، ولا ناحية من الحياة الانسانية إلا وسجلتها . فلم تقتصر كتب التاريخ على السياسة وحياة الخلفاء والأمراء والخاصة من الناس ، وإنما تناولت حياة عامة الشعب ومختلف نشاطاتها الاجتماعية والاقتصادية والروحية. وتناول بعض المؤرخين تفسير الحوادث التاريخية ، أو ما يدعى بفلسفة التاريخ، كما فعل ابن خلدون في مقدمته المشهورة

سادسا : الجغرافية

أقسام علم الجغرافية :

إستعمل العرب أسماء متعددة لأقسام علم الجغرافية . فقد أطلقوا على الجغرافية الفلكية اللفظ اليوناني جغرافيا . وكانوا يسمون هذا العلم أيضا علم الأطوال والأعراض ، أو علم تقويم البلدان ، أو صورة الأرض . واطلقوا على الجغرافية الوصفية اسم علم المسالك والممالك

نشأ علم الجغرافية عند العرب نشأة بسيطة . ثم أخذ ينمو تدريجياً حتى أصبح من أهم العلوم العربية، واحتل مركزاً ممتازاً في الآداب العالمية . أهم العوامل التي حفزت المسلمين على الاهتمام بعلم الجغرافية والتأليف فيه: -١تساع رقع الدولة العربية
الاسلامية بصورة عامة. وحاجة الدولة الى معرفة البلاد لبضبط شوونها. اذكانت الدولة بحاجة الى معلومات دقيقة عما ينتج من محاصيل وعن حوال السكان. وعن طرق المواصلات ولطولعا ومراحل التي يقطعها البريد.

٢-كان العرب بحاجةالى معلومات دقيقة عن البلاد الاخرى غير الاسلامية وخاصة البلاد المجاورة . وقد استمدوا هذه المعلومات من ال تتبادلها مع مختلفة عديدة أهمها الوفود والسفارات التي الدول المجاورة ، ومن

الرحالين ، كانت الدولة العربية الاسلام والتجار ، L وأسرى الحرب ومما كلن يقع في ايديهم من الوثائق المكتوبة

٣-الارحلات. وكانت متنوعة الاصناف والاسباب. فمنها السفر لاداء فريضة الحج ، فقد كان المسلمون يأتون من أقاصي البلا مكة لأداء فريضة الحج. ومنها الرحلات التجارية . ولم يكف و والمسلمون بالتجارة داخل العالم الاسلامي بل مدوا نطاق تجارت الى الأقطار الخارجية مثل جنوب شرقي آسيا والصين وإلى المناطق التالية من أوروبا وأواسط أفريقيا وشرقها ومنها الرحلة في طلب العلم ، فقد أصبح من التقاليد الراسخة في العالم الاسلامي الا يكتفي طالب العلم بالدراسة على بلده، بل يرحل إلى البلاد المختلفة ليدرس على علمائها .

-٤ووكان الدين الاسلامي من اهم الحوافز على الاهتمام بالجغرافية الفلكية بالاضافة الى فريضة الحج التي تقدم ذكرها فقد اهتم المسلمون بالجغرافية الفلكية التحديد اتجاه القبلة في البلاد المختلفة كما كانو مضطرين الى تحديد بداية الاشهر القمرية واوقات الصلوات. ٥-وكان البعض العلماء ولع شخصي بالاطلاع على احوال البلاد والتعرفع على سكانها ودراسة عاداتهم واخلاقهم وصنائعهم. ولم يكونو يقصدون من وارء رحلاتهم الا الاستزادة من المعرفة. ٦-قدافاد علماء الجغرافية العرب مما ترجم من كتب الجغرافية الاجنبية وخاصة الهندية واليونانية. واكبوا على دراسة هذ الكتب وستمدو منها بعض المعلومات وكان عتمادهم الربيسى على الجغرافية الفلكي اليوناني الاسكندرالمشهور بطلموس متوفي سنة ١٦٨ميلادي. تطور علم الجغرافية عند العرب :

المعلومات الجغرافية متناثرة في الأدب اللغوي . وفي تعرف العرب على مؤلفات بطليموس ، وظهرت الترجمات . وقد مر علم الجغرافية بمراحل متعددة. ففي صدر الإسلام كانت صدر الدولة العباسية العلمي ، وظهرت الكتب في الأقسام المتعددة من ويدا التأليف الجغرافية الوصفية . وفي هذا العصر وضعت الكتب الجغرافية العامة لسد حاجة كتاب الدواوين من المعلومات عن البلاد المختلفة ولاكمال ثقافة الأدباء. وفي هذا العصر ازدادت الرحلات وتنوعت دوافعها، وأخذ الرحالون يكتبون الكتب . رحلاتهم . وفي القرن الرابع الهجري بلغ علم الجغرافية العربية أوجه ، حين وضعت أهم كتب الجغرافية ، وكمل فن رسم الخرائط والمصورات الجغرافية . ومنذ القرن الخامس أخذت تظهر المعاجم الجغرافية التي تتناول حسب الحروف

جغرافية العالم بأسره، وترتب المادة الجغرافية على الهجائية . وكان ظهور هذه المعاجم نتيجة لتراكم المادة الجغرافية عند علماء العرب والمسلمين. وقد أفردت فصول طويلة للجغرافية في الموضوعات العلمية والأدبية التي صنفت في مصر والشام في عهد المماليك .

وأهم ناحية برز فيها الجغرافيون العرب ، وجعلت إنتاجهم الجغرافي أضخم إنتاج عرفته الأمم القديمة ، هي الجغرافية الوصفية ، وهي العلم الذي يتناول وصف البلدان المختلفة ، وبيان طبيعتها ، ومصادرة ثروتها ، وحياتها الاقتصادية وأحوال سكانها . وفي الجغرافية الوصفية يظهر فضل العرب خاصة على علم الجغرافية، وقد تجمع لدى جغرافي العرب مادة جغرافية تفوق كثيراً ما كان يعرفه جغرافيو اليونان والهند والسريات وغيرهم . وقد عرفوا أوروبا بأجمعها باستثناء أقصى شمالها . وعرفوا النصف الجنوبي من آسيا ، وأفريقيا الشمالية إلى خط عرض ١٠ درجات شمال خط الاستواء ، وعرفوا ساحل افريقيا الشرقي . ووصف الجغرافيون العرب وصفاً مفصلاً . البلدان من جميع اسبانيا غربا إلى تركستان ونهر السند شرقاً . وقدموا وصفاً مفصلاً للمناطق المأهولة بالسكان، وللمناطق المزروعة والصحارى، وبينوا مدى انتشار فقط بالجغرافية الطبيعية والظروف المناخية للبلاد، وإنما اهتموا بالحياة النباتات المزروعة وأصنافها وأنواعها ، وأماكن وجود المعادن . ولم يهتموا العلمية . وقد ألف العرب في الأحوال الجغرافية البحرية ، ودققوا في ذلك ، الاجتماعية والصناعية والزراعية واللغة والعادات والعقائد الدينية والحركة المؤلفين في هذا الموضوع العالم الملاح ابن ماجد وهو الذي ارشد الرحالة البرتغالي فاسكو داغاما في رحلته من سواحل كينيا إلى الهند سنة أشهر ومن ١٤٩٨ م .

اشهر الجغرافين.

وقد نبغ في علم الجغرافية عدد كبير من العلماء من أشهرهم ابن خرداذبة واليعقوبي ، والبلاذري، والمسعودي، والمقدسي ، والاصطخري المتوفى سنة ٣٥٠ هـ وله كتاب مسالك الممالك . وابن حوقل وله كتاب صورة الأرض ، وأبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ وله في الجغرافية كتاب تقويم البلدان). ومن أهم الجغرافيين الذين اهتموا برسم الخرائط : أبو زيد احمد بن سهل البلخي المتوفى في مطلع القرن الرابع للهجرة

وله كتاب الأقاليم) والاصطخري، وابن حوقل وقد تقدم ذكرهما ، والشريف الادريسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ وله كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، وخريطة العالم التي رسمها الإدريسي معروفة مشهورة وقد نشرها ا صور المجمع العلمي العراقي

كتب الرحلات :

وتزخر المكتبة الجغرافية العربية بكتب الرحلات . ومن أهمها رحلة ابن فضلان إلى منطقة نهر الفولغا سنة ٣١٠ هـ – د ٩٢٢م . ورحلة أبي دلف سنة ٣٣١ هـ . ٩٤٢ م إلى تركستان والصين والتبت والهند الخزرجي سنة ٣٣١–٩٤٢الى تركستان والصين والهند وسجستان. ورحلة ابراهيم بن يعقوب العالم الأندلسي إلى المانيا وأوروبا الآن بلغاريا وبولندة وجيكوسلوفاكيا وساحل فرنسا وهولندا . وأعظم الرحلات شهرة رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة . الوسطى وما يسمى

ابن جبير : ر في الأندلس سنة ٥٣٩ هـ – ١١٤٤م وتوفي في مصر سنة ولد ابن جبير ١٤ هـ – ١٢١٧ م . وكان أديبا ، وعالما في الفقه والحديث . رحل إلى بلاد المشرق ثلاث رحلات استغرقت إحداها ثلاث سنوات فقد بدأها . يوم الأثنين ١٩ شوال ٥٧٨ هـ وختمها يوم الخميس ٢٢ من شهر المحرم سنة ٥٨١ هـ . أي من ٣/٢/١١٨٢ إلى ٢٥/٤/١١٨٥ م . وقد وصف في هذه الرحلة كل ما مر به من مدن وما شاهد من عجائب البلدان وغرائب المشاهد، وبدائع المصانع، والأحوال السياسية والاجتماعية والاخلاقية . وعنى عناية خاصة بوصف النواحي الدينية والمساجد والمشاهد وقبور الصحابة ومناسك الحج ، ومجالس الوعظ ، والمستشفيات والمارستانات ، والكنائس والمعابد ، والقلاع، ووصف كذلك العواصف البحرية ، وما كان يكابده المسافرون من ضيق وذعر ، ولم يغفل الحروب التي كانت دائرة بين المسلمين والصليبيين. وكان شديد الاعجاب بصلاح الدين الأيوبي الذكر له ، كريماً في الثناء على حسن إدارته ، وعظيم جهاده . وابن جبير كاتب دقيق الملاحظة ، واضح العبارة ، رصين الأسلوب ، يصف الحادثة أو المشهد وصفاً دقيقاً حياً حتى

يخيل للقارى، أنه حاضر يشاهد المنظر بنفسه . والحق أن رحلة ابن جبير كتاب تاريخ ، وجغرافية ، دائم وادب

ابن بطوطة :

ولد أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواقي الطنجي المعروف بابن بطوطة سنة ٧٠٣ هـ في طنجة وتوفي في مراكش سنة ٧٧٩ هـ . وقد طاف في أرجاء العالم الاسلامي ، وفي معظم مناطق العالم المتحضر يومئذ . فزار الحجاز والشام والعراق وفارس واسيا الوسطى وبيزنطة ، وبخاري وافغانستان والهند والصين وسيلان . وعاد إلى بلاده. رحل إلى الأندلس فزار مدنها وعاد إلى وطنه . ثم سافر إلى أفريقيا فزارها ووصل إلى تمبكتو وغيرها من مناطق افريقيا الوسطى. ووصف ما شاهده فى رحلاته هذه في كتابه المسمى (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، وهو المعروف المشهور برحلة ابن بطوطة .

أهمية المؤلفات الجغرافية العربية :

العلماء الجغرافية والخلاصة أن المؤلفات الجغرافية العربية مصدر مهم لـ والتاريخ والاجتماع عموماً . وأسلوب الجغرافيين العرب عليم ، محكم العبارة دقيق التنظيم . والحق أن النثر العربي قد بلغ قمة الجمال الفني في كتب المؤرخين والجغرافيين والفقهاء وفي بعض كتب الفلاسفة سابعا : الفلسفة :

الفلسفة : الفلسفة كلمة تعني في أصلها اليوناني حب الحكمة . وموضوعها البحث في الكون وفي طبيعة الانسان ومركزه في العالم وسلوكه الأخلاقي . وأداء الفلسفة الوصول إلى المعرفة هي العقل وما اكتشفه من قوانين المنطق ولساليب الجدل والبرهان والاستقراء والاستنتاج.

الفلسفة اليونانية :

حاول الانسان فهم نفسه ، وإدراك حقيقة الكون المحيط به ، منذ أن عنده . ولكن وسائل الانسان لفهم القوانين التي تتحكم بالناس نا الوعي والطبيعة كانت محدودة ، ولم تتطور إلا بدرجات بطيئة ولهذا السبب كانت معارف الناس الأقدمين مزيجا من الحقائق المستمدة من الواقع الملموس ، ومن الخيالات والخرافات والرموز والسحر. وقد نشأت بدايات التفكير الفلسفي والعلمي في العراق ومصر والهند والصين . ومن العراق ومصر انتقل التراث الفكري إلى اليونان ، حيث بدأت الفلسفة تزدهر منذ القرن السادس قبل الميلاد، وحاولت أن تقدم تفسيراً متناسقاً للكون والانسان ، واستعملت مختلف الطرق الموصلة إلى المعرفة . وأهم خصائص الفلسفة اليونانية الايمان بقوة العقل الانساني .

الفلسفة العربية الاسلامية :

إهتم العرب والمسلمون بالفلسفة اليونانية فترجموا كتبها وآراءها إلى اللغة العربية ، وعكفوا على دراستها وشرحها وتفسيرها، وتوضيح غرامضها ، واختصار مطولها . لكنهم لم يكونوا مجرد مترجمين وناقلين يرددون ما قاله فلاسفة اليونان ، وإنما أنتجوا فكراً فلسفياً خاصاً بهم ، وأضافوا لى الفكر الانساني إضافات أصيلة . وقد تعددت جوانب الفكر الفلسفي والتصوف والأخلاق . وهذه الفروع تعني جميعا بالوجود، والمعرفة والدين ، والأخلاق ، والتربية .

بحث الفلاسفة العرب والمسلمون في موضوعات الفلسفة المختلفة . فكتبوا في الطبيعة وفيما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) ، والمعرفة ، والأخلاق ، والنفس ، وغير ذلك من الموضوعات الفلسفية . وكان معظمهم من المشتغلين بالعلوم الطبيعية والرياضية . وكانت القضايا الدينية من أهم القضايا التي ركزت عليها الفلسفة العربية الاسلامية نظراً لما كان للدين من مكانة في حية العرب والمسلمين وتفكيرهم. وقد انصبت معظم جهود العرب والمسلمين على محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين

ولا يظهر إبداع الفلاسفة العرب والمسلمين بالنتائج التي توصلوا إليها فحسب ، وإنما في أسلوب عرضها والمجادلة فيها . ولا يستطيع الطالب أن يستشف أسلوب أولئك الفلاسفة في البحث والتحليل إلا إذا قرأ شيئاً من كتبهم حيث يشرح كل واحد منهم فلسفته ويوضح رأيه .

أشهر الفلاسفة العرب المسلمين.

-١الكندي.

أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (المتوفى بعد سنة ٢٥٧ هـ فيلسوف العرب ، ومؤسس الفلسفة العربية الإسلامية . ولد في الكوفة في أسرة عربية شريفة تنتمي إلى قبيلة كندة ، ودرس في البصرة وبغداد، وكان على صلة وثيقة بالمأمون والمعتصم والمتوكل . وقد ألف في مختلف أبواب المعرفة ، فكتب في الفلسفة ، والحساب، والهندسة ، والفلك والتنجيم والموسيقى ، والطب ، والعلوم الطبيعية . وتزيد الكتب والرسائل ٣٦٠ التي الفها عن جزئين بعنوان (رسائل الكندي الفلسفية (كما طبعت عدة كتب ورسائل أخرى ا كتابا ورسالة . وقد طبع عدد من رسائله الفلسفية في ل بأجزاء مستقلة.

تقبل الكندي عقيدة المعتزلة إلا أنه أقامها على أساس فلسفي ، وحول النظريات الفلسفية اليونانية وقربها من العقائد الاسلامية . فهو يقر يخلق العالم من العلم . وبعث الأجساد يوم القيامة . كان يرى أن الله القادر على كل شيء علقت إرادته الفلك الأعلى من العلم ، بلحظة واحدة من الزمن فالخلق يعتمد على فعل من أفعال الله الذي هو فوق قوانين الطبيعة . وكان الكندي يرى في النبوة ارفع كمال يستطيع البشر بلوغه . وللنبي معرفة الهية وصلته عن طريق الوحي فإن القرآن الكريم يمد البشر بحقائق الفلسفة . والالهام . وهي أرفع درجات المعرفة البشرية ، وبناء على هذا. فان القران الكريم يمد البشر بحقابق الفلسفة.
٢-الالفارابي ولد الفارابي في فاراب في أواسط آسيا . ودرس الفلسفة في بغداد ، ورحل إلى حلب وعاش متزهداً في كنف سيف الدولة الحمداني ، ومات في دمشق سنة ٣٣٩ هـ ٩٥٠م . لقد سمي ارسطو بالمعلم الأول لانه تفرق من مباحث المنطق ومسائله وهذبها . وسمي الفارابي بالمعلم الثاني لأنه الفلسفة اليونانية ورتبها وشرحها . ولكن أسلوبه كان غامضاً وعباراته غير واضحة . ومن أشهر كتبه (آراء أهل المدينة الفاضلة ، و « إحصاء العلوم ، وا تحصيل السعادة و السياسة المدنية ، وقد حاول الفارابي أن يفسر نواحي الاسلام المختلفة وجوانب الثقافة العربية الاسلامية المتعددة في ضوء فلسفته الخاصة . فبحث في علم الكلام، والعقيدة ، والفقه ، والشريعة وقواعد النحو ، والتقدير الجمالي للشعر والنثر ، وتنظيم المجتمع الكامل ، والصفات الجوهرية التي يتصف بها حاكم هذا المجتمع . وقد شرح في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة ،

نظام المجتمع الانساني الأمثل

٣- ابن سينا :

ولد الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله ، بن سينا قرب بخاري نابغة عصره في الطب والفلسفة. وألف كتبا عديدة أشهرها و القانون في مة ٣٧٠هـ - ٩٨٠م وتوفي في همدان سنة ٤٢٨ هـ - ١٠٣٧ م . وقد كان الطب : وكتاب الشفاء ، وملخصه (النجاة، في الفلسفة. الاشارات والتنبيهات ، وقد ذكر فيه مباحث في الطبيعيات والإلهيات والتصرف والأخلاق واعتمد الأسلوب الأسطوري الرمزي في بعض رسائله مثل (رسالة حي بن يقظان ، و (رسالة الطير ولابن سينا عدد كبير من الرسائل بلور بعضها على ماهية النفس وقواها ووجودها ومالها . ويوضح كتاب الشفاء شمول الفلسفة العربية الاسلامية مختلف موضوعات المعرفة أحسن توضيح . فهو يشتمل على أربعة أقسام هي المنطق ، والطبيعيات ، والرياضيات والألهيات ويتناول كل قسم موضوعات متعددة فقسم الرياضيات يتناول الهندسة والحساب والفلك والموسيقى . وقسم الطبيعيات يتناول علم النفس والحيوان ، والنبات والجيولوجيا أي طبقات الأرض. ويتناول قسم المنطق إلى جانب موضوعات المنطق المعروفة ، الخطابة والشعر ويعرض قسم الالهيات مع الفلسفة الأولى السياسية والأخلاق . وقد أثر ابن سينا في الشرق والغرب تأثيراً عظيماً فقد تأثر به فلاسفة المسلمين الذين جاءوا بعده. وترجمت كتبه الطبية والفلسفية إلى اللاتينية فكانت أحد ينابيع المعرفة في أوروبا .

إلى جانب هؤلاء الفلاسفة الثلاثة الكبار لمع في المشرق عدد من الفلاسفة يضيق بنا مجال البحث عن التوسع بذكرهم ومنهم : أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف والطبيب العظيم ، ويحيى بن عدي المتوفى سنة ٣٦٤ هـ ٩٧٥ م، وهو من أشهر فلاسفة بغداد ، وتلميذه أبو سليمان محمد بن طاهر المنطقي السجستاني المتوفى حوالى سنة ٣٩١ هـ ١٠٠١ م ، وتلميذ أبو حيان التوحيدي الأديب الفيلسوف

٤- ابن رشد : انتقلت كتب فلاسفة المشرق إلى المغرب العربي والأندلس فأحدثت بهما حركة فلسفية كان من أبرز إعلامها ابن باجة المتوفى سنة ٥٢٣ هـ ١١٣٨ م ، وابن طفيل المتوفى سنة ٥٨١ هـ ١١٨٥م وأشهر كتبه وحي بن يقظان .. وأبو الوليد ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ ١١٩٨ م ، وهو أعظم فلاسفة المسلمين المتأخرين ، وقد ألف كتبا عديدة معظمها تلخيص المؤلفات اسطر، وشروح لها ، وقد نقلت جميعا إلى اللغة العربية وترجمت منها إلى اللغة اللاتينية ، فأحدثت أثرا عميقا في الفكر الفلسفي والديني اليهودي

والمسيحي في أوروبا . وأشهر مؤلفات ابن رشد و تهافت التهافت ، وه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، وهو يوضح العلاقة بين الفلسفة والدين، ويبين ان الحقيقة واحدة ، وإنما تصل إليها الفلسفة والشريعة ، كل بطريقتها الخاصة، وتعبر عنها بأسلوب خاص.

علم الكلام

بين القرآن الكريم أصول العقيدة الاسلامية ، ودعا الناس إلى الايمان بها. وجوهر هذه العقيدة الايمان بالله ونبوة محمد ﷺ . وقد أمن المسلمون الأولون بهذه العقيدة، وسلموا بها، ولم يتعرضوا لشرحها وتفصيلها . ولكنهم ما لبثوا ، بعد الفتوحات، أن تعرضوا لمؤثرات داخلية وخارجية جعلتهم يفكرون في أصول عقيدتهم ، ويدققون في فروعها وجزئياتها ونشات في الاسلام فرق عديدة كانت في بادىء أمرها سياسية ثم أخذت تناول أصول العقيدة الدينية .

واختلط العرب بالأمم الأخرى فأطلعوا على عقائدها وأديانها ، وترجمت إلى العربية كتب الفلسفة والمنطق والجدل، كل هذه العوامل دعت إلى البحث في العقيدة الإسلامية، وتوضيح أسها وأصولها ، والدفاع عنها بأساليب لم يعرفها العرب من قبل . فقد استخدموا الحجج المنطقه الكلام ، وسمي المشتغلون به : المتكلمين : ويرى بعض الباحثين المحشي والتعابير الفلسفية . ومن الجدل في العقائد ومناقشتها وتوضيحها ، تولد على ان علم الكلام هو الفلسفة العربية الاسلامية الحقة ، فيه تجلت أصالة العرب / المسلمين وفيه ظهر ابداعهم في البحث والتأليف المعتزلة :

وأول من وضع أسس هذا العلم المعتزلة وإمامهم ورئيسهم وأصل بر عطاء المتوفى سنة ١٣١ هـ ٧٤٧م ثم ظهر بعده عدد كبير من نوابغ المتكلمين من أشهرهم بشر بن المعتمر المتوفى ببغداد سنة ٢١٠ هـ وإبراهيم بن ما النظام البصري المتوفى سنة ٢٢١ هـ وأبو الهذيل العلاف المتوفى حوالي من ٢٢٦ هـ والجاحظ المتوفى سنة ٣٥٥ هـ . ويسمى المعتزلة أهل المثل والتوحيد كما يسمون أيضا القدرية . ويتفق المعتزلة حول أصول خمن هي : التوحيد والعدل، الوعد والوعيد ، السمع والعقل الصلاح والاصلح ، ويختلفون حول فروع كثيرة .

علم الأخلاق :

موضوع الأخلاق :

ما معنى الخير والشر ؟ وما معنى الفضيلة والرذيلة ؟ وما هو مصدر الخير والشر؟ هل مصدرها نفس الانسان وطبيعته ؟ أم مصدرهما من خارج الانسان ؟ وما هو الضمير وما هي درجات الفضائل ؟ وهل الانسان خير بطيه أم شرير ؟ وما هو دور التربية في تهذيب أخلاق الانسان وتعويده على فعل

الخير ؟

بتناول علم الأخلاق هذه الأسئلة وغيرها مما يدخل في موضوعها . لا يخلو أي دين ، أو نظام فلسفي ، من قواعد الأخلاق والسلوك ومن اسس شرعية أو عقلية يقيم عليها هذه القواعد الخلقية . ومصدر الأخلاق عند الفلاسفة والمتصوفة المسلمين عموما هو القرآن والسنة . والمعرفة والأخلاق . عند معظم فلاسفه الاسلام متلازمان. فالانسان يحصل على المعرفة بتنقية ما فيه من نفس وعقل حتى يعود إلى أصله العقلي، وعالمه الروحي . وسبيل حصول الانسان على الفضيلة والخلق الحميدة هي سبيل حصوله على المعرفة الحقة ، فالشر ناجم عن انغماس الانسان في الشهوات المتولدة عن المادة . إذا نظم الانسان نفسه عن الشهوات وصدها عن التعلق بالعالم المادي اعتدلت أخلاقه، وكملت فضائله ونال سعادته وأصبح إنسانا سوياً .

سكويه : غاية الانسان ، وبيان وسائل ومن أعظم الذين عنوا يبحث الأخلاق أبو علي أحمد بن محمد سكويه . المتوفى سنة ٤٢١ هـ – ١٠٣٠ م . وكان فيلسوفاً ، وطبيباً ، ومؤرخاً ، ومن أشهر كتبه في الأخلاق : (تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق) الذي استهدف فيه توضيح معنى السعادة التي هي : الحصول عليها ، وخلاصة فلسفة مسكويه في الأخلاق أن الخير هو ما يبلغ به الانسان كمال وجوده. ويختلف الناس في استعدادهم لتقبل الخير . فمنهم نة قليلة هم أخبار بالطبع ولا يمكن أن يفعلوا الشر . ومنهم أشرار كثيرون بالطبع لا يمكن أن يحملوا على فعل الخير . وهناك فئة وسطى من الناس لبسوا اخباراً ولا أشراراً بطبيعتهم بل عندهم الاستعداد الفطري لفعل الخير والشر. فإذا أحسن تأديبهم وتهذيبهم فعلوا الخير ، وإذا اسيء تأديبهم رصادقوا الأشرار ، ضلوا وارتبكوا الرذائل والمضار . والخير اما خاص أو عام . فهناك خير مطلق يسعى

الأخبار جميعاً للوصول إليه وهناك خير خاص بكل انسان وهو شعور الانسان بالسعادة أو اللذة ويحقق الانسان به عندما يقوم بالأفعال التي تخص طبيعته الانسانية الخيرة في أرقى مراتبها . والانسان لا يستطيع أن يحقق . يجب إجتماع أفراد كثيرين وتعاونهم لتحقيق الفضائل. لا يمكن أن يقوم مجتمع . ولا يمكن أن يبلغ الانسان كماله إلا مع ابناء جن وأول هذه الفضائل هو محبة الانسان للناس كافة ، إذ بدون هذه المين وبمعونتهم . وهذه المحبة مثل جميع الفضائل ، لا تظهر أثارها إلا في جمان أساس الأخلاق الفاضلة في جميع الشرائع الدينية هو محبة الانسان لأني أو مدينة ، ولا تظهر اثارها في عزلة الراهب الناسك الذي يفر من الدنيا . لا . الانسان. وتعاونه على تحقيق السعادة والخير .

الحكمة بأن يتحلى بالفضائل الأربع الكبرى ولقد لخص مسكويه نظرياته الأخلاقية في وصيته التي يوصي بها طالب وهي الحكمة والشجاعة والمن والعدالة . ثم بالفضائل الصغرى التي تتصل بأخلاق الانسان الشخصية مثل: إيثار الحق على الباطل في الاعتقادات، والصدق على الكذب في الأقوال . والخير على الشر في الأفعال ، والجهاد الدائم للنفس . ثم يوصيه بالفضائل والعملية كحفظ المواعيد ، ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك . والتفكر في المسألة قبل إبداء الرأي فيها والإقدام على فعل كل ما كان صواباً. وإنفاق العمر في فعل الشيء المفيد لأن العمر قصير ، وترك الخوف من الموت والفقر بعمل ما ينبغي ، وترك الاكتراث لأقوال أهل الشر والحسد. وذكر المرض وقت الصحة ، والهم عند السرور ، والرضي عند الغضب ليقل الطغي والبغي . وقوة الأمل وحسن الرجاء والثقة بالله ..

أولا :الطب :

أشاد القرآن الكريم بالحكمة، وجعلها أعظم الخير والبركة على الإنسان ، فقال سبحانه وتعالى : ومَن يُؤت الحكمة فقد أوتى خيراً مرا) (١) . وقال : (ولقد اتينا لقمن الحكمة أن اشكر الله وَمَن يُشكر فإنما يشكر النفسيه)) . ومن الحكمة التطبيب أو (الطب) قبل سائر ضروب الحكمة – وكذلك أطلق المسلمون على

الطبيب اسم و الحكيم ، ولا يزال هذا الاسم متداولاً بين بعض الناس إلى اليوم – فجعل الاسلام هذه الصناعة نعمة يشكرها من أسبغها الله عليه ، واتخذها وظيفة معترفاً بها ولو لم تكن من اعمال المتدينين . لهذا كثر اشتغال الناس بالطب في ظل الدولة الاسلامية من مسلمين وغير مسلمين، في الوقت الذي كانت في الكنيسة الغربية تحرم صناعة الطب ، لأن المرض في زعمها عقاب من الله لا ينبغي للإنسان أن يصرفه عمن استحقه. وظل الطب محجوراً عليه في العالم المسيحي بهذه الحجة إلى ما بعد إنقضاء العهد المسمى (عهد الايمان ، عندى الثاني عشر الميلادي . مستهل القرن الثاني عشر و العصر الحر

وقد كثر المشتغلون بالطب في العالم الإسلامي كثرة لا نظير لها من قبل، حتى لقد دعى للامتحان في بغداد في عهد المقتدر بالله العباسي (٢٩٥ – ٣٢٠هـ نحو تسعمئة طيب، وهم غير الأساتذة الثقاة الذين تجاوزوا مرحلة الامتحان . وهذه عناية بالطب والصحة لم تشهدها قط. من حواضر التاريخ القديم. ويتبين من هذه الكثرة في عدد الأطباء ومعلمي الطب أن الحاجة إلى دراسة الطب والعلوم كانت حاجة عمران كامل ، ولم حاضرة تكن حاجة طوائف أو حاجة أفراد .

ولقد كانت الحضارة الفارسية والحضارة الرومانية تعد أقوى الحضارات التي كانت قائمة قبل ظهور الحضارة الاسلامية ، بل ظلت الحضارة الرومانية قائمة إلى جانب الحضارة الاسلامية، ولكن لم يتسع نطاق المعرفة هذا الاتساع، ولم يبلغ ارتقاء المعيشة في عهد هاتين الحضارتين هذا المبلغ الذي وصل إليه المسلمون . ويرجع هذا التقدم العظيم في عالم الإسلام إلى التفاعل الطيب بين طوائف المجتمع، مع قيام الدولة الصالحة التي نهضت بها العبقرية الاسلامية، وتكفلت بها سماحة الدين الاسلامي .

وقد كانت بعض الدراسة كافية لمزاولة الصناعة الطبية في تلك العصور ، ولكن الأطباء المسلمين طلبوا العلم للعلم ، فلم يقنعوا بما وجدوه من كتب الاغريق الأقدمين أو كتب الفرس والهنود ، بل رجعوا إلى كل قطة من فطان التوسع في هذه البحوث . وقد ألفوا الكتب فيما قرأوه وترجموه ، فإذا هو موسوعات تشمل (الوصفة الهندسية إلى جانب الوصفة العربية أو الفارسية أو اليونانية ، فجاءت كتبهم مباحث تهذيب واستقصاء .

الضخامة ومن موسوعات الطب الاسلامية ما لم يوضع له نظير في التمحيص على قدر ما عرف التمحيص في زمانهم . وقد ترجمت كلها إلى اللغة اللاتينية ، وإستخدمها أطباء أوروبا فنقلتهم من حال إلى حال . ولم يضارع علماء المسلمين في هذا التأليف أحد من العلماء الأوروبين إلى مطلع العصور الحديثة . وقد ترجم كتاب و القانون، للرئيس ابن سينا في القرن الثاني عشر، وهو موسوعة جمعت خلاصة ما وصل إليه الطلب عند العرب والأغريق والهنود والسريان والأقباط. وترجم كذلك كتاب و الحاوي ، للرازي مة ٦٧٩هـ . ١٢٧٩م ، وهو أكبر من القانون، وأوسع منه في المادة والموضوع، وقد أكمله تلاميذ الرازي بعد موته لأنه عمل كبير لا يضطلع به فرد .

وقد كانت كتب ابن سينا والرازي هي المراجع المعول عليها في كليات الطب في اوروبا الى القرن السابع عشر. وجاء المدد إلى أوروبا من الأندلس الإسلامية فأمدها بمرجعها الأكبر في الجراحة وتجبير العظام، وهو كتاب و التعريف لمن عجز عن التصريف، لأبي القاسم خلف بن العباس، وقد ترجم إلى اللاتينية وطبع بها في القرن الخامس عشر ، وكان قبل طبعه دروساً متداولة يعتمد عليه الأساتذة والدارسون في الأعمال الجراحية ولا سيما في فتح المثانة واستخراج الحصاة .

وقد سبق علماء المسلمين في الطب الأوروبيين في وصف مرض الجذام، ومرض الجدري والحصبة، وعلاج أمراض العيون . كما عالجوا و الجنون ، علاج الأمراض الطبيعية ، وقد كان يسمى عند الأوروبيين بالمرض الإلهي أو المرض الشيطاني ، لأنهم كانوا يحسبونه من إصابات الأرواح أو الشياطين .

المستشفيات والمعاهد الطبية عند العرب المسلمين : عرف العرب القدماء الطب قبل ظهور الاسلام ، غير أن معرفتهم كانت مبنية على التجربة والملاحظة ومن أخبار قدمائهم ومقتصرة على حالات مرضية محدودة . وكانوا يعالجون بالرقي والسحر وتلاوة العزائم لاصنامهم وتقديم القرابين لها وبالعقاقير البسيطة ومعظمها من أعشاب البادية وبالاشرة وخصوصا العسل الذي كان العلاج الأساس عندهم في معالجة الأمراض الباطنية، وفي بعض الحالات كانوا يعالجون المرضى بالجراحة والحجامة والقصد والقطع والكي بالنار . وكانوا يعتقدون أن معظم الأمراض التي تصيب الانسان أساسها الافراط في الطعام على اعتبار أن المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ..

وبعد ظهور الاسلام ظهر اتجاه للعناية بالجسم باعتباره ضرورة لتحقيق سعادة الانسان وإشراق روحه وفي قول الرسول الأعظم محمد : وإن لجسدك عليك حقاً تأكيد لذلك .

ومن الملاحظ في عبادات الاسلام تحقيقها أهم غرض من أغراض علم الطب وهو حفظ صحة الانسان ، فالصلاة والصيام والحج وما تطلبه هله العبادات من شروط وأركان وأعمال ، جميعها تحفظ للجسم صحته ونشاطه وقوته ، كذلك حث الدين الاسلامي على ضرورة مقاومة الأمراض ووقف إنتشارها، وترغيبه في طلب العلاج المكافح لها وهذا بطبيعته لا يتأتى إلا بمتابعة دراسة الطب في المدارس الموجودة آنذاك ، ومن أهمها مدرسة جند يسابور الطبية في الأهواز التي أنشأها كسرى في منتصف القرن السادس الميلادي وتخرج فيها

بعض أطبائهم كالحارث بن كلدة الذي عاش في عصر الرسول الأعظم محمد ﷺ وكان يشير على أصحابه بالتداوي عنده ومراجعت حين تنتابهم الأمراض .

لم يكن عند العرب قبل الإسلام مستشفيات بالرغم من وجود عدد من الأشخاص الذين مارسوا مهنة الطب وأول من بنى أول مستشفى (بيمارستان) كامل في الاسلام الوليد بن عبد الملك بن مروان (ت ٨٨ هـ / ٧٠٦ م) وهو خاص بالمجذومين وعين لها الأطباء وأجرى عليهم الرواتب والهدايا ، وأمر بحجرهم لئلا يخرجوا ، وأجرى على العميان الأرزاق ، ثم تتابع إنشاء ويذكر الطبري أن الوليد كان عند أهل الشام أفضل خلفائهم بني المساجد وأعطى الناس وأعطى المجدومين . ويذكر اليعقوبي أن الوليد أول من عمل البيمارستان للمرض وأول من أجرى على العميان والمساكين الرسول الاعظم بنصبها في غزوة الخندق هي نواة البيمارستانات (المستشفيات) في الاسلام فقد كانت رفيدة الاسلمية تداوي جرحى والمعدومين الارزاق .. إلا أن بعض المؤرخين يعتبرون الخيمة التي أمر المسلمين فيها .

وبعد انتشار الاسلام في المناطق المفتوحة واستقرار الحكم العربي نها، استخدم الخلفاء أطباء من غير العرب وشجعوهم وبالغوا في إكرامهم . داستخدم معاوية بن أبي سفيان رجلا من دمشق يدعى ابن اثال ، كما استخدم الحجاج بن يوسف الثقفي ، والي العراق ، الطبيب تياذوق .

وكان عبد الملك بن أبجر الكناني طبيباً لعمر بن عبد العزيز . واشتهر في العصر الاموي عدد من الأطباء من بينهم ما سرجويه البصري ، الذي ترجم عدداً من الكتب الطبية من السريانية إلى العربية . وفي العصر العباسي إزداد إهتمام الخلفاء بالبيمارستانات ، فقد أنشأ الرشيد بيمارستاناً في بغداد سماه باسمه ، وعهد الماسويه) من أطباء بيمارستان جنديسابور) برئاسته ، كما تولاه جبريل بن بختيشوع أيضاً .

وأقام البرامكة في بغداد بيمارستانا تولاه ابن دهني ، أما البيمارستان الثالث فهو بيمارستان علي بن عيسى الوزير عام ٩١٤ م . والبيمارستان الرابع ، هو بيمارستان المقتدري بناه الخليفة المقتدر عام ٩١٨ م . وهناك البيمارستان العضدي الشهير الذي بناه عضد الدولة عام ٩٨١ م . وثمة بيمارستانات أخرى مثل بيمارستان ابن الفرات ، أنشأه ابن الفرات وزير المقتدر، و بيمارستان بدر غلمان بني على طلب سنان بن ثابت : و بيمارستان السيدة بناه سنان بن ثابت .كذلك إزداد اهتمام الخلفاء بالأطباء، واشتهر منهم جرجيس بن وعلي بن ابن الطبري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤م (ويوحنا بن ماسويه ، وأبو علي بن زرعة وغيرهم.

أنواع المستشفيات : –

كانت المستشفيات نوعين : المتنقلة (المحمولة) والثابتة

فالأولى ، وهي عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يحتاجه المرضى من الأدوية والأشربة والملابس والأطباء ينتقل من بلد إلى آخر من البلدان التالية والخالية من المستشفيات الثابتة لمعالجة المرضى . وأول ما عرفت في عهد الرسول الأعظم محمد ، في غزوة الخندق، إذ ضرب خيمة العلاج أكحله (والأكحل عرق في جرحى المسلمين تشرف على علاجهم فيها رفيدة الأسلمية باعتبارها طبيبة متميزة بالجراحة . فلما أصيب سعد بن معاذ في الذراع يقصد) أمر الرسول ﷺ بنقله إلى الخيمة لعلاجه ، وهو أول مستشفى حربي متنقل في الاسلام ، ثم توسع فيه الخلفاء والملوك من بعد ، حتى أصبح المستشفى المتنقل مجهزاً ما يحتاجه المرضى ، من أطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة وعلاج ، وكان ينقل من مكان إلى آخر وفق ما تقتضيه الظروف الصحية آنذاك وكان نقله يتم إلى الأماكن التي لا توجد فيها مستشفيات ثابتة . وأول من فعل ذلك علي بن عيسى الجراح وزير الخليفة العباسي المقتدر حيث كتب إلى سنان بن ثابت ، وكان يتولى النظر على مستشفيات بغداد وغيرها : : فكرت فيمن بالسواد من أهله ، وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الأطباء ، فتقدم بإيفاد منطبين وخزانة من الأدوية والأشربة

يطوفون بالسواد ، ويقيمون في كل صفع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ، ويعالجون من فيه ، ثم ينتقلون إلى غيره . فكان هذا أول ظهور ما نسميه اليوم بالمستوصفات السيارة ، ومع مرور الوقت تطورت هذه المستشفيات واتسع نطاقها وكانت تصحب | الخلفاء والوزراء في رحلاتهم كما كانت هنالك وحدات طبية متنقلة تصحب الجيوش أثناء الحرب، كذلك كانت هناك مستشفيات سيارة أو كما يسميها الدكتور محمود الحاج قاسم محمد (١) (بيمارستان) السبيل) يرافقها طبيباً وممرضين مجهزة بمواد الاسعاف والأدوية المحمولة من صناديق خاصة ترافق قوافل الحجاج أو التجار ويعالجون كل من يحتاج للمعالجة من أفراد القافلة أو من الذين تمر بهم القافلة في الطريق . وأول من قام يعمل مثل هذا النوع من المستشفيات هو معاوية بن أبي سفيان .

وأما المستشفيات الثابتة ، فقد كانت كثيرة تفيض بها المدن والعواصم ، ولم تخل بلدة صغيرة في العالم الاسلامي يومثل من مستشفى فاكثر ، حتى أن قرطبة وحدها كان فيها خمسون مستشفى .

المستشفيات الخاصة :-

١ – مستشفيات المساجين : لم يرض العرب المسلمون للمسجونين من المرضى أن يبقوا محرومين من الرعاية الطبية ، لذا ولأول مرة في التاريخ بنشأ لهم اول بيمارستان خاص بهم مزود بالأطباء والأدوية اللازمة والأطعمة والأشربة والملابس، وأول من أحس بضرورة ذلك علي بن عيسى الجراح وزير الخليفة المقتدر بالله العباسي في القرن الثالث الهجري ، فكتب إلى سنان بن ثابت ، رئيس أطباء بغداد وقتذاك ما يلي : : فكرت في أمر من في الحبوس ، وأنهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونهم من الأطباء فيما يعرض لهم فينبغي أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم في كل يوم وتحمل إليهم الأدوية والأشربة ويطوفون سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى .

٢ – محطات الاسعاف : كانت هذه المحطات تقام بالقرب من المساجد والجوامع وفي محطات البريد والأماكن العامة التي يكثر بها إجتماع الناس وتزود بالأطباء والصيادلة لمعالجة المرضى والمصابين بالأمراض والحوادث الطارئة ويذكر المقريزي بأن أحمد بن طولون (٢٢٠ هـ – ٢٧٠ هـ) هو أول من أنشأ هذه المحطات فعندما بنى جامعه الشهير في مصر عمل في مؤخره الأشربة والأدوية. ميضأة وخزانة شراب (أي صيدلية أدوية) وفيها جميع وعليها خدم، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة، لمعالجة من يصابون بالأمراض من المصلين .

٣– مستشفيات الجذام : كان للمصابين بمرض الجذام مستشفيات خاصة لهم مزودة بأكفا الأطباء ومزودة بالأدوية اللازمة لعلاج مثل هذه الحالات . ويذكرنا التاريخ بأن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك هو أول من أنشأ مستشفى لعلاج مرض الجذام وكان ذلك سنة ٨٨ هـ / ٧٠٦ م ، ثم قلده من الخلفاء وحكام الولايات . خلفه من

٤ – المستشفيات الحربية : كان لأفراد الجيش مستشفى خاص بهم يعمل به أطباء متخصصون وصيادلة ، وكانت هذه المستشفيات ترافق الجيش أوقات السلم والحرب متنقلة على ظهور الجمال والبغال بمحامل مريحة واسعة لنقل المرضى ، في الوقت الذي كانت خدمة الجرحى في جيوش اور تقع على عاتق زملائهم حيث لم يكن لديهم الأطباء الاختصاصيين لعلاج جرحى الحروب .

هـ – مستشفيات المجانين والمعتوهين : بنى الخلفاء العباسيون مستشفيات خاصة للمجانين والمعتوهين وزودوها بأطباء إنسانيين رحيميين عاملوا المرضى المصابين بهذا النوع من الأمراض معاملة خاصة باعتبارهم عاجزين عن القيام بحاجتهم ، ووفروا لهم كل سبل الراحة والرعاية الطبية على أساس أنهم مصابين بأمراض يمكن بعد تشخيصها معالجتها إما بالعقاقير الطبية أو بالطرق النفسية. وفي بعض الأماكن كان يخصص لهم أجنحة مستقلة في المستشفيات العامة لكي يقوم أطباء المستشفى بتفقد المرضى ومعالجتهم كما

كان في المستشفى بالقاهرة في القرن السادس الهجري ، في الوقت الذي لم تكن فيه أوروبا تعرف الطب بالمعنى الحقيقي وكانت متأثرة إلى درجة كبيرة بالتعاويد والأحجبة والتمائم ، مع الاستلام لأقسى أنواع الدجل والشعوذة بالاضافة الى التعصب الديني. وفي هذا يقول الاستاذ درابد في كتابه – The Intellectual Development in Europe : بأن الفلاح الأوروبي إذا أصابته حادثة وفاجأته الحمى يسرع إلى ضريح قرب قديس إنتظاراً لحدوث معجزة تشفيه .....

- طبابة المدارس : لما توسعت رقعة الدولة العربية الاسلامية وأقبل الناس على الدخول في المدارس ، تطلب الأمر المحافظة على صحة الطلاب وإجراء الفحوصات الدورية لهم باستمرار، لذا كان من الضروري تخصيص طبيب يشرف على طلاب المدارس والأساتذة والخدم ، فمثلا كان في المدرسة المستنصرية ببغداد طبيب كان يتردد إلى مرضاها في بكرة كل يوم يتفقدهم . وذكر ابن العبري وابن واصل وغيرهما أنه كان في المستنصرية مخزن فيه أنواع الأشربة والأدوية والعقاقير . ولا شك في أن هذا المخزن كان بمثابة المذخر الطبي أو الصيدلية فيها . ومما يحسن ذكره ، في هذا الصدد ، أن بناء مدرسة الطب المستنصرية بجوار مدرسة الفقه ودار السنة ، ودار القرآن الخ كان أمراً ضرورياً وذلك لتسهيل معالجة المرضى في تلك الجامعة الواسعة ، فقد عد حفظ قوام الصحة وتقويم الأبدان من الأمور التي كانت تحظى بعناية هذه المدرسة وأطبائها .

المكاتب والملاجيء الخيرية : فالعرب المسلمون – كعادتهم في كل ما هو خير للمجتمع الانساني – كانوا سباقين إلى إنشاء الملاجيء والمدارس الخيرية الخاصة بحضانة الأطفال وإيواء الأيتام وأبناء الفقراء وتعليمهم وتربيتهم ويمكن إيجاز ذلك بما يلي :-- دور المراضع والمياتم (دور الحضانة) : خصصت هذه الدور للأطفال الذين فقدوا أمهاتهم ولأبناء الفقراء الذين لم يكن لديهم من يقوم بإرضاعهم والسهر على تربيتهم وإعاشتهم. وأول من بدأ بتخصيص دار كامل الأناث واللوازم لهؤلاء الأطفال هو مظفر الدين كوكبوري (٥٤٩ – ١٣٠ هـ) صاحب أربل وخصص لهم مراضع مقيمات في الدار وعين فيها قومه وخدما يقومون على خدمتهم . وعين طبيباً يشرف على معالجتهم والعناية بصحتهم .

٢ – مكاتب السبيل – الكتاتيب : هي دور مفتوحة لكل المحتاجين من الأيتام وأولاد الفقراء للسكن والتعليم والدراسة . فهي عبارة عن مدارس داخلية بالمجان كان يقوم بوقفها الخلفاء ورجال الدولة من المحسنين الكبار .

وأقدم مكتب سبيل يذكره المؤرخون هو الذي أسسه يحيى البرمكي ببغداد في القرن الثاني للهجرة وكان طلاب هذه المكاتب إذا ما بلغوا سن الرشد يخيرون بين طلب العلم في المدارس أو الانصراف إلى ما يختارون من الأعمال الحرة المختلفة . أما البنات فبعد أن يعلمن ويدربن على الأعمال الزوجية كانوا يزوجونهن لمن يهيء لهن حياة زوجية سعيدة . دور العجزة والمكفوفين : هي دور شيدت خصيصاً للمقعدين والعاجزين والمكفوفين لايوائهم وإطعامهم وإكسائهم وكان يصرف على هذه الدور من الأوقاف التي كانوا يوقفونها .

وأول من جمعهم في دور خاصة بهم للعناية بأمرهم هو الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦–٩٦ هـ) وأعطى لكل أعمى قائداً يـ يعينه في تنقله ويشرف على العناية بأمره وخصص لكل مقعد خادماً يكون في خدمته .

العلاج ونظام المعالجة في البيمارستان :

يقبل في البيمارستان كل مريض يحتاج للمعالجة بغض النظر عن لونه أو دينه أو مقامه ذكراً كان أم أنثى. ويعالج المريض مجاناً طيلة مكوثه في المستشفى ، وعند مغادرته المستشفى بعد شفائه يعطي بدلة من الثياب ومبلغاً من النقود يكفيه العوز إلى أن يصبح قادراً على العمل . والذي يموت في البيمارستان يجهز ويدفن على حساب البيمارستان وتسد مصاريف المستشفى كلها من الأوقاف الخاصة بها ، لأن إيراد هذه

الأوقاف كثيرة وكافية للقيام بحاجات المستشفى جميعها. وعلى سبيل المثال كان المستشفى المنصوري وحده يستهلك سنوياً ما قيمته مليون درهم .

إن النظام السائد في البيمارستانات بالنسبة لمعالجة المرضى لم يكن يختلف عن نظام مستشفياتنا كثيراً فكان هناك نوعان من المعالجة :-

الأول ما يشبه العيادة الخارجية : فكان الطبيب يجلس على دكة ويكتب لمن يرد عليه من المرضى للعلاج أوراقاً تمنحهم صيدلية البيمارستان يموجبها الأشربة والأدوية التي يصفها الطبيب فبذلك كانوا أول من أوجد نظام العيادة الخارجية في المستشفيات وهم أول من الحق الصيدليات القانونية النوع بالمستشفيات .

الآن : والنوع الثاني معالجة المرضى الداخلية في البيمارستان : فكان المرضى يوزعون على القاعات بحسب أمراضهم وكان لكل قسم من أقسام البيمارستان أطباء مختصون يتفاوت عددهم بحسب سعة القسم وعدد المرضى وداخل هذه القاعات يعالج المرضى بأحسن الطرق المعروفة لديهم في ذلك الحين . أما مسؤولية الأطباء في العمل فكانت تختلف ، فمنهم من كان يلازم البيمارستان ليلاً ونهاراً - (وهو ما يشبه عمل الطبيب الخفر أو المقيم | ومنهم من يلازم البيمارستان يوماً واحداً في الأسبوع أو يومين أو أكثر حسب عدد أطباء البيمارستان فنجد مثلاً أن جبريل بن بختيشوع كانت نوبته في الاسبوع يومين وليلتين. وكانت طريقتهم في المعالجة مبنية على أسس علمية فقد كان لكل مريض بطاقة بدون الطبيب ملاحظاته عند المعالجة وللطبيب سجل خاص يدون فيه ملاحظاته الخاصة عن الأمراض التي يعالجها ويبين تجاربه وإختباراته على هذه الملاحظات وفي النهاية قد تكون هذه الملاحظات مرجعاً لمن بعده من الأطباء كما حصل بالنسبة للموسوعة التي دون بها الطلبات المسلم أبو بكر محمد بن زكريا الرازي خلاصة تجاربه وملاحظاته وسماها و الحاوي في الطب ..

وكان الأطباء في البيمارستان يتحلون بروح إيجابية وعلمية عظيمتين فإذا ما عجز أحدهم عن تشخيص داء أو معالجة مريض كان يدعى طبيب من قسم آخر غير القسم الذي فيه المريض للاستشارة ورائد الجميع في كل ذلك شفاء المريض .

اولا: دور علماء العرب المسلمين في مجال الفيزياء

ثانيا:الجهود العلمية للعلماء العرب تقدم علم الفيزياء

واخترعوا آالت تمكنوا بواسطتها من حساب الوزن النوعي لكثير من اٱلحجار الكريمة والمعادن. وقام البيروني بتجربة لحساب الوزن النوعي واستعمل لذلك وعاء مصبه متجه إلى اسفل ومن وزن الجسم بالهواء وبالماء تمكن من معرفة الماء المزاح ، ومن هذا اٱلخير ووزن الجسم بالهواء حسب الوزن النوعي ، وقد وجد الوزن النوعي لثمانية عشر عنصراً ومركباً من اٱلحجار الكريمة والمعادن ، وقام العلماء بعمل الجداول الدقيقة فقد حسبوا كثافة الرصاص مثلً فوجدوها ٣٢,١١ بينما هي الحديث ٣٥,١١ ، واخترع الخازن آالت خاصة لمعرفة الوزن النوعي ألي في الحساب سائل ، ولقياس حرارة السوائله ٥ .الضغط الجوي : المعتبرة في علوم الطبيعة الخازن من أشهر علماء الطبيعة وكتابه »ميزان الحكمة « من الكتب ، ومن أعظمها استيفاء لبحوث الميكانيكا ، ولعله الكتاب الوحيد من نوعه في الموضوع في العصور الوسطى ، وفي الكتاب بحث في الضغط الجوي شرح فيه المبدأ القائل بأن الهواء كالماء يحدث ضغطاً من أسفل إلى أعلى على أي جسم مغمور فيه ، ومن هذا استنتج بأن وزن الجسم في الهواء ينقص عن وزنه الحقيقي 1-الجاذبية : ويتحدث الخازن عن الجاذبية ، وهو يرى أن اختلف قوة الجذب يتبع المسافة بين الجسم وهذا المركز ، ويبين العلقة الصحيحة بين السرعة التي يسقط بها الجسم نحو سطح اٱلرض والبعد الذي يقطعه الزمن الذي العلقة التي تنص عليها القوانين والمعادالت التي ينسب الكشف عنها إلى علماء القرن السابع عشر مثل غاليلوونيوتن ،

وقد اهتم كثير من علماء العرب بالجاذبية وعرفوا شيئاً من قوانينها ، فقد بحث محمد بن موسى بن شاكر في حركة االجرام السماوية وخواص الجذب . واكتشف يستغرقه ، وهي البوزجاني بعض أنواع الخلل في حركة القمر . الرازي من اواخر القرن السادس الهجري : » إننا ويقول محمد بن عمر إذا رمينا المدرة) الحجرة) إلى فوق فإنها ترجع إلى أسفل فعلمنا أن منها قوة تقتضي الحصول فى السفل حتى انا لما رميناها إلى فوق أعادتها تلك القوة العلوم عند العرب ص ٣٥(إلى أسفل «) طوقان ، يتبين لنا مما تقدم أن علماء العرب سبقوا نيوتن فى البحث عن الجاذبية وتورشيللي في أبحاث الضغط الجوي ، ومهدوا الطريق للنظريات التي وضعوها ، وللختراعات التي بنيت عليها ، كالبارومتر ومفرغات الهواء ، وآالالت ألخرى العديدة ٧ – . الضوء : ويسميه العرب علم البصريات أو علم المناظر ، وقد اهتم به العرب منذ بدء اهتمامهم بالعلوم وبالفلسفة خاصة ، لقد ألف الكندي حوالي ١٦٥هـ أحدهما في اختلف المناظر ، وثانيهما في كتابين المرأة ، وابن سينا المتوفى عام ٤٢٨هـ = ١٠٢٧م الطبيب والفيلسوف اختلف مناظر = ٨٧٠ م والرياضي والفيزيائي اشتغل كثيراً في هذا الباب وأوجد النظريات الجديدة . الصوت : بحث العرب في الصوت ومنشئه وقوته وأداهم ذلك إلى البحث في الموسيقى وآالالت الموسيقية والنقر عليها وأنواع ألنغام ، ففي رسائل اخوان الصفا مثلً نجد تعليلً الهواء و الذي لحدوث الصوت الناتج عن حركة ألجسام المصوتة في آخر أنسل ذلك الهواء من لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل ألجسام كلها فإذا صدم جسم جسماً بينهما وتدافع وتموج إلى جميع الجهات وحدث من حركته شكل كروي واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها ، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموج إلى أن يسكن ويضمحل .» وقسم العرب ألصوات إلى أنواع : منها الجهير والخفيف ومنها الحاد والغليظ وشرحوا العلقة بين طول الوتر وغلظه وقوة توتره وشدة النقر من جهة ونوع الصوت الذي يحدث من جهة أخرى، وعللوا الصدى . وشرح القزويني سبب رؤية البرق قبل أن يُسمع الرعد ألن الرؤية تحصل بمراعاة البصر ، وأما السمع فيتوقف على وصول الصوت إلى الصماخ وذلك يتوقف على تموج الهواء ، وذهاب النظر أسرع من وصول الصوت– – .) ٩ المغناطيسية ربيت ألبرة : أول من عرف خاصية أخذ العرب المغناطيسية عن اليونان الذين هم الجذب في المغناطيس ، وعن الصينيين الذين خاصية من عرف أول هماالتجاه فيه . وثبت أنهم استعملوا ألبرة المغناطيسية لمعرفة االتجاه . وقد جاء في كتاب كنز البحار ومن خواص المغناطيس أن رؤساء من قشة حتى البحر الشامي إذا اظلم عليهم ولم يروا من النجوم ما يهتدون به إلى الجهات ألربع يأخذون إناء مملوءاً ويحترزون عليه من الريح

بأن ينزلون إلى بطن السفينة ثم يأخذون ابرة وينفذونها . لتبقى معارضة فيها كالصليب ويلقونها في الماء الذي في االناء ، فتطفو على وجهه ، ثم يأخذون حجراً من المغناطيس كبيراً ملىء الكفء ويدنونه من وجه الماء ويحركون أيديهم دورة اليمين فعندما تدور على صفحة الماء ثم يرفعون أيديهم على غفلة وسرعة ، فإن أألبرة تستقبل بجهتها جهة الجنوب والشمال ، ورأيت هذا الفعل منهم عياناً في ركوبنا البحر من طرابلس الشام إلى االسكندرية في سنة أربعين وستمائة . ١٠ – الرقاص : وسماه العرب الموار ومخترعه ابن يونس المصري المتوفى عام ٣٩٩ هـ = ١٠٠٩ م واسمه الكامل ابو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ، وجاء بعده عالم آخر باسم كمال الدين بن يونس المتوفى ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢م فلحظ تذبذب الرقاص وعرف كثيراً من قوانينه . هذا بجانب بحوث العرب المسلمين في مجال الموسيقى والعدسات وآالالت الرافعة وغيرها .ثانياً : العلماء العرب المسلمون في مجال الفيزياء :١ – ابن الهيثم : ٣٥٤ – ٤٣٠هـ – ٩٦٥ – ١٠٣٩ م .هو أبو علي الحسن بن الهيثم ، ولد في البصرة ونشأ فيها ، ودرس العلوم المعروفة في عصره : الفلسفة – وعلوم الطبيعة والرياضيات والطب ثم هاجر إلى مصر في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر اللهكان منهج ابن الهيثم هو المنهج االستقرائي. وا منع كيا علم كا و درس ابن الهيثم الضوء ، ال سيما الجزء الذي نسميه اليوم و البصريات الهندسية دراسة واسعة ، وألف في ذلك كتابه »المناظر .»شرح ابن الهيثم الرؤية، ووصف تركيب العين وذهب إلى أن الصورة التي تكونها العين لألشياء تنطبع على الشبكية ودرس الظل وشبه الظل وأجرى تجارب على الحجرة المظلمة المحتوية على ثقب في أحد جدرانها . كما درس ظاهرة إنكسار الضوء ، واكتشف قاعدة قبول العكس ودرس انعكاس الضوء على المرايا المستوية والكروية) المقعرة والمحدبة (واالسطوانية وتكون الصور بواسطتها .. وذهب ابن الهيثم إلى أن للضوء سرعة محدودة ، رغم أنها كبيرة ، ولذلك فهو يحتاج إلى زمن في انتقاله من مكان إلى آخر . ٢ – البيروني : واشتهر بالفيزياء من العرب كثيرون ، منهم أيضاً : أبو الريحان البيروني الذي ذكرنا ترجمة له في فصول هذا الكتاب والبيروني) عين الكثافة بالنوعية الثمانية عشر نوعاً من أنواع الحجارة الكريمة ، ووضع القاعدة التي تنص على أن الكثافة النوعية للجسم تتناسب مع حجم الماء الذي يزيغه ، وشرح اسباب خروج من العيون الطبيعية ، وآالبار االركوازية بنظرته أألواني المستطرقة (. ب ا لمل ليا الماء –٣ الخازن المصري ١٠٧٨هـ : صاحب أألبحاث القيمة في المرايا وحرارتها ، ومحل الصور الظاهرة فيها ، وإنحراف أألشياء وجسامتها الظاهرة، والذي وصل إلى حل لبعض مسائل في الضوء مثل :) إذا علم موضع نقطة مضيئة ووضع العين ، فكيفتجد على المرايا

الكروية واالسطوانية النقطة التي تتجمع فيها االشعة بعد انعكاسها .. وكتابه عن البصريات الذي نقل إلى اللغة اللتينية واليطالية استعان به كيلر كثيراً في كتابه عن البصريات ، وفيه فصول ممتعة عن حرارة المرايا ، ومحل الصور الظاهرة فيها ، وإنحراف االشياء وجسامتها الظاهرة ، وقد عد مسيو) شامل ، وهو الحجة في هذه الموضوعات هذا الكتاب) مصدر معارفنا للبصريات . فالخازن كان االستاذ االكبر لكثير من العلماء االوروبيين في العصور الوسطى ومستهل الحديثة . الماء من اسباب خروج وهكذا نرى أن العرب المسلمون نهضوا نهضة واضحة في مجال الفيزياء ، وأضافوا إليها معلومات جديدة هامة وال سيما في البصريات ، وكما رأينا أن من آثارهم تعيين الكثافة النوعية لكثير من االحجار الكريمة ، وشرحوا العيون الطبيعية ، واآلبار االرتوازية بنظرية االلواني المستطرقة ، واشتغلوا بالعدسات، وبرعوا في البصريات ، وأجروا تجارب اليجاد العلقة بين وزن الهواء وكثافته ، وكتبوا في الضوء ، والمرايا المحرقة كتابات قيمة ، إلى غير ذلك من االبحاث التي أفاد منها العلماء من بعدهم ومع أن معظم مؤلفات العرب الهامة في الفيزياء قد ضاعت ، ولم يبق منها إال القليل فإنه يمكننا أن نقف من هذا القليل على مدى تقدمهم في هذا العلم وما أفادته أوروبا من تقدمهم فيه ..ثالثا: علماء العرب المسلمين في علم الفلك وأثر ذلك على الحضارة االنسانية . كما تأثر العرب بحضارات من سبقهم ، فقد أثروا في الحضارات التي لحقتهم ، وكان لتراجم العرب عن الفرس والهند واليونان أثر في تطوير معلوماتهم وخاصة في عهد العباسيين وال سيما أيام الخليفة المأمون . ومن العماء العرب الذين كان لهم قدم راسخة في علم الفلك ، الفزاري ، والمجسطي ، والبيروني ، والفرغاني ، والمرور وذي ، وأبو عيسمجال الفلك ودورهم االسطرالبي ، وسند بن علي ، والخوارزمي ، والبتاني وثابت بن قره ، والصوفي ، وأبي حامد الصفاني ، وحامد بن الخضر، والخجندي . وقبل أن نستعرض خلصة فكر هؤالء العلماء في الحضارة االنسانية ، ال بد أن نؤكد أثر االسلم على هؤالء العلماءفي وخاصة القرآن الكريم والسنة النبوية ، حيث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم » ساعةفكر خير من عبادة سبعين سنة .أوالً : الفلك في القرآن لقد وردت آيات قرآنية كثيرة تدل تعبير أصدق تعبر عن الكون وقدرة الخالق خلقه وإبداعه ومن هذه االيات : ١ – خلق السموات مة باليا رحيق (– إن في خلق السموات واألرض واختلف الليل والنهار آليات ألولى االلباب . الذين يذكرون هللا قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات واألرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلً سبحانك فقنا عذاب النار (.)آل عمران ١٩٠ – ١٩١ (.)قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق االرض في يومين وتجعلون له اندادا (ذلك رب دخان ، وهي العاليين ، وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك

فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء فقال لها ولألرض أتيا طوعاً نيا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سماوات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الد بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ .)فصلت ٩ – ١٢ .) قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق ألارض المال بے أولم ير الذين كفروا أن السموات وألارض كانتا رتقا ففتقناهما :وهو الذي خلق السموات وألارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء (. (هود)٧)إن ربكم هللا الذي خلق السموات وألارض في ستة أيام ثم استوى على العرش (.) يونس)٣ .)الظواهر الفلكية : والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم – والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . ال الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر وال الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون (.) يس ٣٨ – ٤٠ (. – والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ( ) ألاعراف ٥٤ (. تمر مر السحاب صنع وهي هللا الذي وترى الجبال تحسبها جامدة اتقن كل شيء .) (النمل)٨٨ .)الحمد هلل الذي خلق السموات وألارض وجعل الظلمات والنور (.) ألانعام ١ .)خلق السموات وألارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري ألجل مسمى إال هو العزيز الغفار (.) الزمر ٥ .) هللا الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وجعل فيها رواسي (.) الرعد ٢ .) والسماء ذات البروج واليوم الموعود (.) البروج ١ – ٢ (. – والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب (.الطارق ١ – ٣ (.ذلك والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر ، هل في قسم لذي حجر ( ) الفجر ١ – ف لها تقال تلفن ليه له شكال والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ، وما خلق الذكر وألنثى ، إن سعيكم لشتى (الليل ١ – ٤ ( )والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلي (.) الضحى .).١ –وجود الحياة على ألارض والكواكب ألاخرى : – تسبح له السموات السبع وألارض ومن فيهن وإن من شيء إال يسبح بحمده ولكن ال تفقهون تسبيحهم (.)االسراء ٤٤ .) ومن آياته خلق السموات وألارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ( ) الشورى ٢٩ (. – تصوير يوم القيامة – : فإذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول االنسان يومئذ أين المفر كل الوزر إلى ربك يومئذ المستقر (.) القيامة ٧ – إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت ، وإذا العشار عطلت ، وإذا الوحوش حشرت ، وإذا البحار سجرت ، وإذا النفوس زوجت ، وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت ، وإذا الصحف نشرت . وإذا السماء كشطت . وإذا الجحيم سعرت . وإذا الجنة ازلفت . علمت نفس ما احضرت ( ) التكوير ١ – ١٤ (هو إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت .

وإذا البحار فجرت . وإذا القبور بعثرت .علمت نفس ما قدمت وأخرت (.) االنفطار ١ – ٥ (.اد و إذا السماء إنشقت . وأذنت لربها وحقت . وإذا األرض مدت .وألقت ما فيها وتخلت . وأذنت لربها وحقت يا ايها االنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملقيه . فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا ١ – ٩(.ً . وينقلب إلى أهله مسروراً (.)االنشقاق يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا ١٠٤ (.ً علينا أنا كنا فاعلين (.) األنبياء هكذا نرى القرآن الكريم حث على التفكر في خلق السموات واألرض والتدبر في هذه المخلوقات، وكان على المسلمين تنظيم علم يسير عليهم الوصول إلى مواقع النجوم والكواكب ، فيقول ابن خلدون في مقدمته : » إن علم الهيئة علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة ، والمتحركة والمتحيرة ، ومن فروعه علم االزياج « والزيج جدول حسابي مبنى على قوانين عددية ، فيما يخص كل كوكب، وذلك ليكشف عن مواقع النجوم والكواكب واحداً واحداً حسبان حركتها وما يؤدي إليه برهان الهيئة من سرعة أو بطىء. مع المعرفة ابراهيم الغزاري كتاب) السند هند (أو السدهانتا Siddhanta وتعني بواسطة الشمس ، والكتاب لم يعرف مؤلفه ، وذلك في عهد المنصور ، واتخذه العلماء مثلً يحتذي ، ففي سنة ١٥٦هـ وفد على الخليفة المنصور رجل من الهند له دراية وسيعة بحركات النجوم ، وحساب السند هند ، وكان يحمل معه الكتاب الى العربية ، وبقي يعمل به إلى ايام المامون ، ثم ترجمت التقاويم البهلوية التي وضعت في عهد الدولة الساسانية الفارسية واضيفت إلى العلوم الرياضية ، وعرفت في العربية باسم) الزيج (. . كتاباً يحتوي على ذلك الحساب ، فطلب الخليفة ترجمة هذا ثانياً : جهود العلماء العرب المسلمون في مجال الفلك : إبتدأت دراسة الفلك عن العلماء العرب المسلمين بترجمة محمد بن ٣١٦وكان لليونان كذلك تأثير بفضل الترجمة التي تمت في عصر ا المأمون الفلك لبعض كتبهم علينا وليا والكلم علماء الفلك في عهد المنصور بقياس الدرجة اأرضية ، وكان غرضهم من وقد قام ذلك تحديد حجم اأرض ومحيطها على اساس أن األرض مدورة ، وحدثت تجربة ثانية من بعد ذلك .في عهد المأمون ، فقد أمر بقياس دائرة نصف النهار ، ووكل هذا العمل إلى فريقين : فريق عمل بصحراء سنجاب شمال الفرات، واآلخر عمل بصحراء تدمر ، وقد وصل كل الفريقين إلى نتيجة جعلت درجة الطول ٥٦ ميلً عربياً ، وثلثي الميل ، وهي نتيجة تقرب إلى حد كبير من القياس الصحيح . قصة المراصد واآلالت الفلكية ؟ قال لما التحية هي ت المال والى ان شاهلل اى حقيقة األسطر الب ؟ هي كل هذه جهود تستحق االشارة اليها . انيستا تلل للرمان كانت الجهود العلمية التي بذلها المفكرون الفلكيون العرب المسلمون ذات أثر بالغ وخاصة : ١ – االسطرالب ، وينسب إلى أبو

عيسى االسطرالبي الذي وضع أسس ما وما استعمال المسطرة الحاسية الفلكية العربية ، المعروفة منذ القرن التاسع الميلدي .٢ – والجداول الرياضية التي وضعها الخوارزمي وساعدت على القيام بالحسابات الفلكية اللزمة ، ثم الفرغاني الذي قاس محيط الكرة ألرضية ، ولم يختلف قياسه كثيرا عن المعروف حالياً – . كما عرف التاريخ عن العرب ، المزولة التي هي في حقيقتها ساعة تعتمد على ظل الشمس لبيان الوقت، كما عرف التاريخ عن العرب الساعة المانية التي أهداها هرون الرشيد إلى الملك شارلمان .كما روي أن كثيراً من المراصد قد أقيمت لرصد القمر وحركة الشمس وخاصة في العراق والشام أيام العباسيين وسنتناول بالتفصيل المراصد وآالت الفلكية وكذلك االسطرالب – – : المراصد وآالت الفلكية : أضاف الخليفة المأمون إلى بيت الحكمة بغداد) بالشماسية (مرصداً فلكياً . وعهد بإدارته إلى سند بن علي . ويحيى بن أبي منصور ثم العباس بن سعيد الجوهري الذي كان يتقن صنع آالت الرصد – . آخر في جبل قاسيون بدمشق وجهزت المراصد في تلك ألليام بأدوات مختلفة منها – : ثم بنى المأمون مرصداً مقياس االرتفاع، واالسطرالب ، والمزولة) الساعة الشمسية (، وكان أبو اسحق محمد بن ابراهيم بن حبيب الفزاري ٧٧٧م أول من صنع اسطرالبا االسلم ، ومن أقدم الرسائل العربية في االسطرالب رسالة لعلي بن عيسى – – . ويذكر ابن النديم : أن آالت الرصد كانت تصنع بمدينة حران ثم انتشرت صناعتها في طول البلد وعرضها، واتسع مجال العمل امام الصناع بها في الدولة العباسية ، كان هذا منذ أيام المأمون ، وأول من عالج صنع آالت هو ابن خلف المروذي، فاقتدى به الناس ، ثم انتشرت هذه الصناعة – – . وكان بنو الصباح، وهم ثلثة اخوة يتقنون صناعة آالت ، ولهم كتاب) برهان صنعة االسطرالب ، كما ذكره هـ (وكان ماهراً ابن النديم في الفهرست ، وممن عالج هذه الصناعة احمد بن محمد الصاغاني) ٣٧٩ في صناعة االسطرالب حتى ضرب به المثل ، وصارت آالته التي يصنعها لها صيغة ، حتى كان يعول عليها أكثر من غيرها ، وادخل الجودة ، وطابع االمتياز.الصاغاني تطويراً وزيادات قيمة على آالت الرصد القديمة . االسطرالب : اشا وهو أحد ألجهزة التي اعتمد عليها المسلمون في تعيين زوايا ارتفاع – –عن السماوية ألفق االجرام أي مكان ، ثم أمكن إستخدامه في حساب الوقت ، وكذلك البعد عن خط االستواء) أي خط العرض (، ويقال أن أول من خطرت له فكرة االسطرالب هو) هبارخش) االغريقي عام ١٥٠ ق.م .ومن هذا نرى أن كلمة اسطرالب كلمة اغريقية، تعني مرآة النجوم أو مرآة الكواكب وهو على أنواع منها التام والمسطح والطوماري والهللي وآالس والزورقي والصفيحة الزرقاء والجنوبي والشمالي ، ويعد االسطرالب أقدم جهاز على االطلق استخدم بنجاح. ولعب دوراً

مهماً في السير قدماً بركب المدنية – –ويتكون الجهاز في أبسط صورة من دائرة ، أو قرص من المعدن أو الخشب يعلق بحلقة ، وفي مركزها مؤشر يمكن لفه أو إدارته حول المركز ، أو ليتجه نحو المرئي ، وتقسم الدائرة إلى درجات تعين زاوية ارتفاع النجم ، وقد اتكأ عليه كثير من البحارة في عرض البحار في تلك العهود ، حتى عهد اكتشاف آلة السدس . لحظة الشمس في أي – –الشمس ولكي يعين الوقت يبدأ بقياس زاوية ارتفاع الشمس ومن ثم يعين موضع لذلك اليوم ، في منطقة البروج ، ثم يحرك المؤشر ، حتى ينطبق موضع الشمس مع دائرة أخرى على القرص ، تقابل خط العرض ، ويعطي الخط الممتد من نقطة االنطباق إلى مركز الجهاز في نهاية طرفه اآلخر – –الوقت ، وذلك على مقياس خاص على حافة الجهاز .ثالثاً : العلماء العرب والمسلمون في مجال الفلك – – : البناني – – : أبو عبد هللا محمد بن جابر ابن سنان البتاني الحراني الصابي المعروف عند الغربيين في العصور الوسطى باسم Albategic أو Albatenius من أكبر علماء الفلك عند العرب ، ولد قبل عام ٢٤٤ هـ أن مولده كان في حران أو ما جاورها ولسنا نعرف أصل النسبة » بتاني (على التحقيق ، وكانت أسرته من الصائبة ، ولذلك عرف بالصابي مع أنه كان مسلماً .) ٨٥٨ م (ويرجح صرف معظم حياته ووقف نفسه على رصد االفلك من عام ٢٦٤ هـ) ٨٧٧(م واستمر على ذلك بقية حياته حتى عده اللند Lalande الفلكي الفرنسي الكبير المتوفى سنة ١٨٠٧م من الفلكيين العشرين المبرزين الذين انجبتهم االنسانية منذ خلق هللا الخلق حتى اآلن .. توفى البتاني عام ٣١٧ هـ) ٩٢٩ (م . تصانيفه (: أ ( ) كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك ، أي مطالع نقط البروج التي ليست في وقت معلوم . واحدة من االوتاد االربعة ، ويتناول هذا الكتاب الحل الرياضي للمسألة التنجيمية التجاه الراصد (.ب ( ) رسالة في تحقيق أقدار االتصاالت، أي الحلول المضبوطة بحساب المثلثات للمسألة التنجيمية ، عندما تكون النجوم المقصودة لها خط عرض أي خارج فلك البروج (. حـ(شرح المقاالت االربع لبطليموس) د (الزيج، وهو أهم تصانيفه ، ولم يصل الينا غيره ، وبه نتائج رصودالبتاني ، وقد كان له أثر كبير ، ال في علم الفلك عند العرب فحسب ، بل فيه وفي حساب المثلثات الكرى عامة في أوروبا خلل العصور الوسطى وأول عصر النهضه وهناك رسائل منسوبة إلى البتاني ال قيمة لها في التنجيم .. وحدد البتاني في كثير من الدقة ميل الدائرة الكسوفية ، وطول السنة المدارية والفصول، والمدار الحقيقي الدليل على تبعيته لحركة والمتوسط للشمس، كما أضحد مذهب بطليموس القائل بثبات االوج الشمسى مقيماً المبادرة االعتدالية واستنتج من ذلك أن معادلة الزمن تتغير تغيرا على مر االجيال ، وقد أثبت على عكس ً بطيئاً ما ذهب إليه

بطليموس تغير القطر الزاوي الظاهري للشمس وإحتمال حدوث الكسوف الحلقي . وصحح البتاني جملة من حركات القمر والكواكب السيارة ، واستنبط نظرية جديدة تشف عن شيء كثير من الحذق وسعة الحيلة لبيان االحوال التي يرى بها القمر عند والدته ، وضبط تقدير بطليموس لحركة المبادرة االعتدالية ، وله رصود جليلة للكسوف والخسوف اعتمد عليها دنشورن Dunthorne سنة ١٧٤٩م في تحديد تسارع القمر في حركته خلل قرن من الزمان .. وأعطى حلوالً رائعة بوساطة المسقط التقريبي لمسائل في حساب وقد عرف هذه الحلول رجيومنتانوس المشهور (Regiomontanns ١٤٣٦ – ١٤٧٦ (وسار على منهاجها . المثلثات الكرى ، ابن يونس : أبو سعيد علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد االعلى الصدفي المصري. ولد في مصر من أسرة عرفت بالعلم . ويعد أعظم فلكيي عصره بعد البتاني والبوزجاني في خلل القرن الحادي عشر الميلدي ، وقد توفى تقريباً عام ٣٩٧ هـ بمصر وغير معروف تاريخ مولده – . ٣٢وقد عرف الخلفاء الفاطميون لهذا العالم قدره ، فهيأوا له أسباب العمل ، وشيدوا له مرصداً في قمة جبل المقطم في مصر ، وجهزوه بكل ما يلزم من االآلت والمعدات كما طلب إليه العزيز الفاطمي أن يؤلف موسوعة في علم الهيئة والفلك ، وقد بدأها في عهد العزيز، ولكنه لم ينته منها إال في عهد ابنه الحكم، ومن ثم سميت باسم) الزيج الحاكمي .) وقد وفق ابن يونس الى رصد كسوف الشمس وخسوف القمر في مصر سنة ٩٧٨م وتصحيح ميل دائرة البروج ، وزاوية اختلف النظر للشمس. وقد اتسمت أبحاثه الفلكية بالطابع الديني ، حتى أنه مهد لكتابه) الزيج الحاكمي (بمقدمة عظيمة حصر فيها كل االآليات المتعلقة بخلق السموات واألرض، وكتابه هذا) الزيج الحاكمي)يحتوي على ارصاد الفلكيين القدامى في مجال الخسوفات والكسوفات ، وجميع قرانات الكواكب وأرصاده نفسه هو وإبن يونس المصري هو مخترع بندول الساعة ، وليس صحيحاً نسبة اختراعه الى العالم االيطالي جاليلو ، بل لقد اهتدى إلى اختراعه واستعماله هذا العالم العربي قبل جاليليو بستة قرون، وقد اعترف بذلك العالم الفرنسي (سيديو(في كتابه تاريخ العرب ، والعالم االنجليزي) تايلر (في كتابه تاريخ الرياضيات . ومن علماء العرب والمسلمين في مجال الفلك كذلك : البيروني : أبو الريحان محمد أحمد مؤلف عربي من أصل فارس ولد في ذي الحجة عام ٣٦٢ هـ (سبتمبر عام ٩٧٣) بضاحية من ضواحي خوارزم ، درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ بنا ما پايان سايتال ما االآثار الباقية عن القرون الخالية . ها تصانيفه – : تاريخ الهند بالك بس القانون المسعودي في الهيئة والنجوم . – التفهيم ألوائل صناعة التنجيم فلفل يا سنى باال با انار – كتاب الصيدلة من قولها بمشال باهلل منا من لقا يا رسالة على كتاب

الجواهر في معرفة الجواهر . ا قيف) ما نيا)وتوفى البيروني ١٠٤٨ م (. وال يعتبر هذا حصراً شاملً فالبيروني موسوعة علمية في مجاالت الثالث من رجب عام ٤٤٨(هـ)١٣(ديسمبر عام متعددة وما زالت كتبه تترجم الى لغات أخرى عديدة . المالية ويعد البيروني من ألشخاص الذين برزوا في ألبحاث الفلكية ، فهو أول من اثبت كروية ألرض وقاس قطرها بطريقة علمية مبتكرة كما أثبت أن ألرض تدور حول محورها وفسر الجاذبية ألرضية .. واكتشف وجود قوي الجاذبية بين ألجرام السماوية وأرجع اليها الفضل في أنها ال تترك ألجرام السماوية تهوى في الفضاء ومن براهينه حول كروية ألرض قوله إن السفينة إذا أقبلت من بعيد فإن أول ما يرى منها للناظر هو ساريها) أي أعلها (ثم يبدو باقيها شيئاً فشيئاً ونفس الشيء بالنسبة للجبال إذ تبدو قممها أوالً ، وكلما اقتربنا ظهر باقيها بالتدريج حتى قواعدها مما يدل على أننا فوق كرة .أفضال البيروني على الفلك أنه أول من صحح نظرية االغريق القائلة بأن الشمس تدور حول ألرض فتسبب الليل والنهار وأعلن أن ألرض ، التي تدور حول نفسها أمام الشمس كما أن ها تدور في فلك حول الشمس وقد أثبت البيروني نظريته هذه علمياً وعملياً قبل العالم االلماني كوبر نيكس بخمسة قرون. هذا وقد أجرى البيروني دراسات مستفيضة على ظاهرتي ومن ميالكسوف والخسوف ويقول أنه . من فرط تحديقه في الشمس لرصد الكسوف قد كل بصره وضعف ولكن لم يثنه عن مواصلة ألبحاث حتى كتب منها كتاب إمتحان الشمس وكتاب تحقيق منازل القمر وكتاب الشعاعات ألف في ذلك عدة والقمر . المال شارع القان حيث إن أول كتاب وضعه في الفلك هو آلثار الباقية عن القرون الخالية ، وقد عالج فيه تقاويم السنين عند الشعوب القديمة وتواريخهم ، ولكن مؤلفه) القانون المسعودي) يفوق أي كتاب آخر من كتبه في هذا الميدان ، يعد اعظم موسوعة في علوم الفلك وحساب المثلثات ، وقد ألف البيروني هذا الكتاب سنة ٤٢١ هـ ونسبه إلى السلطان مسعود بن محمود الغزنوي .. ولقد أتى المستشرق نللينو على محتويات هذا الكتاب تلخيصاً فهي تعني بمبادىء علم الهيئة وتواريخ ألمم المختلفة ، وحساب المثلثات المستوية والكروية وصور ألرض وأبعادها ، وحركات الشمس ، وكيفية تبيانها بالشكل الهندسي ، وحركات القمر، وبيان إختلف مظاهره في االرتفاع والطول والعرض ، وإتصال النيرين ، وحساب الخسوف والكسوف ، بحسب رؤية ألهلة والكواكب الثابتة ، ومنازل القمر فيها – 4 – . ومن الفلكيين ألندلسيين أبو القاسم مسلمة المجريطي) المتوفى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م (وقد ترجمت كثير من كتب الفلك إلى اللتينية .. غير اسمه في كما اخترعوا أنواعاً عديدة من الميقاتات كالتي اخترعها شخص ال تعرف منتصف القرن التاسع الهجري ، هو يحيى الملقب بـ »

صاحب المنيقية وهي نوع من الساعات . فقال له بال باشه أبو القاسم عباس بن فرناس الذي اشتهر في أكثر من علم والذي لقب بـ (وحيث الحديث عن الفلك يذكر أيضاً حكيم االندلس « لعصره . فيذكر المقري في نفح الطيب حـ ٣ ص ٣٧٤ ، حيث الحديث عن الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها ، فيقول :من بأن ابن فرناس) أول من استنبط باألندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول فك بها كتاب القروض للخليل ، وأول من فك الموسيقى ، وصنع آللة المعروفة بالمنقانة ليعرف االوقات على غير رسم ومثال ، وقد ذكر أيضاً يخيل للناظر أنه كان له في بيته مختبر فيه آلة من صنعه على هيئة السماء فيها يرى النجوم والغيوم والبرو

الرياضيات : المعروف أن المسلمين بنوا معارفهم في الرياضيات على أساس من علوم اليونان والهنود ثم تقدموا بهذه العلوم وخطوا بها خطوات واسعة نحو االمام حتى ظهر منهم في المشرق علماء مبرزون في العلوم الرياضية مثل الخوارزمي) ت ٨٣٥ (–٨٤٤م وثابت بن قرة)ت ٩٠١م(والبتاني ت ٩٢٦م والخازن البصري (ولد حوالى)٩٦٠م(وعمر بن ابراهيم الخيام ت ١١٣٢م(. أما في المغرب االسالمي فقد ظهر مسلمة المجريطي أمام الرياضيين باألندلس)١٠٠٧م(والذي كان من تالميذه ابن السمح) ت)١٠٣٤م(وابن الصفار والكرماني وأمية بن أبي الصلت وغيرهم وتقدم المسلمون بالحساب خطوات واسعة فأضافوا إلى معلومات اليونان كثيراً من النظريات التي لم تعرفها اوروبا من قبل ، كما علموا االوروبيين نظام االعداد الهندي الذي يمثل ثورة شاملة في علم الحساب . ويتضح . لنا تسهيل هذا النظام العددي للعمليات الحسابية إذا قارنا بينه وبين النظام العددي الروماني. فنظام االعداد الجديد الذي عرفته أوروبا عن العرب ، يمكن فيه أن تتغير قيمة الواحد حسب وضعه في خانة آلحاد أو العشرات أو آالالف أو الماليين في حين أن قيمة فرقم مثالً يعني خمسين أو خمسمائة أو خمسة آالف . الرقم ال تتغير في النظام الروماني بتغيير – خانته ، ال يمكن أن وهكذا إذا أردنا أن نكتب عددا ٢٧ باألرقام الالتينية – التي لم تعرف أوروبا غيرها في العصور الوسطى – فإنهً مثل يكتب على هذا الوضعXXVII . ونستطيع أن نتصور مدى التعقيد الذي يصيب العمليات الحسابية من جمع وطرح وضرب وقسمة عند استخدام هذا النظام العددي الروماني ، فما بالنا باألعداد الكبيرة التي تعبر عن آالالف والماليين أو في الجداول الرياضية والمعادالت)

)١- أن االعداد الجديدة المستخدمة حالياً في الغرب ليست من اختراع الغرب ، إذ المرجح أنها هندية االصل، كما أشار العرب أنفسهم وكما يتضح من طريقة كتابتها من اليسار إلى اليمين ، بعكس الطريقة المتبعة في كتابة معظم اللغات يكفي العرب فضالً السامية وهي من اليمين الى اليسار ، ولكن أنهم أوصلوا هذه الطريقة الجديدة إلى أوروبا ورحموا االوروبيين من تعقيد النظام العددي الروماني العقيم ، وبذلك سهلوا العمليات الحسابية وساعدوا على تقدم الرياضيات)

)٢-وقد كتب البيروني رسالة هامة فى االعداد ونسبها أسماها و را شيكات الهند ، كما شرح اليعقوبي في تاريخه نظام االعداد الجديد الذي أخذه العرب ووضع التسعة االحرف الهندية التي يخرج منها عن الهنود فقال : ..... الحسابات الذى ال يدرك معرفتها ، وهى ،١، ،٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ،٧ ،٨ ،٩ فاألولى منها واحد وهو عشرة ومائة وهو ألف ومائة ألف و وهو ألف وعلى هذا الحساب يجري التسعة أحرف فصاعداً . غير أن بيت الواحد معروف من العشرة وكذلك بيت العشرة معروف من المائة وكذلك كل بيت ، وإذا خال بيت منها يجعل فيه الصفر ويكون الصفر دارة صغيرة .. جميع ألف ...وهنا نجد اليعقوبي يشير إلى رمز حسابي جديد هو الصفر الذي يعتبر من اخطر المبادئ التي اهتدى إليها العقل البشري في الرياضيات. ولم يعرف الغرب استعمال الصفر إال عن طريق العرب في القرن الثاني عشر ، حتى قال المؤرخ اير yre إن فكرة الصفر تعتبر من أعظم الهدايا العلمية التي قدمها المسلمون إلى غرب أوروبا. وكان العرب قد استخدموا لفظ (صفر (للداللة على)ال شيء(منذ العصر الجاهلي ، كما يبدو في البيت التالي الذي جاء في وإن يدي مما بخلت به صفر محمد بن قصيدة الحاتم ترى إن ما أهلكت لم يكن ضرني وفي القرن الثامن الميالدي استخدم المسلمون الصفر في الحساب فرسموه على هيئة حلقة . كما ذكر اليعقوبي في النص السابق . وكذلك ذكر أحمد في (مفاتيح العلوم) أنه إذا لم يظهر في العمليات الحسابية رقم مكان العشرات وجب أن توضع دائرة صغيرة » المساواة الصفوف ، ثم شرح الخوارزمي كيفية استعمال االعداد الجديدة ، بما فيها الصفر، في بحث له ترجمه االوروبيون إلى الالتينية في الربع االول من القرن الثاني عشر تحت اسم Indorum Numero ((de Algoritmiأي الخوارزمي عن عن) صفر (وهو يعني أيضاً أرقام الهنود . هكذا اشتق اللفظ االوروبي Chiffreفي اللغات االوروبية (ال شيء أو عديم القيمة (، فاستخدم مارتن لوثر هذا اللفظ السادس عشر

للتعبير عن ضعف االساقفة أمام البابا فقال إنهم كاألصفار . وفي القرن ر استخدم اللفظ االوروبي السابق للداللة على الكتابة الغامضة أو ال شيء .بمعنى وهكذا تلقى غرب أوروبا نظام االعداد الجديد مقروناً الشفرة Chiffre، في حين استخدم لفظ Zero باسم الخوارزمي . وسرعان ما حور اسم الخوارزمي في اللغة الالتينية – وهو – Algoritmi إلى Algorismus ثم اختصر بعد ذلك إلى Augrim ، حتى أصبح هذا اللفظ االخير علما لنظام االعداد العشرى الجديد . ويدل كل ذلك السابق ، على أن الغربيين تعلموا الحساب الحديث عن كتاب الخوارزمي الكتب وعن االخرى التي أخذت عنه ، مثل كتاب Carmen Algorisme de الذي وضعه إسكندري فيالدي Villa de Alexandre حوالي سنة ١٢٢٠ وكتاب Algorismus Vulgaris الذي وضعه حنا الهالفكسى Halivax of John حوالى سنة ١٢٥٠م . وكل من هذين الكتابين االخيرين مبني لتلقين الحساب في غرب إلى حد كبير على كتاب محمد بن موسى الخوارزمي في الحساب ، كما أن كالهما استمر مرجعاً أوروبا عدة قرون . وما زالت اللغة االنجليزية حتى اليوم تستخدم لفظ الجورزم Algorithmوهو تحريف السم الخوارزمي – للتعبير عن الطريقة الوضعية في حل المسائل طبقوا ولم يقتصر فضل العرب على أوروبا في ميدان الرياضيات على علم الحساب وإنما إمتد إلى بقية العلوم ، وعلى رأسها علم الجبر الذي ال يزال محتفظاً باسمه العربي في كافة اللغات االوروبية (Algebra, Algebre (، بعد أن أخذه االوروبيون عن العرب وإذا كان بعض الباحثين يميل إلى االعتقاد بأن العرب ليسوا هم الذين وضعوا أصول علم الجبر ، وأن هذه االصول عرفت منذ أيام ديوفانتوس Diophantus وهو عالم يوناني عاش في القرن الثالث ، إال أنه يكفي أنهم إكتشفوا أصول علم الجبر وأضافوا إليها وحولوها تحويالً تاماً ، وخلقوا منه العرب فخرا بمعنى الكلمة ، ا علماً حقيقياً ثم هذا على الهندسة وقد بلغ من اهتمام العرب بعلم الجبر أن الخليفة المأمون كلف محمد بن موسى الخوارزمي بوضع كتاب في هذا العلم ، وهو الكتاب الذي نقله إلى الالتينية روبرت الشستر Chester of Robert سنة ١١٤٥م، وبذلك إلى أوروبا ، إذ ظل هذا الكتاب مستعمالً في المدارس والجامعات االوروبية حتى القرن السادس عشر. ومن علماً جديداً علماء العرب الذين كتبوا في الجبر أيضاً ١٠١٩ ، ٢٩ ١٠ م ، ويعتبر من أبو بكر محمد بن الكرخي المتوفى بين سنتي أكبر علماء العرب الذين شهدتهم بغداد على عهد أبي غالب محمد بن خلف الملقب فخر الملك وزير بهاء الدين عضد الدولة قدم العرب بن بويه. ومن أجله صنف الكرخي كتابين الفخري في الجبر والمقابلة (: الكافي في الحساب . والكتاب االول أكثر أهمية ، ويلي في أه أهميته الكتاب الذي وضعه عمر بن ابراهيم الخيام (

١٠٤٥ – ١١٢٣م(في علم الجبر أما في الهندسة وعلم المثلثات فقد ترجم العرب كتاب اقليدس في الترجمة العربية التي نقلها االوروبيون إلى الالتينية في القرن وهي الهندسة. الثاني عشر . كذلك ترجم الطوسي) ت ١٢٧٤م(كتاب المعطيات إلقليدس، وهو في هندسة ألشكال الكروية ، ولكن العرب لم يقتصروا على معلومات اليونان في الهندسة وحساب المثلثات ، وإنما جددوا وأضافوا إضافات جديدة لم تعرف من قبلهم . فهم الذين أدخلوا المماس إلى علم حساب المثلثات ، وكان لهذه الخطوة أهمية عظمى في الرياضيات، حتى اعتبرها علماء الرياضة ثورة علمية خطيرة . كذلك أقام العرب الجيوب مقام االوتار ، وحلوا المعادالت المكعبة ، وتعمقوا في ابحاث المخروطات . وال شك في أن هذه المعلومات الجديدة التي جعلت العلوم الرياضية تتبوأ أهميتها في الحياة . ومن أبرز العلماء المسلمين الذين كتبوا في الهندسة وحساب المثلثات الخوارزمي ، وثابت بن قرة، والبتاني ، والخازن البصري ، وابن الهيثم ، والبيروني وارتقى أبو عبد هللا البتاني) ٨٥٠ – ٩٣٩م المعروف عند االوروبيين باسم Albategnus بعلم حساب المثلثات إلى أبعد مبادئه التي كان عليها أيام بطليوس السكندري، وذلك حين استبدل المثلثات بالمربعات في حل المسائل ، واستبدل جيب الزاوية بالقوس وهو الذي صاغ في حساب هي المثلثات النسب بالصورة التي نستخدمها آآلن . أما رسالة ابن الهيثم في حساب المثلثات فتسمى) شكل بني موسى (وهو يعلل هذه التسمية بأن ألشكال التي قدمها بنو موسى ببراهين، كتاب المخروطات وهو الشكل البيروني فكتب رسالة فى استخراج االوتار في الدائرة . ومعظم هذه المؤلفات العربية قام ألوروبيون بترجمتها إلى الالتينية منذ القرن الثاني عشر ، ونخص بالذكر اديالرد البائي الذي ترجم حساب المثلثات للخوارزمي سنة ١١٢٦م ، كما ترجم . من مؤلفات الهندسة اما معلومات العرب في الميكانيكا فهي واسعة وعظيمة ، تدل عليها بقايا االتهم ووصفهم لها في الكتب. وهنا أيضا اهتم العرب بترجمة كتابات اليونان ، واستمر هذا االهتمام حتى القرن الثالث عشر عند ما نجد الطوسي المين كمية كتاب الكرة المتحركة ال وطولوقس Utolycus ، ولكن العرب زادوا على هذه المعلومات حتى يرى بعض العلماء ألوروبيين أنهم اخترعوا رقاص الساعة واستعملوا البندول في قياس الوقت . ومعنى ذلك أنهم عرفوا الساعات ذات ألثقال التي تختلف كثيرا ا في المراجع.ً عن الساعات المائية ، كما يتضح من وصف ساعة المسجد ألموي التي ورد ذكره منهم وخالصة القول أن العرب قطعوا شوطاً بعيداً في الرياضيات ، فاستفادت أوروبا فائدة عظيمة في هذا الميدان. وإن المتأمل في كتاب من كتب العرب الرياضية ليأخذه العجب بما وصل إليه رياضيوا العرب من إتساع المعرفة ودقة البحث .فهذا الخوارزمي يتعرض لشرح المعادالت ذات الحدين

والثالثة حدود شرحاً علمياً وافياً ، ثم يتناول الجذور، وكيفية استخراج مساحة االشكال الهندية المختلفة كالمربع والمثلث والمعين والدائرة . وبعد ذلك ينتقل إلى مسائل معقدة ويحدد طرق حلها في دقة ومهارة تثير الدهشة الخ ... .) دور علماء العرب والمسلمين في استخدام االرقام وأثر ذلك على الحضارة االنسانية : تقديم أصبح موضوع استخدام االرقام العربية من الموضوعات التي تحتاج إلى إبراز دور علماء العرب المسلمين في تطوير هذه االرقام وأثر ذلك في الحضارة االنسانية .ر أحياناً بين أوساط المثقفين تساؤالت حول ما هو شكل االرقام ويثور العربية ، هل هي االرقام الحالية : ٨٧٦٥٤٣٢١ أما االرقام العربية المستخدمة في كافة أنحاء العالم وبعض دول المغرب العربي ولعل مصدر هذا التساؤل يدفعنا إلى دراسة نستجلي بها دور العرب في إستخدام هذه االرقام ، ونؤكد على الدور الحضاري لعلماء العرب المسلمين في استخدام هذه االرقام . ومن أجل هذا ال بد من تقسيم هذه الدراسة إلى االقسام التالية : عبر العصور. أوالً : استخدام االرقام ثانياً : استخدام االرقام عند العرب ثالثاً : توصيات الدراسة أوالً : : استخدام االرقام عبر العصور : الحضارات تتأثر الحضارة العربية االسالمية ، حضارة شأنها شأن كل بما سبقها من حضارات، وتترك بصماتها على ما يلحقها من حضارات . والعرب يعترفون بفضل الحضارات السابقة، لهذا فإن الحضارة العربية . االسالمية لم تكن وليد صدفة ، أو دون ترتيب سابق . والرياضيات ، ولنقل الحساب وبالتالي االرقام بصفة محدده وسوف أقدم شكل هذه االرقام عبر العصور عند المصريين القدماء والبابليين ، والصينيين ، واالغريقيين والرومانيين والهنود . ١ – المصريون : اتبع المصريون القدماء في نظام عددهم النظام العشري المستقي من عدد أصابع اليدين، وهو النظام المتبع آالن ، وكان هناك خانة االحاد والعشرات والمئات الخ ، ووضع المصريون رمزاً خاصاً للواحد في كل مرتبة من المراتب ، وكانوا يكررون هذا الرمز بمقدار قيمة الرقم في الخانة الخاصة به، وفيما يلي نوضح أشكال االرقام عند قدماء المصريين ، مع نموذج تطبيقي لذلك : لفنون : لقد أجمع كل الكتاب اإلغريق على أسبقية مصر الرياضية ، فقد ذكر أفالطون أن االلة توت بمصر كان مخترعاً كشف العلوم في عدة منها الحساب والهندسة والفلك ، وقال أرسطو إن مولد الرياضيات بمصر ألن طبقة الكهنة كان لديها من الفراغ ما يسمح بدراستها ، واستنتج هيرودوت بأن الهندسة بدأت بمصر ثم نقلت إلى االغريق وأول مرجع كما يذكر لنا علماء تاريخ الرياضيات)٢(، لدى المصريين القدماء في مجال الرياضيات هو قرطاس أحمس ، وقد عثر عليه ريندRhind سنة ١٨٥٨ وترجمه إيزنلورEisenlohr سنة ١٨٧٧ وهذب الترجمة بيتPeet وهذا القرطاس من عهد االسرة الثانية عشرة) ١٨٤٩ – ١٨٠١ ق . م (، ويعتقد برش

Birchأن ما ورد به من معلومات يرجع إلى سنة ٣٤٠٠ ق.م. وقد أسماه مؤلفه) إرشادات للحصول على معرفة كل االشياء سنة ١٩٢٣ ، ويحتوي الكتاب على خمسة أبواب ، وفيه ٨٧ مسألة موزعة على هذه االبواب الخمسة : الباب االول : العد وكتابة االرقام الباب الثاني : القواعد االربعة الباب الثالث : الكسور الباب الرابع : المربع والجذر التربيعي وحل معادالت الدرجة االولى والمتواليات الباب الخامس : الهندسة .٢

–البابليون : العصور كان وادي الدجلة والفرات أحد عروش المجتمع االنساني في االولى ، وفيما يتعلق بتاريخ أول كشف للوحات رياضية وفلكية مكتوبة بالخط السماري ، ، كتبت إحداها بين سنة ٢٣٠٠ ق . م . و ١٩٠٠ ق.م. وفيما يتعلق ، بالعد وكتابة االرقام ، استخدم البابليون الطريقة العشرية والطريقة الستينية ، وال توجد نماذج تحت أيدينا حالياً ٣(م، لنوضح شكل هذه االرقام . لنظام العد عندهم) ويرى الباحثون أنه ربما يكون للبابليين تأثير في إستخدام الهنود –٣ الصين : كان للصينيين الفضل في وضع أساس القيمة المحلية للرقم ، أو الخانات ، فمهدوا للهنود كشف االرقام الهندية التي نستخدمها اآلن ، وفيما بلي نوضح شكل االرقام الصينية : معارف الكهنة المصريين ، وبذلك نقلت االفكار المصرية عبر البحار الى بالد االغريق . وقد كانت طريقتهم في كتابة االعداد تشبه طريقة قدماء المصريين ، ثم استخدموا الحروف االبجدية ، ولذلك كان حسابهم معقداً ، وفيما يلي شكل االرقام عند االغريق : شكل االرقام عند االغريق وتشبه طريقة المصريين القدماء نظام جديد من االرقام باستخدام الحروف ويبلغ عددها ٢٧ حرفاً هـ – الرومان : لقد كانت طريقة كتابة االرقام عند الرومان طريقة خمسية عشرية ، دخلها الجمع والطرح، فالواحد يرمز له باألصبع أي بخط رأس ، والخمسة يرمز لها باليد الواحدة ذات االصابع الخمسة ، ولما كان اإلبهام مختلفاً ، عن يد عليا باقي االصابع فقد رسمت اليد هكذا ٧ ، ورمز للعشرة باليدين وأخرى سفلى هكذا x ثم اندمجت اليدان فأصبحتا x وهكذا . فالواحد الطرح ، يكرر مرتين لالثنين ، وثالث مرات للثالثة ، أما االربعة فقد استخدموا فيها ، فاعتبروا ٥ – ١ أي خمسة يسبقها واحد أي ١٧ ، وكذلك في التسعة ا وهكذا وفيما يلي شكل االعداد عند الرومان)٦ .)٦ – الهند : لقد جعل الهنود لكل رقم من االرقام التسعة االولى رمزاً خاصاً به ، واستخدموه نفسه الخانات االخرى ، وجعلوا رمزاً ليدل على خلو الخانة ، أي على كون الخانة صفراً ، والصفر معناها الخلو، ورمزوا اليه بدائرة خالية ، أو بها عاشراً شرطه أفقية أو رأسية أو نقطة هكذا : وقد أخذ العرب هذا النظام وعدلوه ونقلوه إلى الغرب انال وكان يجاور الهند قوم ذكرهم ابن النديم وهم أهل السند (، في كتابه الفهرست)٧(، بأنهم مختلفي اللغات مختلفي المذاهب ويقول : » بأن لهم اقالم عدة قال لي بعض من يجول بالدهم

أن لهم نحو مائتي قلم « ولذا كان ال بد للعرب من الحذر في اتباع النظام ألمثل في الترقيم ، ولعل ابن النديم يقصد بأهل السند فى ذلك الزمان أهل الهند والسند وقد أورد ابن النديم كذلك عن أهل السند طريقتهم في كتابة ألعداد بالحروف وفيما يلي نظام أهل السند : و ابتداؤه آب ج د هـ و ز ح ط فاذا بلغ الى أعاد الحرف ألول ونقطته تحته على هذا فيكون ي ك ل م ن س ع ف ص يزاد عشرة عشرة فاذا بلغ إلى صاد يكتب على هذا المثال وينقط تحت كل حرف نقطتين هكذ فيكون ق ر ش ت ث خ ذ ظ فاذا بلغ ظ كتب الحرف ألول من ألصل وهو هذا ا ونقط تحته ثالث نقط هكذا فيكون قد أتى على جميع حروف المعجم ويكتب ماشاء واضح أن الشكل الذي ورد في ابن النديم يشبه شكل الحروف المشرقية بكتابتها الحالية : ١، ٢، ٣، ٤ الخ ولكن مع خالف بسيط في شكل رقمي ٤، ٥. العرب والسند كانت لهم وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على حروف أبجدية متشابهة ، في الوقت الذي تعتبر فيه السند والهند منطقة واحدة (جغرافية واحدة (، وذلك في التاريخ القديم لألرقام المشرقية الحالية .النديم ويمكن أن يكون العرب أخذوا شكل ألرقام كما ورد في ابن ليصبح مع مرور الزمن شكالً وإذا نحن قارنا ألرقام المغربية باألرقام المشرقية لن تجد اختالفاً كبيراً بينهما، ويمكن كتابة ألرقام المغربية هكذا مقلوبة .لألرقام نرى أن شكل ٢، ٣، ٤ يمكن اعتبارها شكالً واحداً الشرقية مع إضافة خط واحد إليها أما رقم ١، ٦ ٧ ٨ ٩ فهي تشبه ألرقام المغربية . والخالصة أنه ال يوجد فرق كبير بين الطريقة المغربية والطريقة المشرقية ، وهو ما سيتضح لنا في نهاية الدراسة .. أما شكل الحروف عند الهنود وتطورها الى ما وصلت اليه آلن فيمثلها الشكل التالي ارقام براهمية) القرن الثالث ق . م) أرقام هندية) القرن الخامس ق . م) لغرب إلسالمي) ارقام القيار (القرن العاشر الميالدي القرن الحادي عشر الميالدي تطور االرقام عبر العصور التاريخية ثانياً : إستخدام ألرقام عند العرب والمسلمين يرجع الفضل ألكبر لتعاليم االسالم في اهتمام المسلمين بالرياضيات وكافة العلوم المختلفة ، وكانت هذه التعاليم وال تزال تحض على العلم وطلبه هـ فالعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة «، » واطلبوا العلم ولو بالصين ، كما توجه ألنظار الى السموات وما فيها ، وإلى ألرض وما عليها وتتطلب ألحوال الشخصية وما فيها من مواريث والمعامالت التجارية وما فيها من عقود إلى أجل مسمى ، معرفة التقاويم ، واألصول الحسابية والهندسية ، كما تتطلب العبادات معرفة مواقيت الصالة ، وتعيين سمة القبلة ، ومعرفة هالل رمضان ، و وقت الحج .. الخ ، مما يقتضي تتبع حركة الشمس والقمر ، كل هذا دعا إلى البحث وراء العلوم ، وخصوصا علم الفلك الذي يستلزم معرفة الرياضيات المختلفة من حساب وحساب المثلثات ، وهندسة

وجبر ، وكل ما يمت بصلة إلى علوم الطبيعة وما وراءه كيف اتصل العرب بالحضارات االخرى ؟ اتصل العرب باالغريق عن طريق السريانيين في آسيا الصغرى ، وبواسطتهم اتصلوا بمسيحي االغريق ، وعن طريق الرحالت واألسفار ، وعن طريق استدعاء الخلفاء لعلماء االغريق ، ونقلهم إلى اللغة العربية العلوم االغريقية ، كما اتصل العرب بالفرس والهنود ، واتصلوا بهم إتصاالً وثيق ، وبهذا تعددت ثقافات العرب وحضاراتهم وفي أيام عثمان بن عفان ، اً كان اتصال العرب بالهنود ، وفي أثناء فتح الحجاج الثقفي للسند ، ٧١٠ م ، وفي أثناء فتح أبي جعفر المنصور لكابل وكشمير سنة ٧٦٠م . ويرى الباحثون)٩(أن فضل العرب على االنسانية كبير وذلك لما يلي : ١ – كانوا حفظة أمناء للكنوز العلمية االغريقية ، وأبقوها سليمة مزدهرة ، وأنقذوها من الرومان ٢ – كانوا وسيلة إلظهار الكنوز العلمية الهندية التي ازدهرت في المشرق، في الوقت الذي ازدهرت فيه العلوم االغريقية في المغرب – . وصلوا بين العلوم االغريقية والعلوم الهندية ومزجوا – سليمة نقية إلى الغربيين حينما هبوا من سباتهم، وخلعوا عن أكتافهم رداء الخمول ، ونزحوا إلى االندلس حيث جامعات أشبيلية وقرطبة وغرناطة ، وإلى االندلس ، باحثين وراء هذه العلوم ، وتعلموا اللغة العربية ، ونقلوا ما غير أخذوه من العرب إلى اللغة الالتينية – – –أضافوا إلى العلوم التي أخذوها ، فتوحات علمية زاهرة ، وكشوفاً قيمة جديدة نسبت لغيرهم، وظن أنها كشفت بعدهم . قصة االرقام العربية ؟ – –ما هي – –ال شك في أن العرب والمسلمين شأنهم شأن أصحاب الحضارات االخرى يتأثرون بغيرهم ويؤثرون فيهم – – ولكن البعض يقع في الخطأ عندما يعتبر أن االرقام العربية أرقاماً هندية ، أو أن الصفر ليس عربياً ، أو أن االصح أن تكتب االرقام العربية –وليس : ٠ – –الصحيح الشكل االخير وليس االول .وهذا يرجع إلى أن االمور العلمية أصبح يختلط فيها الحابل بالنابل وأصبحت غير واضحة لكثير من الناس. ولكن القصة تبدأ عندما أطلع العرب على االنظمة المختلفة للترقيم عند الشعوب التي أخضعوها والتي كانت تربط بينهم وبينها أواصر الصداقة ، استحسنوا النظام الهندي ، وكان عند هؤالء ، أشكاالً متعددة ، فأخذ العرب وانتقوا منها ما رأوه مناسباً واكتفوا بطريقتين مختلفتين لكتابة االرقام – : ١ – الطريقة المشرقية ، واستعملها عرب بغداد ، وتطورت قلياالً حتى أصبحت االرقام التي نستعملها اآلن في مصر والعراق وسوريا ولبنان واليمن وفلسطين وبالد العرب وهي : ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨، ٨ ٩ ٢ – الطريقة المغربية واستعملها عرب االندلس ، وتطورت قليال – أصبحت االرقام التي تستعمل اآلن في بالد المغرب وهي : حتى 8, 7, 6, 5, 4, 3, 3, 2, 1. 0,9,وقد أخذ الغربيون الطريقة المغربية عن طريق االندلس. وال يزال المغاربة اآلن يستعملون طريقة

أجدادهم في كتابة األلرقام ، فال يظن ظان بأنهم يكتبون األلرقام االفرنجية ، وإنما الفرنجة هم الذين يكتبون األلرقام عن الطريقة المغربية، وال يزال الغرب يطلق على هذه األلرقام اسم األلرقام العربية ، بينما يطلق عليها العرب اسم االرقام الهندية، وغدا بعض الكتاب الغربيين يطلقون عليها اسم األلرقام الهندية العربية هي قصة الصفر لدى علماء المسلمين : ينكر كثير من الباحثين أن يكون الصفر « هندياً ، ويصر البعض اآلخر أنه عربياً . على والواقع أن الصفر وغيره من األلرقام ليس في شكله بقدر ما هو في قيمته الوضعية ، ويمكن بوساطتها أن نعبر عن أكبر عدد وأصغر عدد فيكفي أن تزيد في األلصفار عن يمين العدد ليكبر، وعن يمين مقام الكسر ليصغر. ويرى بعض الباحثين أن شكل الصفر عند الهنود يكتب دائرة فيها نقطة هكذا ، وكان ذلك في المدة األلخيرة ، أى خانة خالية ، وقد (عرب المشرق النقطة وتركوا الدائرة ، وأخذ عرب المغرب الدائرة وتركو النقطة ويرى البعض اآلخر أن الحساب المسلمين كانوا يعرفون الصورة الدائرة والخط االغريقية للصفر دائرة فوقها خط ويصل النساخ بين الذي فوقها فتصبح الهندي لكتابة األلرقام وعلى ذلك تصبح الصورة الكاملة للصفر لدى االغريق هي : ان كان يقتضي بوضع . خط فوق الرقم وعلى الرغم من هذا ، وكما قلت في بداية الكالم على الصفر أن العرب حددوا قيمة الصفر واستخدامه ، أما شكله ، فهو موضوع نقل حضاري وقبل النقل فهو اختيار من متعدد ، وتطويعه بالشكل األلخير ليصبح للعرب أرقاماً سواء كانت بالطريقة المشرقية أو بالطريقة المغربية . ثالثاً : توصيات الدراسة : بعدما تأكد لنا أن العرب كان لهم الفضل األلكبر في نقل نتائج حضارات من سبقهم إلى االنسانية ، وإن اهتمام العرب أنفسهم بما لدى االغريق والهنود نبه الهنود إلى استخدام النظام الحسابي المطور في شكله العربي األلخير وعلى ذلك فأنني أرى وأوصي بالتوصيات التالية : علي ١ – ينبغي أال نتمسك بالشكليات ونقول أيهما أصح الطريقة المشرقية وهي ٠، ٩، ٨، ٧، ، ، ، ، ، ، ، ، ٣ ٢، ١، أم الطريقة المغربية وهي : ١٠٩٨٧٦٥,٤,٣,٢,١ ولكن يجب أن نقرر أن كال الطريقتين عربيتين أما ما شاع في العالم فهو الطريقة المغربية وأطلق عليها األلرقام العربية ٢ – ينبغي أن نرجع في دراستنا وننبه االهتمام إلى فضل العرب وعلماء المسلمين في قيامهم بالدور الحضاري ونشير الى البيروني والخوارزمي واالقليدس فالبيروني في كتابه عن الهند يذكر بأمانة أنه لقي الهنود واليعقوبي ووجدهم يستعملون مجموعات شتى من األلرقام وأن ما أخذه العرب هو أحسن ما عند الهنود ، والبيروني عاش في الفترة ٩٧٣ – ١٠٤٨م وأول كاتب عربي كتب فى الحساب الهندي هو أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي الذي عاش في عصر المأمون، وكتاب الخوارزمي مفقود بالعربية ، ولكن وصل إلينا منه ،

بضعة كتب التينية هي ترجمة له أو أثر والخوارزمي عمل في مكتبة الخليفة المأمون في الفترة من ٨١٣ – ٨٣٣م واقدم وصف عربي تعرفه لالرقام الهندية نجده في كتاب اليعقوبي (التاريخ) الذي انتهى فيه إلى أحداث سنة ٨٧٢ م ، وقد وضعه سنة ٢٦٩ هـ – ٨٧٢ م ، وفيه يعطي صور االرقام الهندية المشرقية . وأقدم كتاب في الحساب الهندي وصل إلينا هو كتاب الفضول في الحساب الهندي ، ألبي الحسن أحمد بن ابراهيم االقليدس ، وقد كتبه في دمشق سنة ٣٤١ هـ) ٩٥٢ / ٩٥٣م- .)٣ إن ثلثي عدد االرقام في السلسلتين الهندية) المشرقية (والغبارية) المغربية (يكاد يكون شكلهما واحداً في السلسلتين ، وال سيما إذا ماعرف أن التطور اقتصر في بعضها على إنحراف زاوية رسمه أو على إنحناء مخالف ، أو على استطالة في بعض أجزائها أو اختصار كما في االرقام ،١ ٢، ٣، ٤، ٧، ٩ بعد – ينبغي التأكيد على أن كال الشكلين المغربي والمشرقي عربي . تعديالت على ال

دور علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الجبر

أول المؤلفين العرب في هذا العلم وأعظمهم شهرة ، محمد بن موسى الخوارزمي المتوفي سنة ٨٤٦ أو ٨٤٧م عاش في زمن الخليفة العباسي المأمون فأقامه على القسم العلمي في دار الحكمة حيث انقطع إلى المطالعة والتأليف، زاهداً في الدنيا إلى آخر حياته. والمشهور من كتبه اثنان و الحساب الهندي ، وقد وضعه سنة ٨٢٥م و ١ كتاب الجبر والمقابلة ، وقد وضعه حوالي سنة ٨٣٠م . والكتاب الأخير طبع بمصر سنة ١٩٣٩ م وقام بتحقيقه الاستاذان : الدكتور علي مصطفى والدكتور محمد مرسي احمد .

الجبر والمقابلة :

معنى الجبر والمقابلة هو إزالة الطرح من المعادلة، والمقابلة بين الكميات المتشابهة في طرفي المعادلة بأن تلقى الكمية من شبيهتها فلا يبقى منها إلا واحدة في أحد الطرفين. وهاتان العمليتان مع عملية الرد أساسيتان في حل المعادلات فمثلاً إذا نظرنا إلى المعادلة : MAY– ب س + ٢ جـ = س + ب س وبالمقابلة تصبح : ٣ جـ = س"

ولأهمية كتاب (الجبر والمقابلة ، فقد ظل مصدراً لعلماء الرياضيات في الشرق والغرب مدة طويلة ، وبقي إلى القرن السادس عشر الكتاب المعتمد هذا العلم ، له منزلة أصول اقليدس عند المهندسين وكتب بطليموس عند علماء الفلك . ويدل على قيمته عند العرب كثرة شروحه ومكانة شارحه العلمية

وأول من شرحه شجاع بن اسلم. واعترف باسبقية الخوارزمي في هذ المضمار . وشرحه أيضا : سنان بن الفتح الحاسب الحراني كما شرحه كثير من أهل الأندلس ، كما يقول العلامة ابن خلدون ..

بدا الخوارزمي فبين الأنواع الثلاثة من الحدود الداخلة في حل المعادلات من الدرجة الثانية فقال : (إني وجدت الأعداد التي يحتاج اليها في حساب الجبر والمقابلة على ثلاثة أضرب، وهي : جذور وأموال وعدد

مفرد لا ينسب إلى جذر ولا إلى مال .

فالجذر هو ما يرمز له بالرمز من

والمال هو س والعدد المفرد هو الخالي من س ، ومن م ثم ذكر المعادلات التي تحتوي على حدين من هذه الحدود ، وعدد انماطها الثلاثة ، وهي على الترتيب :

(١)أس = بس

(٢) اس" = جـ

(٣) ب س = جـ

وبعد أن شرح الخوارزمي المعادلات التي تحتوي على حدين ، اتى

على الحالة العامة في معادلات الدرجة الثانية حيث توجد ثلاثة حدود . وقد قسم معادلات الدرجة الثانية منقولة إلى المصطلح الرياضي الحديث ، كما

يلي :

(١)اس + بس = ج-

(٢) س + جـ = بس (٣) ب س + جـ = أس"

الحالة وبين حل كل نوع من هذه المعادلات وشرحه بأمثلة عددية ، وتنبه إلى التي يكون فيها الجذر (كمية تخيلية ، وذلك عندما يستحيل إيجاد قيمة حقيقية للمجهول (فالمسألة مستحيلة على حد تعبير الخوارزمي ثم تحدث عن الحالة التي يتساوى فيها جذراً المعادلة ، ويكون كل منهما مساوياً لنصف معامل (س) . ثم تحدث عن العمليات الأربع في الجبر، وعن كيفية ادخال المقادير الجبرية تحت الجذر التربيعي أو إخراجها . وأهم ما في الكتاب هو : المسائل الست ، والتي سيرد ذكرها بعد قليل .

في بن الحسن الكرخي وتورد المسألة الأولى مثالاً يغني عن بقية المسائل ، ونبين طريقة الخوارزمي في حلها، فالمسألة الأولى نحو قولك : (عشرة قسمتها قسمين فضربت أحد القسمين في الآخر ، ثم ضربت إحداهما في نفسه ، فصار المضروب في نفسه مثل أحد القسمين في الآخر أربع مرات).

وقد تأثر بها كثير ممن ألف في الجبر بعد الخوارزمي ، لا سيما محمد كتابه : الفخري) .

ثم يشرع في حل المسألة ويسمى الحل « قياساً ، فيقول : (فقياسه أن تجعل أحد القسمين شيئاً والآخر عشرة إلا شيئاً ، فتضرب شيئاً في عشرة ، إلا شيئاً ، فتكون عشرة أشياء إلا مالا ، ثم تضربه في أربعة – لقولك أربع مرات . فيكون اربعة أمثال المضروب من أحد القسمين والآخر، فيكون ذلك اربعين شيئاً إلا اربعة اموال ، ثم تضرب شيئاً في شيء وهو ا نفسه فيكون ما لا يعدل أربعين شيئاً إلا أربعة أموال فأجبرها بالأربعة الأموال وزدها على المال فيكون اربعين شيئاً تعدل خمسة أموال ، فالمال الواحد يعدل ثمانية أجذار ، وهو اربعة وستون ، جذرها ثمانية ، وهو أحد القسمين المضروب في نفسه ، والباقي من العشرة اثنان ، وهو القسم الآخر). أحد القسمين – في

أي أنه حل المسألة، حسب المصطلح الجبري الحديث كالأتي : نفرض أن أحد القسمين = س

فالآخر = ١٠ – س

اذن (١٠ – س) (١٠ – س) – ٤ س (١٠ – س) والطريقة الأخرى هي : نفرض أن أحد القسمين – س اذن القسم الاخر – ١٠ – س اذن س٢ – ٤ س (١٠ – م) س = ٤٠ س – – اذن . س ٤٠ س

وبقسمة الطرفين على (٥) س) ، ينتج أن س = ٨، وهو القسم الأول الآخر = ٢ . فالقسم

والطريقة الأخيرة التي اتبعها الخوارزمي ، كما رأينا في النص المنقول من كتاب و الجبر والمقابلة ..

ومن اهم القضايا الجبرية التي قام بها الخوارزمي أنه أعطى طريقة

جديدة لايجاد أحد جذري المعادلة ، وبهذا اضاف إلى عمل د ديوفانطوس)

الاغريقي اضافة هامة إذ لم يتوصل الأخير إلا إلى إيجاد جذر واحد لها . المعادلات لم يستعملها أحد قبله ، ، وهي : واستعمل أنماطاً ثلاثاً . من

(١) س٤ + ١٠ س = ٣٩ (٢) س + ٢١ – ١٠ س (٣) ٣ س + ٤ = س٢

وقد استفاد منها علماء الجبر بعده ، لا سيما وعمر الخيام ، وظلت معادلته الأولى (س٢ + ١٠ س = (٣٩) . القاعدة الذهبية في على الجبر لقرون عديدة كما يقول و كادينسكي) .

وبهذا وأمثال هذا المجهود العظيم ، أصبح الخوارزمي إماماً في علم الجبر، وصار اسمه علماً على اللوغاريتمات ، إذ اشتقت من اسمهوأتم عمل الخوارزمي (أبو كامل شجاع بن اسلم الحاسب المصري ، وظهر في القرن الثالث الهجري أو بين سنة ٨٥٠ وسنة ٩٣٠م.

ويظهر من كلام (القفطي، أن أبا كامل : كان فاضل وقته وعالم زمانه) وكتابه الذي اكمل فيه ما بداء الخوارزمي في اسمه : كمال الجبر وتمامه، ويعترف • يفضل السابق فيقول : (إن كتاب محمد بن موسى المعروف بكتاب الجبر والمقابلة، أصحها أصلاً وأصدقها قياساً . وكان مما يجب علينا من التقدمة والاقرار له بالمعرفة وبالفضل ، إذ كان السابق إلى كتاب الجبر والمقابلة والمبتدىء له ، والمخترع لما فيه من الأصول التي فتح الله لنا بها ما كان منغلقاً وقرب بها ما كان متباعداً وسهل بها ما كان متعسراً) وبين عمله في الكتاب الجديد فقال : (ورأيت فيها مسائل يدرك شرحها وإيضاحها ففرعت منها مسائل كثيرة ، يخرج أكثرها إلى غير الضروب السنة التي ذكرها الخوارزمي في كتابه ، فدعاني الى كشف ذلك وتبينه، فألفت كتاباً في الجبر والمقابلة) .

FESA

ثم جاء أبو عبدالله محمد بن عيسى المعروف بالماهاني ، وهو من علماء الرياضيات المعروفين في بغداد أواخر القرن الثالث الهجري . وكان له قدر معروف بين علماء الاعداد والهندسة. ومن أهم أعماله حل ما يسمى بمسألة ارخميدس) ((Archimedean Problemبواسطة معادلة تكعيبية وهو أول من فعل هذا على تعبير (كاجوري ، والمعادلة التي وضعها هي :

س + ب جـ = هس

ولذلك عرفت هذه المعادلة بين علماء العرب والمسلمين بمعادلة

الماهاني .

وفي عصر و الماهاني ، ظهر سنان بن الفتح الحراني وله مؤلفات في الحساب والجبر أشهرها : : المكعب والمال والاعداد المتناسبة ، وتوجد منه مكملاً لعمل نسخة بدار الكتب المصرية . ويعد عمل (الحراني) في الجبر الخوارزمي ، مع زيادة في المنهج الجديد. إذ أن الجديد في هذا العمل هو أنه بناء على أساس النسبة ويشرح منهجه الجديد فيقول : أعداده

إذا خرجت على النسبة ، على التوالي ، والحساب تجري على أن تسمى الأول : عددا ، والثاني : جذرا ، والثالث : مالا ، والرابع : مكعباً، والخامس : مال المال، والسادس : مداد، والسابع : مال المكعب، ثم تكون النسبة الثامنة والتاسعة ، ومن الأمثلة على ذلك قوله : (وإن قدر العدد والجذر من المال. كقدر الجذر

والمال من المكعب ، وكقدر المال والمكعب من مال المال ، وكقدر المكعب ومال المال من المواد . وهذا حسب التعبير الرياضي الحديث ، كالآتي .

١ + س س + س" س" + س س + س س س ويلاحظ أن هذه الصورة مطابقة لاحدى صور معادلات الدرجة الثانية

التي عالجها الخوارزمي وهي :

ب س + جـ = أس" وبوضعها في صور نسبة تصبح :

ب س + جـ = ١ ويوضع

اس

ا – ب – جـ = ١ تصبح النسبة :

وبضرب طرف النسبة في س يمكن الحصول

على الصور التي عرضها الحراني وهي : س + ا س + س = وبمرعاة ترتيب الحدود حسب قوى س يمكن وضعها في الصورة .

سماء الشرقي

س من

... الخ

وفي أو

المتوفي في

وله فجر

ومن علماء الرياضيات المكملين لأعمال العلماء السابقين ، أبو الحسن ثابت بن قره المولود بحران سنة ٢٢١ هـ والمتوفى ببغداد سنة ٢٨٨ هـ . وهو متعدد المواهب. إذ برع في الهندسة والحساب والجبر والطب والفلك والفلسفة وكان بحسن السريانية والعبرية واليونانية ، جيد النقل إلى العربية .منها سماع الجبر والمقال قسمان الأول والحساب

والذي يتصل بهذا البحث جهوده في حل بعض المعادلات التكعيبية بطرق هندسية ، استعان بها بعض علماء العرب في بحوثهم الرياضية في القرن السادس عشر الميلادي . ومن مآثره أنه اشتغل بالهندسة التحليلية فأجاد فيها كل الاجادة، وله منها ابتكارات لم يسبق إليها وقد وضع و الجبر، بين فيه علاقة الجبر بالهندسة . وله طريقة مبتكرة لايجاد و الاعداد المتحابة ، Amicable numbers شرحها و في كتابه تاريخ كتاباً)

وهو أول من استعمل (الظل، في حل المسائل الرياضية ، وأوجد طريقة جديدة لحساب جداول الجيب وكانت جداوله دقيقة .علماء الشرق والغرب .. وله ماثر في الهندسة والمثلثات كان لها أكبر الأثر فيمن جاء بعده من وفي أواخر القرن الخامس ظهرت شهرة محمد بن الحسن الكرخي

(المتوفي في حوالي سنة ٥٠٠ هـ). وله في الرياضيات ثلاثة كتب هي : الفخري والكافي والبديع . والأول فيه على مسائل تحل بطرق جبرية . +٢ من = وحل معادلات من النمط الآتي

أهمها . والكتاب فيما يبدو من أبوابه وأقسامه ، أنه في الجبر والحساب ، ولذلك سماء بعضهم (الفخري في الحساب : . وسماء آخر : (الفخري في الجبر والمقابلة .. ويظهر أن السمة الغالبة على الكتاب هي السمة الجبرية ، وهو قسمان :

الأول : يشتمل على خمسة عشر باباً ، يتناول فيها بعض نظريات الجبر والحساب . والأعمال الأربعة. ويتناول مسائل في النسبة واستخراج الجذور الصماء ، وضربها وقسمتها ، وفيه قواعد جديدة في التربيع والتكعيب . وأتى

وفي الباب الثاني عشر تحدث عن : المسائل الست، التي سبقه اليها هـ الخوارزمي ، أما الباب الثالث عشر فقد اشتمل على معادلات من الدرجة

الرابعة ، وغيرها .

فقد حل المعادلة :

م + ٥ س٢ – ١٢٦ والقانون الذي استعمله هو :أما القسم الثاني فقد تضمن ما يزيد على (٢٥٠) مسألة تؤدي إلى معادلات من الدرجة الأولى والثانية ودرجات أعلى .. كما نجد في هذا القسم حلولاً للمعادلات غير المعينة و أو السيالة ، وهو مبدع مبتكر في معظم الأساليب والطرق التي اتبعها في حل مسائل النوعين من المعادلات . ففي المعادلات المعينة : أتى على مسائل تؤول في حلها إلى

المعادلة :

وقد حلها بفرض (ص) – س + ١

وأتى على مسائل نزول في حلها إلى المعادلة س + ٥ س + = ص

وحل المسألة الآتية : و ما العدد الذي لو أضيف اليه مربعه لكان الناتج مربعاً ، ولو طرح منه مربعه لكان الناتج مربعاً ؟ وهي تؤول إلى المعادلتين : س + س = ص" س – س – ع

أما المعادلات غير المعينة أو السيالة ، هي المعادلة التي تكون مجموعة الحل ذات عناصر متعددة وهي عكس المعادلة المعينة فهي التي تكون مجموعة الحل ذات عنصر واحد – فمن الأمثلة على ذلك المسألة الآتية و أوجد عددين بحيث يكون الأول مع مربع الثاني مربعاً ، والثاني مع مربع الأول مربعاً .

وهي تؤول في الصورة الرمزية الى : س + ص" = ط"

ص + س" = ن

حيث العددان هما س ، ص .وقد ترجم المستشرق (ويبكه Wocpckeكتاب و الفخري ، إلى الفرنسية سنة ١٨٥٣ م ، فقال عن اطلاع ومعرفة : (أن الكرخي كان مبتكراً في حلوله ، وأنه على الرغم من اتباعه – في بعض المسائل – طرقاً تشبه طرق الهنود ، إلا أنه يمكن القول، أن الكرخي يمثل التفكير العربي المستقل في معالجة المباحث الرياضية أو في حلول المعادلات المعينة ، وغير المعينة) السيالة) .

ومن الذين نالوا شهرة واسعة في الرياضيات عمر الخيام الذي كان من اعظم العلماء في عصره وكان معروفاً بين معاصريه بأنه عالم بالرياضيات والفلك وفيلسوف ولذلك لقب بالحكيم وهو من أبناء «نيسابور، ألف في الجبر والهندسة فكتابه في الهندسة المسمى بـ (رسالة في شرح ما اشكل من مصادرات كتاب اقليدس، باق، وقد حققه الاستاذ الدكتور عبد الحميد صبرة وطبع بمصر سنة ١٩٦١ م .

وماذا يريد الخيام بالمصادرات ؟ إنه يريد بها النظريات في اصطلاحنا الرياضي أو المسائل ، ومثال ذلك قول الخيام : (وقد أتى – أي : اقليدس – بمصادرة عظيمة ولم يبرهن عليها وهي قوله : إن كل خطين مستقيمين يقطعان خطاً مستقيماً على نقطتين خارجيتين منه في جهة واحدة على أقل من زاويتين قائمتين فإنهما يلتقيان في تلك الجهة). .

وقد ذكر في هذه الرسالة كل المسائل التي طرحها اقليدس بدون

برهان ، ثم أتى عليها واحدة واحدة فبرهن عليها هندسياً ، وجعل الكتاب في ثلاث مقالات كل مقالة تحتها مسائل سمي كل مسألة شكلاً . أما كتابه الجبري فاسمه : و مقالة في الجبر والمقابلة ، وقد ترجمه

(ويبكه) ونشر في باريس سنة ١٨٥١ م .. وله كتاب و ميزان الحكمة ، بالاضافة إلى رباعياته المشهورة ، دون كتبه العلمية !! ومآثره في علم الجبر تتجلى في أنه من أوائل الذين حاولوا تقسيم المعادلات إلى أقسام متنوعة. وجعل معادلات الدرجة الأولى والثانية والثالثة إما بسيطة وإما مركبة. ومن مآثره في الجبر أنه حل المعادلات التكعيبية

هندسياً . وهي :

(م (١) س + داس – دح

، حـ) في المعادلات الآتية اعداد موجبة صحيحة :

وإن جذور هذه المعادلة هو الاحداثي الأفقي لنقطة تقاطع الخطين

البيانيين للمعادلتين :

س" = د ص ص س (حـ س) (٢) س + م م = حـ"

وجذورها هو الاحداثي الأفقي لنقطة تقاطع الخطين البيانين

للمعادلتين :

م ص = حا = حـ (س + م)

(٣) س + م ص + دا س = د حـ

وجذورها هو الاحداثي الأفقي لنقطة تقاطع الخطين البيانين للمعادلتين :

ص – (س + م) (حـ – س) م (ص) – دح

ومن مآثره أنه وضع قانوناً لحل معادلات ذات الدرجة الثانية التي تكون

من النمط :

س + دس =والقانون هو :

وأوجد قوانين أخرى لحل المعادلات التي تكون على النمط الأتي : س + ح= دس

دس + حه س؟

وقد تمكن الخيام من إيجاد مفكوك المقدار الجبري ذي الحدين عندما تكون قوته مدفوعه إلى الأسس : ٢، ٣ ٤ ٥ ٠٦ .... أو أكثر بوساطة قانون كشفه هو .

وقد توصل الرياضيون قبله إلى فك المقدار الجبري ذي الحدين ، إذا كان أسه (٢) ، أما ما فوق ذلك فاول من توصل إليه و الخيام .. وإذا توجهنا شطر المغرب والأندلس فإننا نجد عالمين كبيرين :

الأول هو (ابن البناء المراكشي : أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان

الأزدي (ت ٧٢١ هـ) ، والثاني (القلصادي، أبو الحسن علي بن محمد بن

علي القرشي البسطي (ت ٨٩١هـ)، وه بسطة ، في الأندلس . أما وابن البناء المراكشي ، فقد كان غزير الانتاج في العلوم الرياضية ، إذ ألف ما يقرب من سبعين رسالة وكتاباً في الجبر والهندسة والحساب والفلك وغيرها .

وعمله الرئيسي يقوم على كتابه و تلخيص أعمال الحساب ، وله (كتاب الأصول والمقدمات في الجبر والمقابلة ، وه رسالة في الجذور الصم وجمعها وطرحها . وأهمية الكتاب ترجع إلى أن صاحبه ، استطاع أن يطور طريقة حساب

الخطأين والمتبعة في حل معادلات الدرجة الأولى ، ووضعها بشكل قانون جبري ويمكن وضع القضية على الصورة الاتية : إذا كان م س + ب = صفرا وفرضنا أن س = حـ ولكن عند التعويض قد لا ينتج أن الطرف الأيمن يساوي صفراً ، ولنفرض أنه – هـ ح ب هـ م ح م م = هـ أي : م (حـ – س) = هـ (م عامل مشترك) وبالتعويض في المعادلة الأولى ينتج ان هـ حـ (هـ – ب) – حد من هـ – ب هـ – ب وقد أوجد (ابن

البناء ، طرقاً لايجاد القيم التقريبية للجذور الصم . فقد أعطى قيمة تقريبية للمقدار : ولهذا كله كان كتاب (التلخيص) موضع اهتمام العلماء في المشرق

ولكن م س + ب – . (كما في المعادلة الأولى) وبالطرح بنتج أن :

لاس – ص والقيمة التقريبية لهذا المقدار هي :

ص ص + ٢ ص +

والمغرب قديماً وحديثاً .

فقد تناوله بالشرح كثيرون، أولهم : عبد العزيز بن داود الهواري تلميذ ابن البناء وشرحه محمد بن زكيريا الاشبيلي . وشرحه و القلصادي، مرتين

ويرى و كاجوري، أن عمليات القلصادي بالاضافة إلى أعمال ابن البناء في الجذور التكعيبية أبانت طرقاً لايجاد الجذور الصم بكور متسلسلة .

فمن هو فمن هو القلصادي ؟ وما هي مآثره في الجبر؟ أما و القلصادي، فهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي

درس في و بسطة ، مسقط رأسه في الأندلس ، ثم في و غرناطة ، ورحل إلى (الحجاز، ثم عاد إلى غرناطة ، ولكنه رحل بعد فترة إلى ، باجة ، من أعمال تونس ، وتوفي هناك سنة ١٤٨٦م.

تتركز أهمية و القلصادي، في أنه أبدع في د نظرية الاعداد، وله فيها ابتكارات وأهم مؤلف له كتاب : كشف الجلباب عن علم الحساب ، وهو من أشهر مؤلفات الفلصادي، وأكملها ، يقع في أربعة أجزاء وخاتمة ، وكل جزء في ثمانية أبواب والجزء الرابع منه تغلب عليه السمة الجبرية . وقد هلب كتاب كشف الجلباب في كتابه وكشف الأسرار عن علم حروف الغبار (علم الحساب) .

وفي هذا المؤلف استعمل (القلصادي، الرموز الجبرية فقد استعمل

لكلمة الجذر الحرف (حـ).

وللمجهول الحرف الأول من كلمة شيء ، (ش) ولمربع المجهول الحرف الأول من كلمة مال (م) ولمكعب المجهول الحرف من كلمة كعب (ك) ولعلامة المساواة الحرف (ل) وللنسبة ثلاث نقط (.). وقد اعطى : القلصادي، قيمة تقريبية للجذر التربيعي للكمية (س" +

ص) والقيمة التقريبية هي :٤ ص ٢ + ٣ س ص ٤ م ٢ + ص

وأكمل القلصادي، عمل و ابن البناء، في تطوير طريقة حساب

الخطأين .

Double False Position المستعملة في حل معادلات الدرجة الأولى . وقد أبان مؤرخو الرياضيات أهمية ابتكارات الرياضي (الفلصادي ، أما كاجوري ، فيرى أن استعمال القلصادي للرموز دفع الرياضيين من بعده إلى سلوك ما أسماء و الرموز الجبرية ، أما (جينتر، فيرى أن إيجاد القلصادي للقيمة التقريبية للجذر التربيعي في الكمية (س + ص) ، أوضح الطريقة التي يمكن بها استخراج الجذور الصم بصورة متسلسلة

المراجع

١ – ابن النديم – الفهرست ٢– ابن خلدون – المقدمة

- الخوارزمي – الجبر والمقابلة

- عادل ابنوبا – أخيار الجبر هـ – قدري طوقان – تراث العرب العلمي – العلوم عند العرب ٦– القفطي – – اخبار العلماء بأخبار الحكماء .

خامسا : علماء الحضارة العربية الإسلامية والطريقة العلمية العلم هو الجسد المترابط للمعرفة المنظمة المنهجية المبنية على الحقائق، والتي يتم الوصول إليها بالمناهج الموثوق بها ، ويتم التعبير عنها بالقياسات على قدر المستطاع . والطريقة العلمية أو المنهج العلمي لا يتم إلا بوجود العقل المفكر، والمقصود بالعقل هنا ملكة التفكير التي وهبها الله سبحانه وتعالى لعباده وميزهم بها عن سائر المخلوقات .

والعقل البشري من أكبر الطاقات التي مكنت الانسان وساعدته على التمييز بين الأشياء وإدراك خصائصها واستنتاج فوائدها. وعلى هذا الأساس فالهدف من التربية العقلية هو مساعدة الفرد وإعداده للتفكير السليم ، والقدرة على النظر والتأمل حتى يستطيع أن يحكم على الأشياء حكماً قوامه الصدق والعدل، ويمكنه أن يفهم البيئة المحيطة به كما يمكنه الاستفادة من تجاربه وتجارب الغير ، وهذه نقطة هامة تستشعر الانسان المسلم وتحثه على الانفتاح على غيره من سائر الأمم المتقدمة ، لأنه ليس هناك تناقض بين الدين وأسلوب التفكير العقلي .

الانسان عندما يولد يكون خلوا من كل علم . وكل علم يوجد لديه في مستقبل حياته إنما يحصل لديه عن طريق الاكتساب من بيته ، وفي ذلك يقول الرسول الأعظم : (وإنما العلم بالتعلم ، لأن الانسان يولد مزوداً بالاستعداد والقوى والأدوات التي يمكن بها أن يعلم ويعرف . يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز :(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً . وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) والحقيقة أن نمو الخصائص الانسانية التي تميز الانسان عن الحيوانات وضبط دوافعه وتهذيبها وإنارة العقل بالشرع لا يتم كل ذلك بشكل صحيح بدون التربية السليمة والملائمة لطبيعة الانسان .

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات عن خلق السماوات والأرض والنفس والحياة والسلوك الانسان . وقد أثبت العلم الحديث بقوانينه ونظرياته صدق هذه الآيات بالدليل العلمي التجريبي ، كما أن الاكتشافات العلمية الحديثة قد ساعدت على فهم القرآن وتفسير آياته بما يتفق وروح العصر. وتعبر أولى آيات القرآن الكريم عن أهمية العلم في الاسلام ، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم)

ثم نزلت آيات أخرى كثيرة تتضمن حثاً للمسلمين وتشجيعاً لهم على تحصيل العلم ، كما تتضمن تميز الذين أوتوا العلم عن غيرهم ، وتمجيداً لهم وتزكية، ويتمثل ذلك في قوله تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) . وكان الرسول الأعظم حريصاً على بناء أمة مستنيرة متعلمة لها قوة الحجة والقدرة على الاقناع، ولهذا كان يسعى إلى نشر التعليم بين العرب ، وفي أحاديثه صلى الله عليه وسلم ما يؤكد ذلك : « اطلب العلم من المهد الى اللحد » و « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . . والعلم الفرض هذا هو العلم الذي لا يستغني عنه المسلم في حياته . وأما العلوم التي يحتاجها بعض الأفراد دون الآخرين مثل الطب والصيدلة وغيرها من العلوم التي إذا خلا منها بلد لحق الضرر والأذى ببعض أفراد أهل البلد كانت هذه العلوم فرض كفاية يأثم الجميع أهل البلد إذا خلا البلد من أي علم منها ، يسقط الاثم عن الباقين إذا وجد في البلد ، من يتخصص بهذه العلوم إلى الحد الذي يكفى حاجة أهل البلد من هؤلاء المتخصصين .الحد اللازم لحاجة الناس فيعتبر من علوم الفضيلة. وأما التعمق في علوم فرض العين وعلوم فرض الكفاية عن الحد اللازم لحاجة الناس فيعتبر من

وتطبيقاً لما جاء في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول الأعظم فقد نشط العرب المسلمون في كل ميدان من ميادين النشاط البشري في العلم والعمل . في الحرب والسياسة ، في الفقه والتشريع ، وما أسرع ما هضم المسلمون علوم من سبقهم من الشعوب والحضارات ، فبرعوا في الطب والكيمياء والفلك والرياضيات ، ولم يكتفوا بذلك بل أضافوا إلى كل فرع من هذه الفروع إضافات علمية تنسب إليهم ، فبفضل جهودهم العلمية تقدمت المعرفة الانسانية وأثرت تأثيراً عظيماً في الشرق وفي الغرب ، ولعل أعظم آثار العلم الحديث هو المنهج العلمي في التفكير والبحث أو ما يسمى بـ (الطريقة العلمية) أو (المنهج العلمي) فلولا هذا المنهج العلمي لما استطاع العلماء أن يتوصلوا إلى الكشف عن عدد من أسرار الطبيعة ، وحقائق الكون المجهولة ، ويسيطروا على بعض ظواهر الطبيعة ويطبقوا قوانين العلم عملياً فينتجوا هذه المخترعات التي أغنت حياة الانسان ويسرتها . كما انتجوا وسائل الهلاك والدمار الشامل، وينسب اكتشاف منهج البحث العلمي ، ووضع أسسه الأولى ، إلى الفيلسوف الانكليزي فرانسيس بيكون (١٥٦١ – ١٦٢٦) والعالم الايطالي غاليلو (١٥٦٤ – ١٦٤٢ م) .

لقد وضع عدد غير قليل من علماء العرب الأفذاذ قواعد هذا المنهج النظرية وطبقوه عمليا في مؤلفاتهم ومراصدهم، ومختبراتهم . فعلى سبيل المثال كان أبو الحسن بن الهيثم (٩٦٥ – ١٠٣٩م) يعتمد المنهج العلمي في أبحاثه. فكان يعتمد على الاستقراء أولاً, وعلى القياس ثانيا وكان اعتماده في الاستقراء على الواقع ، ولكن ليس الواقع الذي يتيسر إدراكه ومعرفته بالمشاهدة البسيطة ، بل الذي تتطلب معرفته الاستعانة بالأجهزة والآلات أيضاً. كان يعني بوصف تلك الآلات والأجهزة ، وبيان صنعها وتركيبها واستعمالها. وقد أجمل ابن الهيثم عناصر طريقة البحث العلمي في مقدمة كتابه « المناظر) قال : ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات وتصنع أحوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الأبصار ، وما هو مطرد لا يتغير نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب انتقاد لمقدمات والتحفظ في النتائج ونجعل غرضنا في جميع ما نستقر به ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ؛ ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء . أما منهج جابر بن حيان ت ١٩٨ هـ / ٨١٣م العلمي فكان يعتمد في أبحاثه وتجاربه المنهج العلمي الدقيق هو نفس المنهج المتبع الآن في المعامل والمختبرات ، فقد كان يهتم بالتجربة اهتماما كبيراً ، ويحث على أجرائها بدقة ويدعوا إلى التأني وترك العجلة . وكان يقول : أن واجب المشتغل بالكيمياء هو العمل وإجراء التجربة وإن المعرفة لا تحصل إلا بها وكان يطلب من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية ألا يحاولوا عمل شيء مستحيل أو عديم النفع وعليهم أن يعرفوا السبب في إجراء كل عملية ، وأن يفهموا التعليمات جيداً . ويتشدد جابر في منهجه العلمي التجريبي. فهو يقصر نفسه على مشاهداته التي تؤيدها التجربة ، إذ قد تكون الظاهرة المشاهدة حدثاً عابراً لا يدل على إطراد في الطبيعة . وهو يوضح منهجه هذا بقوله : (يجب أن تعلم أنا نذكر في الكتب ما رأيناه فقط دون ما سمعناه أو قيل لنا أو قرأناه – بعد أن امتحناه وجربناه فما أوردناه وما بطل رفضناه – وما استخرجناه نحن أيضاً وقايسناه على أقوال هؤلاء القوم

ويطلق جابر بن حيان اسم (التدريب على ما يسميه العلماء اليوم التجربة) وهو يجعل إجراء التدريبات شرطاً أساسياً للعالم الحق . وفيما يلي تجربة أجراها جابر تدل على دقة ملاحظته ، وعلى نهجه العلمي يقول ٦ فيها : – كان لدي حجر ممغطس – أي مكتسب قوة المغناطيس – يدفع قطعة من الحديد وزنها مائة درهم وحفظته زمناً طويلاً . ثم جربته على قطعة أخرى من الحديد فلم يرفعها . فظننت أن هذه القطعة الثانية من الحديد قد تكون أكبر وزناً من القطعة الأولى . فوزنتها ووجدتها أقل من ثمانين درهماً . فاستنتجت أن قوة

الحجر الممغطس قد نقصت على الرغم من ثبات وزنها .. فجابر في هذه التجربة لا يكتفي بمجرد الملاحظة والفرض ، وإنما يجري إختباراً ليتأكد من الفرض الذي توصل إليه أول الأمر .

وهذا أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (٨٦٥ – ٩٢٣ م) فقد درس الكيمياء دراسة تجريبية ، وألف ما يزيد على مئتي كتاب ورسالة في الطب والفلسفة والرياضيات والكيمياء والعلوم الطبيعية . وهو أول من كتب عن الجدري والحصبة كتابة علمية دقيقة ، وله طريقة سليمة في تعليم الطب وفحص المرضى ، فكان يأخذ تلاميذه ويمر على المرضى واحداً واحداً في المستشفى . فكان يتقدم أحد التلاميذ لفحص المريض فيسأله عن مرضه فيشخصه . فإذا عجز التلميذ عن ذلك تقدم تلميذ آخر . فإذا عجز جميع التلاميذ عن التشخيص الصحيح تقدم الرازي ففحص المريض وشخص المرض ، ووصف العلاج وشرح ذلك شرحاً مفصلاً للتلاميذ . وبهذا الأسلوب فاق الرازي جميع من تقدموه في تدوين ملاحظاته السريرية لأربعة وعشرين مريضاً ، بأسمائهم وأعراضهم ومعالجاتهم ونتائجهم .

والحقيقة أن أهمية الطب العربي إنما تقوم بالدرجة الأولى على المعلومات السريرية التي جاؤ وا بها ، فإن ذلك كان إضافة مهمة ألى المعارف البشرية في الطب.

وكان الجاحظ (١٥٠ – ٢٥٥ هـ) يمتلك عقلاً قوياً لا يسع ولا يتقبل الخرافات ، بل هو يهزأ من يقبلها ويدخلها في حسابه . وهو في كثير من الأحيان يقف على الاعتقاد حين يجرب ويشك ويدعو إلى الشك حتى تثبت صحة النظرية . في الوقت كان مصدره أرسطو . وهو لا يقبل بالحواس ، حيث يرفضها لأنه يعتقد بأنها معرضة للخطأ مهما أبدت مظاهر الوجود أو أحداث الحياة للانسان من خلل الحواس ، حيث أن الواقع يقترن دائما بالعقل، والعقل دائما يعتمد الاستنتاج والاستدلال والمقارنة والمقايسة والمفارقة. وهذه جميعا تستند إلى استخلاص الحقيقة واستقراء النتيجة. وهذا مما جعل الجاحظ متحفظاً في قبول الغرائب التي سمع عنها أو طالعها في مؤلفات الآخرين فهو لا يرفضها ولا يتعبطها اعتباطاً وإنما يقف منها بين ذلك موقف الملتمس لوجه الحق لا يعنيه أن يكون ذلك الحق غريباً أم لا.

ومن هنا اتبع الجاحظ في كتابه الحيوان نهجاً وأسلوباً عقلانياً إختيارياً يقوم على المعاينة والمشاهدة والاختبار عندما تقتضي الحاجة لذلك . وبهذا الأسلوب والنهج الذي اختطه الجاحظ لنفسه ، استطاع أن

يسبق العصر الذي عاش فيه في غياب الوسائل العلمية التطبيقية التي تواكب البحوث النظرية كما هو متبع الآن في مراكز البحوث ومعاهد الدراسات التطبيقية ذات الاختبار التجريبي .

قد يظن البعض أن الجاحظ كان كاتباً حاول أن يصنف مؤلفاً في علم الحيوان على غرار ما قام به من سبقه من علماء اليونان كأرسطو ، ويكون ذلك المؤلف مجرد سرد لأقوال قيلت ولقصص سردت ، ولكن هذا العالم العربي خرج عن هذا التقليد فوضع موسوعته العلمية هذه في الحيوان بعد دراسات واختبارات وبحوث اعتمد فيها على أشخاص موثوق بهم من النواحي العلمية والفلسفية وعلى نفسه شخصياً.

ولما كان العلم في العصر الذي عاش فيه الجاحظ في طفولته المبكرة ، ولعدم توافر ما لدى علماء العصر الحديث من أساليب وأدوات ونظريات ليصل إلى نتائج يقينية ذات إطار علمي ثابت. وبالرغم من كل ذلك فإنه استطاع أن يبذر البذور الأولى لمثل هذه الذي كانت المعارف التي لم تكن لها أهمية تذكر على صعيد التطور الحضاري. وان مثل هذه البحوث التي تدل على باع الجاحظ وعقليته الموسوعية الشاملة واصالته في كل ما طرقه وهي تدعو الى الدهشة وتشير الى الروح العلمية التي كان يمتلكها اكثر علماء العرب في البحث والتقصي وتنم عن عمق جذور الحضارة العربية الاصلية .

إن الروح العلمية العالية التي كان يمتلكها الجاحظ برهان آخر على ما قدمته الأمة العربية من رصيد وزخم عظيمين في الثقافة والفكر العلمي والفلسفي.

وبعد هذا العرض لوضع علماء العرب للطريقة العلمية وتطبيقهم لها ، نعود الآن لتوضيح : قواعد الطريقة العلمية والخطوات المتبعة فيها وتأثر علماء الغرب بمنهج البحث العلمي عند العرب، وبناء قواعد المنهج العلمي الحديث على أسس منهاج العرب .

يهدف المنهج العلمي في البحث والتفكير إلى معرفة طبيعة الأشياء وفهم القوانين العامة التي تخضع لها وتسير بموجبها على ما عليه في الواقع ، ويتبع الباحث العلمي الخطوات التالية للوصول إلى التفسير الصحيح الظاهرة من الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية :

الخطوة الأولى : يستوحي الباحث من مشاهداته لهذه الظاهرة وما يماثلها فرضاً يفرضه لنفسه ثم يأتي بنتائج لهذا الفرض ، أي بيان أسباب حدوثها وطبيعتها ، والظروف المحيطة بحدوثها .

الخطوة الثانية : يستنبط من هذا الفرض نتائج تترتب عليه من الوجهة النظرية الصرفة ، ولكن هذا العالم لا يعتبر النتائج التي توصل إليها صحيحة بصورة نهائية قبل أن يقوم بالخطوة التالية .

الخطوة الثالثة : يعود إلى دراسة الظاهرة الطبيعية من جديد ، فيمتحن النتائج التي توصل إليها على ضوئها ليرى هل تصدق أو لا تصدق على

ضوء مشاهداته الجديدة . فإن صحت نتائجه على ضوء الاختبار والفحص الجديد ، يتحول الفرض الذي افترضه إلى قانون علمي يستخدم في التنبؤ بما سيحدث فيما يتعلق بهذه الظاهرة أو أن ظروفاً بعينها توفرت . أي إذا حدثت الظروف المعينة التي أنتجت هذه الظروف أو أن ظروفا بعينها توفرت . أي إذا حدثت الظروف المعينة التي أنتجت هذه الظاهرة ، فإن الظاهرة بعينها سوف تتكرر فطريق السير إذن هو هذا : مشاهدات توحي بفروض ، ثم استنباط للنتائج التي يمكن توليدها من تلك الفروض ، ثم مراجعة هذه النتائج على الواقع ، وعندئذ فأما أن نقبل الفروض ، أو نرفضها تبعا لصدق نتائجها على الواقع». وتسمى الخطوة الأولى والثالثة (الاستقراء) ، لأن في كلا العمليتين مشاهدة الوقائع العينية ، أي حصرها، ودراستها وفحصها . وتسمى الخطوة الثانية : (الاستنباط) . وهي عملية توليد النتائج واستخراجها من الفروض . وكان التفكير القديم يعتمد على الاستنباط ، فقد كان المفكر يعتمد على مقدمات يفترضها صحيحة ، ويستنبط من تلك المقدمات النتائج ، فيسلم بصدقها ، لأنه قد سلم مسبقاً بصدق المقدمات . وكان منطق أرسطو يتبع منهج الاستنباط . وسار على هذا النهج ما يسمى بالقياس عند العلماء ، المسلمين وفقهائهم .

اوقد وجد العلماء في مطلع عصر النهضة الأوروبية أن منهج وحده لا يسد حاجة التفكير ، فوضعوا قواعد منهج الاستقراء الذي يقوم على أساس المشاهدة وإجراء التجارب . ثم وجد العلماء أن منهج الاستقراء وحده لا يكفي . فاندمج المذهب الاستقرائي والمذهب الاستنباطي في منهج واحد وهو الذي يسمى منهج البحث العلمي. وهو يقوم على المشاهدة والملاحظة الخارجية التي يستوحي منها العالم فروضاً يفرضها ، ثم يولد في داخل عقله بطريق الاستنباط نتائج ينتفع بها في العمل والتطبيق . ثم يقوم بإجراء التجارب للتأكد من صحة النتائج التي توصل إليها . وكلما زادت التجارب ، وكلما أجريت في ظروف متغيرة ، كلما كانت النتائج أدق وأوثق صحة . وقد شرح الرازي هذا المنهج وطبقه في فحوصه الطبية السريرية ، وشرحه جابر ابن حيان وطبقه في مختبره كما ذكرنا ذلك آنفاً .

لقد ترجمت كتب الرازي والحسن بن الهيثم وجابر بن حيان وغيرهم من علماء العرب المسلمين إلى اللغة اللاتينية. وقد درسها غاليلو وغيره من الغرب، وعلى الخصوص كتاب ابن الهيثم في المناظر . ولا نبعد عن المنهج العلمي إذا استنتجنا بأن هؤلاء العلماء الغربيين قد تأثروا بهذه الكتب ، وبكتاب المناظر خاصة ، وأفادوا منها في وضع أسس التفكير العلمي الحديث والحقيقة التاريخية تلزمنا أن نقر بأن علماء العرب قد سبقوا العلماء الغربيين في وضع أسس الطريقة العلمية في البحث . ولكننا يجب أن نحتاط ولا نغالي فنذهب إلى القول بأن علماء العرب قد فصلوا مناهج البحث العلمي كما فصلها علماء الغرب ، وتوسعوا في استعمالها كما توسع هؤلاء ، ونشروها بين طلاب العلم وعامة المثقفين كما فعلوا . يقول الاستاذ طوقان في كتابه العلوم عند العرب بهذا الصدد ما يلي : أنا لا أقول أن علماء العرب قد توسعوا في هذه الطريقة واستغلوها على النحو الذي استغلها به علماء أوروبا . (أنا لا أقول أنهم كانوا يدركون ما لهذا الأسلوب من شأن كما أدركه علماء أوروبا . ولكن أقول أنه وجد بين علماء العرب من سبق (باكون) في إنشائها ، بل ومن زاد على طريقة التي لم تتوفر فيها جميع عناصر البحوث العلمية) .

مقدمة : اهتم الاسلام بالعلم والدعوة إلى تحصيله ، ولم يختص الرسول الرجال بالعلم والتعليم بل كان التعليم للمرأة والطفل مهما كان سنهما وكذلك الرجل مهما كان سنه ، فقال ﷺ ، طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . ويمكن اعتبار أول مدرسة في العصر الإسلامي ، هو قيام أسرى بدر بتعليم المسلمين الأميين ،

ووجدنا من أصحاب الرسول الأعظم الحفظة للقرآن والحديث والملمين بعلومهما . وانتشرت المدارس بعد ذلك . المساجد في العصر الأموي والعباسي وكانت حواتيت الوراقين والمكتبات وقصور الخلفاء وبيوتهم من أهم الوسائط في التعليم . وظهر المؤدب ، واهتم بالرحلة في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله . وموضوع التربية والتعليم موضوع طويل لهذا فقد اقتصر بحثنا فيه على الموضوعات التالية:

أولا : أهداف التربية في الاسلام: إن للتربية في الاسلام اهداف شمولية ، واسعة ، وعميقة . فهي تشمل تنمية الجانب الفكري في الانسان ، وتنمية الجانب الإجتماعي ، والنفسي ، والاخلاقي , والجسمي فيه . والأخلاقي ، والجسمي فيه

وهي في تنميتها هذه الجوانب كلها فإنها تستهدف في نفس الوقت تكاملها في حركة نموها ، وتناسقها بحيث يصبح الانسان الذي تعده مكتملاً في شخصية ذات نظرة شمولية للأمور في الحياة ، وما بعد الحياة .. في الطبيعة ، وما بعد الطبيعة . وفي نقاشنا لهذه الأهداف ما يوضح اتجاهاتها ، وأعماقها ، ٦ وخصائصها . الأهداف الفكرية والمعرفية : . تستهدف التربية في الاسلام تنمية ذكاء الانسان ، وتنمية قدرته على التأمل ، والنظر والتفكير وسيلتها في ذلك دعوة الانسان إلى النظر في الطبيعة وفي الكون ، والنظر في النفس البشرية نفسها ، وتأملها واستيطانها . كما تستهدف تنمية قدرته على التصور والتخيل بما أبدعه القرآن الكريم من مشاهد ، وصور فنية عن الغيب والقيامة . كما تستهدف تقوية الذاكرة والتذكر بحفظ القرآن نفسه، واستيعاب معانيه ، وتدبره. كما تستهدف تنمية القدرة على التحليل ، وإدراك العلاقات بفهم عظات التاريخ ، وربطها بالواقع الاجتماعي للمجتمع ، وللإنسان ، وربط العلل بالمعلولات ، والأسباب بالنتائج. كما تستهدف تنمية القدرة على التعبير عما تحتويه الخبرات الحياتية، وما يكونه عقله لها من معان ، ومفاهيم ، وذلك بإتقانه وألفته بالتعبيرات ، والمعاني القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وتراث السلف الصالح . وهذه التنمية الفكرية التي تشمل جميع وظائف العقل الانساني تستهدف في المقام الأول بناء المفاهيم الاسلامية في الحياة ، والكون ، والانسان نفسه في صلاته بهما وصلاته بخالقه، وصلاته بجميع المخلوقات الانسان ولذلك فقد جعل الاسلام التفكير فريضة ، والتعليم فريضة . ولذلك أيضاً فقد احترم ذكاء الانسان فخاطبه في كل أمور الحياة والكون ، وخالقهما على نحو ما أشرنا من قبل . كما اعتبر الاسلام العقل أداة التفكير، والفهم

معياراً للحكم على كثير من القضايا في اطار الحرية والتحرر من الخوف ، وفي اطار القيم الاسلامية الضمان الوحيد لضبط منطقه ، وحركته ، وما يصدر عنه من تعبير التي هي لفظي التربية الأخلاقية : وتستهدف التربية الأخلاقية في الاسلام بناء إنسان على خلق عظيم وبناء مجتمع تسوده مجموعة من القيم والمثل العليا . فهي تحرص على تنشئة انسان يسلك في إطار مجموعة من القيم التي شملها هذا الدين ، بحيث يكون سلوكه مقسماً بالعدل وبالمساواة الاجتماعية ، والفردية أي المساواة داخل المجموعة ، والمساواة داخل نفسه ، ومتسماً بالحرية الاجتماعية بما تشمله من حرية سياسية ، واقتصادية ، وفكرية ، وعلمية . وبهذا السلوك الانساني يتشكل المجتمع الذي ينشده الاسلام وهذه القيم الخلقية قد صاغتها السماء بما يتفق مع خصائص الطبيعة البشرية الفردية والاجتماعية. وهي من ثم قيم انسانية اجتماعية ، وليست قيماً مجردة بعيدة عن الواقع والممارسة كما أن صياغتها قد تمت لتساير هذه الطبيعة في كل أطوار نموها خلال خبراتها المتجددة . وجعلت للشخصية البشرية ، وللمجتمعات أن تتحرك في حرية تامة في إطارها على شرط الحفاظ على هذا الاطار ، والاتفاق معه ولعل انسانية ، واجتماعية القيم الاسلامية وواقعتها كانت السبب وراء إمكانية تجسيدها فى الشخصية الاسلامية . وكان رسول الله هلال النموذج الأعلى لهذه الأخلاق إذ يقول فيه القرآن الكريم : (وإنك لعلى خلق عظيم) ويقول في أهداف رسالته الاسلامية إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . وقال أبو بكر رضي الله عنه للرسول عليه الصلاة والسلام : « لقد طفت العرب ، وسمعت فصحاءهم، فما رأيت ، ولا سمعت مثلك أحداً . فمن أدبك ، قال : أدبني ربي فاحسن تأديبي) ولقد احتوى الاسلام على مجموعة من القيم الأخلاقية ، والمثل العليا ، والعادات الأخلاقية الفردية، والاجتماعية مما لا يرقي إليها أي دستور أخلاقي ، منها الاخلاص في العمل وتقديسه . ومنها الصدق والأمانة ، وأداء الواجب ، واستثمار الوقت ومساعدة الانسان للإنسان ، والايثار ، والاعتماد على النفس ، وحب الناس وهو يحرص على أن تشكل هذه القيم الأخلاقية ومثيلاتها ضمير الانسان ، وإرادته وسلوكه الفردي والاجتماعي وأهم ما يميز الأخلاق الاسلامية أنها أخلاق ترتبط بجميع السلوك البشري في جميع النظم الاجتماعية. حتى أنها تشكل مجموعة القيم ، والعادات ، والتقاليد الاسلامية التي يحتويها النظام الاجتماعي في ظل الاطار الاسلامي ، أو ما يمكن تسميته النظام الاجتماعي العام للمجتمع كما أنها الميزان الذي تصاغ في ظله القوانين، والتشريعات المختلفة لهذه النظم . ويصاغ في إطاره التنظيم الإداري، وقواعده، ونظرياته المختلفة خاصة في مجال العلاقات الاجتماعية ، والانسانية بين مجموعة القوى البشرية التي يتشكل منها النظام

الاجتماعي كما أن أهداف النظم الاجتماعية ، وأغراضها ، وغاياتها القصوى تصاغ في إطار العقد المنتظم الذي تكونه هذه القيم الأخلاقية الاسلامية وما يميزها أيضاً أنها يمكنها أن تشمل ، ويمكن لها أن تحتوي مواقف الحياة كلها ، بحيث يمكن أن نقنن هذه المواقف في ضوئها . وهي لا تستغرق مواقف الحياة الماضية كما يظن بعض الناس ، ولكنها لها من الخصائص ، والامكانات ما يمكنها من أن تستوعب مواقف الحياة المتجددة المستمرة . وهذه الخصائص هي إحدى معجزات هذا الدين المنزل من الاله وهي خصائص لا تتوافر للأخلاق الوضعية ، ولا حتى للأخلاق المنزلة في الديانات الأخرى . أهداف جهادية : إن أهداف التربية في الاسلام تشمل أهدافاً جهادياً لأعداد المسلمين ليكونوا قادرين على الدفاع عن وطنهم وأمتهم ، وعن أعراضهم ، وشرفهم، وليكونوا قادرين على الجهاد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية . هذا تتعدد الآيات ، والأحاديث النبوية، ويمكن أن نذكر منها ما وفي يلي ١ – وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله ، وعدوكم). وهذه الآية تبرز ضرورة الاستعداد المستمر لملاقاة الأعداء ٢ – (وما أرسلناك إلا كافة للناس). كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذه الآيات تشير إلى نشر الدعوة على العالم كله . ويتطلب ذلك دعوة بالحسنى.

أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي أحسن (١)) وهذه الدعوة تكون في إطار مبدأ هام من مبادئ الاسلام وهو « لا اكراه في الدين ، وإنما تحتاج الدعوة في نشرها أيضاً إلى إزالة العوائق التي تحول دون نشر الاسلام. وعادة ما تكون هذه العوائق قوى وجيوش تتربص وجب الجهاد والدفاع عن النفس . وفي هذا يقول الحديث الشريف : (من مات ولم يغزو في سبيل الله أو لم ينو الجهاد مات ميئة جاهلية) بالدعاة . ومن هنا فإذا كانت الرسالة الاسلامية ، وما تتطلبه من نشر ، وما تطلبه من حماية تستهدف إعداد المسلمين إعداداً فكرياً ، وعقائدياً فإن التربية العسكرية تكون من أهداف التربية في الإسلام لحماية هذا الإعداد الفكري والعقائدي ولنشره على العالم كافة والمعروف أن الرسول ومن تبعه من الخلفاء الراشدين ، وغيرهم من خلفاء المسلمين قد كانت هذه التربية إحدى مهامهم الأساسية . وكانت تستخدم أساليب وفنون وأدوات عصرهم أما اليوم فإن التربية العسكرية تتطلب من التربية سواء على مستوى الفكر ، أو على مستوى الممارسات التعليمية في المعاهد ، والجامعات. ، والمدارس برامج ، ومناهج، وأدوات ووسائل فنية وتكنولوجيا حديثة من ابتداعات هذا العصر. كما تتطلب إعداد الناشئة على كل ما تتطلبه من مهارات ، ومعلومات ،

واتجاهات ، وقيم . ولا يجب ان تقتصر التربية العسكرية على قطاع واحد من المجتمع وهو الجيش ، وإنما يجب ضرورة أن تمتد لتشمل مراحل التعليم المختلفة لتعم جميع المسلمين.

كما لا يجب أن تقتصر على التدريبات العسكرية ، وإنما تتطلب ربط العسكرية بالعقيدة ، وبفريضة الجهاد الاسلامية. وربطها بكثير من المهارات ، والمعرفة ، والاتجاهات التي يكتسبها التلاميذ من الخبرات ، التربوية المختلفة التربية الروحية : إن تنمية الروح الاسلامي في الانسان ، وفي المجتمع من أهم ما تستهدفه التربية في الاسلام . والروح الاسلامي لها ركائز كثيرة ترتكز عليها منها الغيرية » « والايثار » وتشير إليها الآية الكريمة : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) و ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وهذه الركيزة الأساسية في الروح الاسلامي في الانسان ، وفي المجتمع تتطلب بناء هذه الروح في الانسان لقاء جزاء الله ، وثوابه ، وحباً في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين والركيزة الثانية هي الانفاق في سبيل الله حينما يفيض على الانسان من خير تجارته وماله ، والمثل الذي ضربه عثمان بن عفان في حياة رسول الله وبداية الدعوة الاسلامية يقرر هذه الركيزة حينما عرض عليه تجار مكة بريح يصل إلى أكثر من الضعف فأخبرهم بأنه ابتاعها الله سبحانه الحسنة بعشرة أمثالها والركيزة الثالثة جهاد النفس ، وهي ركيزة يقرر رسول الاسلام أنها جهاد أكبر من القتال في سبيل الله لأن النفس أمارة بالسوء ، ولها رغباتها ونزواتها . ولذلك فإن ضبط النفس في إطار القواعد والقيم والضوابط الاسلامية قضية تربوية يوليها الاسلام مكانة كبيرة فيجعلها في مرتبة أعلى من الجهاد في سبيل في ممارستها . إدراكاً من المسلم بأن النفس أمارة بالسوء » . ولذلك فإن قمة التطهر هو الوصول إلى المرحلة التي يخلع فيها الانسان نفسه ، وجسده : اخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوي) والركيزة الرابعة هي الجهاد في سبيل الله . وهي ركيزة هامة في نشر الدعوة ، والدفاع عنها ، وعن أهلها . ومن ثم فهي تتطلب إنساناً قادرا على بذل النفس ، والتضحية بها في سبيل الله . وهذا قمة البذل ، والعطاء الانساني والاسلامي في نفس الوقت . وحينما رسخت هذه الركيزة في أعماق الشخصية الاسلامية ، وجدنا أناساً يتسابقون على الجهاد . بل ويدعون دعوات صادقة لتحقيق » أمنية » الاستشهاد في سبيل الله . وهذه الركيزة الروحية تعتبر (قضية تربوية إسلامية » يحرص الاسلام على تنشئة أبناء المسلمين عليها . وبدون هذه الركيزة يضيع أغلى ما في الروح الاسلامي من ركائز . وتصبح الديار الاسلامية عرضة لأعداء الإسلام والمسلمين يمزقونها ، ويخربونها ، وينتهكون حرماتها ، ويستبيحون ثرواتها . والركيزة الخامسة : وهي ليست

الخامسة في ترتيبها . وإنما هي الأولى في البناء الإسلامي كله ويعتبرها الاسلام أركان الاسلام » . وهي الفرائض الخمس والنظرة لها هنا في موقع بناء الروح الاسلامي نظرة تتعمق جوهر هذه الفرائض . جوهر الشهادتين ، وجوهر الصلاة ، وجوهر الزكاة ، وجوهر الحج ، وجوهر الصيام. فهي فروض تستهدف في النهاية بل ومنذ البداية تنمية الروح الاسلامي في الانسان ، وتجرد ذاته من « أمور الدنيا ، التي تشغله في السعي لرزقه، وفي الاستمتاع بلذة الطعام، وبلذة التملك ، وبلذة الاسترواح ، وبلذة الضياع الدنيوي ويتدرج الاسلام في بناء الروح الاسلامي ابتداء بهذه الفرائض الخمس إلى أن يصل إلى الركائز الأربع التي أشرنا إليها ، ثم إلى درجات أعلى يصل إليها من يريد مكانة أسمى في الدنيا وفي الآخرة : (نرفع درجات من نشاء ، وفوق كل ذي علم عليم) .

الركيزة السادسة : التوبة من المعاصي خجلاً من أن يقابل الانسان ربه وقد ارتكب ما نهي عنه ، وأهمل ما أمر به. وهذه الركيزة هي التي تفسر لنا الروح الإسلامي التي كانت وراء اعترافات من اقترفوا الفواحش والآثام في عهد رسول الله ﷺ نشداناً للتوبة ، وغفران الله سبحانه وتعالى . سلكت مسالك العطاء الحياة ، وفي ٦ إن تنمية الروح البشري وفقاً لروح الاسلام ، هدف رئيسي من أهداف الاسلام ؛ والتربية فيه والتربية فيه . وروح الاسلام هو المحصلة النهائية لطبيعة هذا الدين . وهو وراء جميع النماذج (غير العادية) من السلوك البشري الذي سلكه من تمكن من روح هذا الدين وتمكن منه هذا ؛ ابتداء برسول هذا الدين، واستمراراً بخلفائه الراشدين، وصحابته ، وبالنماذج البشرية التي في وفي البذل ؛ وفي التعبد أكثر مما يفرضه هذا الدين كحد أدنى للإسلام . لقد كانت هذه الروح وراء جميع نماذج السلوك البشري التي ضربهها أبو بكر ، وعمر ، وعثمان وعلي ، وعمر بن عبد العزيز ، وغيرهم ممن يعجز عن حصرهم الحساب . ووراء مجموعات من المسلمين المتصوفين الحقيقيين الذين رأوا (الدنيا » و « الآخرة) برؤ يا خاصة صورتها لهم المشاهد ، والصور الفنية في القرآن لهم ، فتعاملوا معهما وإزاءهما بمنطق الربانيين الذين تزلزل أقدامهم الأرض إذا ركلوها ، وتستجيب لهم السماء إذا دعوها ، وتتضاءل ، أمامهم مطامع الدنيا إذا تراءت أمامهم هذا الروح هو الذي يرسم الأفق الأعلى الذي يتطلب الاسلام من معتنقيه أن يتطلعوا إليه ، وأن يحاولوا بلوغه، لا بتنفيذ الفرائض والشعائر فحسب ، ولكن بالتطوع الذاتي لما هو فوق الفرائض والشعائر .. وهذا الأفق عسير المرتقى ، وأعسر من ارتقائه الثبات عليه ! لأن نوازع الحياة البشرية ، وضغط الضرورات الانسانية لا يطوعان للأكثرين من الناس أن يرقوا إلى هذا الأفق العالي ، ولا أن يصبروا عليه طويلا، إن ارتقوا إليه في

فورة من فورات الشوق والتطلع ، فلهذا الأفق تكاليفه العسيرة ، وهي تكاليف في النفس والمال ، وفي الشعور والسلوك . ولعل أشد هذه التكاليف مؤنة هو تلك اليقظة الدائمة التي يفرضها الاسلام على ضمير الفرد ، والحساسية المرهفة التي يثيرها في شعوره، تجاه الحقوق والواجبات ، لذاته وللجماعة التي يعيش فيها ، وللإنسانية التي ينتسب إليها ، وللخالق الذي يراقبه في الصغيرة والكبيرة ، ويعلم سره ونجواه) ولكن صعوبة هذا المرتقى ، وتعذر الاستواء عليه طويلا .. لا يعني هدف مرسوم جميع وهو أن الإسلام فكرة شاعرية خيالية ، ومثل وجداني تدركه الأشواق وتقصر دونه الأعمال، فذلك الأفق الأعلى الذي نتحدث عنه لا يكلفه إلا كل إنسان في الأزمان ، إنما هو لتحاوله البشرية اليوم ، كما تحاوله غداً ، وكما حاولته بالأمس ، فبلغت إليه أحياناً ، وقصرت غنه أحياناً مثل فيه من الثقة بالإنسان وضميره وطاقاته قدر كبير ، وفيه الدليل على أن الإنسانية غير ميؤوس منها في المستقبل القريب أو البعيد . ودون ذلك مجال فسيح للعمل والواقع المستطاعين للأكثرين لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وسماحة الإسلام تقبل من الجميع ما يستطيعون في حدود مرسومة ، لا تهبط عنها الحياة ولكل درجات مما عملوا) والطريق إلى الأفق الأعلى أبداً مفتوح. وكما تجسدت هذه الروح في واقع الحياة الاجتماعية ، وفي شخصيات كثيرة من المسلمين فإن لذلك مغزى تربوي ومضمون تعليمي . فالشخصيات التي احتشد بها التاريخ الاسلامي يمكن أن تكون محاور دراسة المنطلقات تنطلق منها التربية لدراسة الأخلاق الانسانية في أوج عظمتها من إيثار وتضحية وبذل وجهاد وتصدق وزهد وأمثلة في الحكم ، وفي السياسة ، وفي إدارة الأعمال ، وفي الاقتصاد إذا أردنا أن نبني نماذج من البشر على هذا ، وأن نكسو النظم الاجتماعية بقيم هذا الروح الاسلامي المتسامي الرفيع وأن تدرس هذه النماذج التاريخية الرائعة في ارتباطها بهذا الروح الإسلامي . فهو مصدر هذه الطاقة البشرية الهائلة في البشر الذين اتسموا بالشجاعة ، والايثار والطهر ، والفناء في العقيدة . ولن نكون مخطئين حين نرد انبعاث هذه العبقريات كلها ، وبروز تلك البطولات جميعها ، إلى فعل ذلك الروح القوي ، فهو حركة كونية شاملة ، تتوافى مع هذه الطاقات ، الفردية في الظاهر ، الكونية في الحقيقة . فلا عجب أن كانت أكبر عظمة هي نبوة محمد بن عبد الله ﷺ ، فهي التي تلقت ذلك كله واستوعبته ، وأطاقت تلقيه كاملا والصبر عليه طويلاً ، لأنها في الفيض صميمها قوة كونية لا طاقة فردية » . ثم تتدرج العظمات تحت أفق النبوة ، في أصحاب محمد ﷺ ، وفي معتنقي دينه على مدار التاريخ، كل بقدر ما فيه من استعداد لتلقي ذلك الروح الكامن ، في ذلك الدين العظيم(١) إن الاسلام ينمي في المسلم حساسية مرهفة ، وروحاً عالياً كانت وراء الأمثلة ،

والنماذج الحية من الشخصيات الشجاعة في الحق حتى وصلت حد اعتراف المسلم على نفسه بالذنب . كما كانت وراء الشخصيات الحاكمة الرحيمة التي تحاول أن تدرأ الحدود بالشبهات ، ولكنها. إذا تيقنت من ذنب المذنب دفعها الحزم إلى إقامة حدود الله لأن المسلم ، حاكماً أو مذنباً هذا الدين القيم الذي تمثله روحهم ، والذي يهمهما بالدرجة الأولى روح قننته حدود الله ولقد تمثل هذا الروح الاسلامي في بناء الكيان الاجتماعي للأمة أمثال الاسلامية . وفي حساسية هذا الروح في عدم تقبل أخطاء أكبر القادة من أ عثمان بن عفان وهذه إشارات خفيفة لهذا الروح الاسلامي الذي لا نظير له في الحياة الدنيا كلها من يوم وجدت حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ان تنمية هذه الروح في (المسلم) ترتبط بتنمية معاني أخرى نبيلة وقيم أخرى لا تدانيها قيم وهي قيم العدالة المطلقة ، والمساواة المطلقة البشر جميعاً، وقيم الحرية والتحرر من كل ما يعوق هذه المساواة المطلقة بين التربية الجسمية : إن العناية بالبدن ؛ وبصحة الانسان ، وبمظهره من أهم الأمور التي عني بها الاسلام ، واستهدفها. »، « وفي هذا يقول رسول الاسلام : « إن لبدنك عليك حقاً » ، و المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير) . والمعروف أن بناء قوة الانسان البدنية يحتاج إلى تربية رياضية وتربية جسمية ، تفرض برامج للتربية الرياضية ، وبرامج غذائية لتنمية الجسم الانساني . وتربية صحية للعناية بصحة الانسان ، والمحافظة عليها . وفي هذا يشير رسول الاسلام « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، فإن كان لا محالة فاعل فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لهوائه » ويمكن للتربية الصحية وللتربية الرياضية أن ترتبط بمفاهيم الاسلام التي تشير إليها الأحاديث النبوية ، ومثيلاتها . كما يمكن أن ترتبط العادات الصحية، بما جاءت به الفرائض الاسلامية من عادات مثل : فرائض الوضوء، وفرائض الصلاة وفرائض الصوم ، وما إلى ذلك . والتربية الجسمية ، والمحافظة على صحة الانسان وبدنه ، مسؤولية فردية بقدر ما هي مسؤولية اجتماعية وإذا كانت مسؤولية رعاية البدن، والمحافظة عليه سواء بالبرامج الرياضية أو بالبرامج الغذائية فإنها في نفس الوقت مسؤولية اجتماعية . وتشير الآية الكريمة الخاصة بالاستعداد للحرب إلى ذلك حيث تقول ل؛ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وهذه الآية تشير إلى برامج للتدريب الرياضي والعسكري ، ليتحقق قوة المسلمين البدنية والعسكرية ، استعداداً لملاقاة أعداء الاسلام الذين يتربصون الدوائر . واستعداداً لنشر الدعوة الاسلامية بإزالة الطواغيت ، والقوى التي تحول بين الناس ، والدخول في الإسلام . بهم أهداف اجتماعية : إن غني الاسلام بالتشريعات

الاجتماعية التي تحدد « العلاقات الاجتماعية السوية بين البشر » لا يصل إلى مستواه أي تشريع آخر ، أو اجتهاد بشري فلقد شرع لنظام الحكم ، وللسياسة ، والاقتصاد ، وللأسرة ، وللنظام الاجتماعي العام وأية تربية اسلامية عليها أن تستهدي في تنمية البشر في ظل هذه التشريعات المختلفة للنظم الاجتماعية شرع للحكم في إطار الشورى . وأمرهم شورى بينهم) ؛ ومن ثم فإن الانسان يعد لكي يكتسب مفاهيم، واتجاهات ، ومهارات أسس ، ومضمونها، ومعانيها ، وتطبيقاتها المختلفة في المجتمعات الشورى . المختلفة وشرع للسياسة في اطار العدالة، والفضيلة ، والأخلاق والمساواة ، والحرية . وأي اعداد للإنسان يجب أن يتم في اطار هذه القيم والمفاهيم ليتسم بجوهرها ، ويعايش أشكالها التطبيقية المختلفة وشرع للاقتصاد في اطار الدوافع الانسانية الأخلاقية من أجل العمل والانتاج. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) .. إن العمل في الاسلام قيمة كبرى لا يعدلها قيمة أخرى . ومن ثم فإن التربية الاسلامية عليها أن تستهدي بقيمة العمل » في بناء الشخصية الانسانية. كما أنه حرص على أن يكون الانتاج في ظل علاقات انسانية عائده محققاً لخير المجموع فلا يكون وسيلة للاستغلال ، أو المنع عن البقية من البشر . وهو يستهدف بذلك بناء كيان اجتماعي متكافل اجتماعياً متكافل اقتصادياً بحيث يصبح ومن أجل ذلك شرع « للزكاة » ، وللصدقة ، وللإنفاق النقدي في أوجه الخير بما يعود على المجتمع بالرفاهية، وبما يحقق التكافل الاجتماعي والمعيشة في ظلال الأمن الاقتصادي ، والاجتماعي ٦ وشرع للأسرة . وبنى العلاقات الاجتماعية فيها على أصول تعجز أمامها التشريعات الوضعية . وشرع للميراث . وشرع للقوامة في الأسرة ، ونسبة الأطفال ، وتربيتهم . وشرع للملكية في الأسرة وللمساواة بين الرجل والمرأة مساواة واضحة . كل ذلك لنظرته للطبيعة البشرية ، ولطبيعة الجانب الاجتماعي والنفسي في الانسان التي أشرنا إليها سابقاً ، ولذلك فإن إحدى مفاهيم التربية في الاسلام هي تقديس هذه التشريعات الاجتماعية سواء في مجال الحكم، أو في مجال الاقتصاد ، أو في مجال الأسرة. ومن ثم فإن تنشئة الأجيال الجديدة وتربيتهم على هذه المفاهيم هي إحدى الأطر الفكرية الهامة في الفكر التربوي في الإسلام. خصائص الأهداف السابقة :

١ – الوضوح والعمومية : فوضوحها يظهر من أنها مباشرة بسيطة يستطيع أن يفهمها الناس ، كل الناس . وعموميتها تظهر في أنها تشكل إطاراً عاماً ، وموجهاً عاماً لبناء الشخصية الإنسانية وبناء المجتمعات الإنسانية . وهي بوضوحها ، وعموميتها تسمح بأن ينضم تحتها مجموعة من الأفكار والقيم التي وجهت إليها

كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والممارسات الاسلامية التي قام بها رسول الله ﷺ ، ومن رباهم فاستوعبوا فكره ، ودعوته ورسالته . فضلا عن أنها لا تغلق باب الاجتهاد على الناس في كل زمان ، ومكان . وإنما تسمح لكل اجتهاد بشري ، ولكل حلول انسانية واكتشافات اجتماعية تصل إليها المجتمعات، ويصل إليها الناس شريطة ألا تتناقض معها ، وألا تتعارض وتتنافى . فهي صحيحة طالما اتفقت مع الاطار العام لهذه الأهداف العامة خاطئة إن تجاوزت أن تناقضت وهي مع قيمها.

٢- الشمول والتكامل : فهي . شاملة تشمل الانسان بكل جوانبه ، وتشمل المجتمع بكل نظمه ، وأوضاعه وهي متكاملة لأن كل معالجاتها لكل ناحية ، وكل جانب ، وكل نظام تتكامل مع بعضها ، وتترابط بحيث تتعاون هذه الجوانب ، وهذه النظم مع بعضها ويبدو شمولها أيضاً في عموميتها لكل جوانب الانسان وكل نظم المجتمع بشكل يسمح ، ويستوعب جميع الجزئيات التي تحتويها هذه الجوانب وتلك النظم

٣- العقلانية والمنطقية الواقعية : فهي أهداف تتفق ومنطق العقل الانساني، كما تتفق مع إجتماعية ومع نظم المجتمع المختلفة. فهي ليست خيالية ، أو مثالية كما أنها ليست قاسية على النفس البشرية ، وعلى الشخصية الانسانية وامكاناتها وإنما هي في مقدور الانسان العادي. وفي مقدور المجتمعات البشرية في كل الانسان ، عصر ومصر . فواقعيتها تظهر في أنها تمس حياة الانسان ، وحياة المجتمع بشكل مباشر . وتفصل في قضايا الحياة ، والكون ، والانسان بشكل واقعي مبني على نظرة واقعية لطبيعة الانسان ، والمجتمع ، والثقافة فيه . ولذلك فإن أي هدف من هذه الأهداف إنما ينطلق من البناء العقلي والاجتماعي والنفسي والجسمي في الانسان .

٤ - احتوائها لأبعاد الزمن : هذه الأهداف قد بنيت على أساس مراعاتها لأبعاد الزمن الثلاث . فهي تستفيد من الماضي وتتمثله ، كما أنها تستوعب الحاضر وتواجهه . وهي في نفس الوقت تتهيأ للمستقبل، وتستقبله. فهي في مخاطبتها للانسان . ورسمها لصورته ، وصورة مجتمعه إنما تستحضر خبرات السابقين له . وترسم حلولاً لمشكلاته الواقعية ، وتساعده على تصور ، وتخيل المستقبل بناء على معطيات الماضي والحاضر . وهي في استحضارها لخبرات الحياة البشرية السابقة لا تسردها سرداً تاريخياً ، وإنما تذكر الخبرات ، ودلالاتها الانسانية ، والاجتماعية . وهي في مساعدة الانسان على أن يواجه حاضره ومستقبله تخاطبه بمعرفة ودراية

بكل مكنونات النفس البشرية ، وإمكانات الشخصية الانسانية : العقلية ، والنفسية ، والوجدانية ، والاجتماعية ، والجسمية .

خامسا :المكتبات في الاسلام :

هي تتسم المكتبات في الإسلام بطابع فريد يجب دراسته للتعرف على جوانب حضارتنا العربية الإسلامية . فما وماذا عن الهيكل التنظيمي لهذه المكتبات ؟ وما أنواعها ؟ وماذا عن دور النشر في الإسلام ؟ وعن تنظيم المعرفة البشرية ! وتصنيفها ، ذلك ما سنحاول تقديمه في هذه الصفحات : فلسفة المكتبات في الإسلام ؟

أولاً : فلسفة المكتبات في الإسلام :

لا بد لنا قبل الحديث عن سرد تاريخ المكتبات أن نذكر إلى أن القرآن الكريم والسنة النبوية ، قد حثت على تحصيل العلم وبيان فضله ، ومكانة العلماء ؛ وإذا حاولنا التعرف على ما تم وروده في هذا الموضوع من نصوص علمية ، فإننا نرجع إلى كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة قال تعالى في سورة العلق : إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) وحوله مكانة العلماء ، قال تعالى في سورة المجادلة : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ، وقال في سورة يوسف : وفوق كل ذي علم عليم) . وقال الرسول حضاً على طلب العلم و من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، حيث روي عن أبي هريرة أخرجه الإمام . وفي سند ابن ماجه عن أنس بن مالك وطلب العلم فريضة على كل مسلم أحمد مسنده . بن حنبل في ومسلمة ،

ويضيق بنا المقام في التعرض لحصر أو إحصاء لما ورد من آيات قرآنية ، ويكفي أن نحيل كل من يريد إعداد وتجهيز كافة التعاليم الإسلامية حول تشجيع المسلمين على طلب العلم – نقول . نحيلهم إلى فهارس القرآن الكريم وكتب الأحاديث الصحيحة كالبخاري ومسلم .الشريعة إذن تحرص على العلم والتعلم والتعليم ،

أما كيف كان وشكل هذا التعليم ومصادره وطرقه فإن الدراسات العلمية تدل على أن العرب قبل الإسلام كانوا يعرفون الكتابة ، وكانوا يؤرخون أهم أحداثهم على الحجارة وكانت الكتاتيب في الجاهلية، وكان فيها معلمون . والكتابة ، إذا ما وصلنا إلى عصر النبي وصدر الإسلام كانت منتشرة مما كانت عليه في الجاهلية، واقتضت طبيعة الرسالة أن يكثر المتعلمون ، القارئون ، الكاتبون ، فالوحي يحتاج إلى كتاب ، وأمور الدولة من مراسلات وعهود ومواثيق ، فكان للرسول كتاب للوحي بلغ عددهم على حسب ما ورد في المراجع أربعين كاتباً، وكان له أيضاً كتاب للصدقة ، وكتاب للمعاملات والمدانيات ، وكتاب للرسائل يكتبون باللغات المختلفة

وكان لانتشار الكتابة وإتقانها أثر بعيد في تدوين العلم وحفظه ، وأول ما دون في عهد الرسول ما كان يتنزل به الوحي من القرآن الكريم ، والوثائق والمعاهدات ، والكتب إلى الولاة وغير ذلك مما تحتاج إليه الدولة ، كما دون جانب من الحديث النبوي في عهد الرسول على يد من سمح له بكتابته كعبد الله بن عمرو بن العاص، ثم ما لبث أن اعتمد أهل العلم على تدوين كل ما له صلة بعلوم الشريعة ، قال ابن خلدون و طما بحر العمران والحضارة في الدولة الإسلامية في كل قطر وعظم الملك . ... وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها، وملئت بها القصور والخزائن الملوكية .....هذه النهضة العلمية ، والتي تستند إلى فلسفة تربوية أساسها القرآن والسنة ، كان لا بد من تنظيم لهذه الكتب التي تعتبر كما عبر عنها أحد الباحثين و جامعات كل العصور نقول اين كانت تنظم ، ولماذا تعددت ومع ذلك أماكن وجودها في العصر الإسلامي رغم عدم اختراع الطباعة الزمان

ثانياً : الهيكل التنظيمي للمكتبات في الإسلام : لتتصور الآن نموذجاً مثالياً للمكتبات في الإسلام ونرى فيه التنظيم التالي ، وهو تنظيم يدل على مدى تقدم الحضارة الإسلامية في مجال المكتبات ، والتي تعتبر مؤسسات تعليمية في ذلك الزمان :

١ – المبنى

يقول ga pinto' من مقال له عن المكتبات الإسلامية نشر في Islamic 227 .Culture 1829 111, p إن المسلمين اهتموا اهتماماً عظيماً بأبنية المكتبات العامة ، التي كانت تعد لاستقبال الجماهير ، وقد شيد بناء خاص

على طراز معين لمكتبات شيراز وقرطبة والقاهرة وما ماثلها ، وكان البناء مزوداً بحجرات متعددة يربط بينها أروقة فسيحة ، وكانت الرفوف تثبت بجوار الجدار لتوضع فيها الكتب ، وبعض الأروقة كان يخصص للإطلاع ، كما كانت تخصص بعض الحجرات للنسخ ، وبعض الحلقات للدراسة ، وانتظمت بعض المكتبات كذلك حجرات للموسيقى يلجأ إليها المطالعون للترفيه وتجديد النشاط ، وكانت جميع الحجرات مؤثثة تأثيثاً فخماً ومريحاً ، وقد فرشت ارضها بالبسط والحصير لتلائم أذواق الشرقيين الذين كانوا يميلون إلى الجلوس على الأرض ويقول المقريزي في الخطط ط ١ ص ٤٥٨ إن دار الحكمة بالقاهرة لم تفتح أبوابها للجماهير إلا بعد أن فرشت وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور، وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم رسموا بخدمتها . ويحدثنا المقريزي كذلك في الخطط ط ١ ص ٤٠٨ بأن البناء المخصص لمكتبة الفاطميين عظيماً جداً ؛ إذ كانت عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم أربعين خزانة ، تتسع الواحدة منها لأن يوضع بها

١٨,٠٠٠كتاب وفي أحسن التقاسيم للمقدسي ص ٤٤٩ وصفاً دقيقاً لمكتبة عضد الدولة في شيراز : والمكتبة فيها خزائن ألصقت إلى جميع حيطان المكان والخزائن بيوت طولها قامة من عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق عليها أبواب تنحدر من فوق ، والدفاتر منضدة على الرفوف ، لكل نوع بيوت. ومن تذكرة السامع والمتكلم ، لابن جماعة . ١٧٢ ينصح من يقوم بترتيب الكتب الا يضع ذوات القطع الكبير فوق ذوات القطع الصغير كيلا يكثر تساقطها ، ذلك أن المسلمين لم يعرفوا في القرون الوسطى الطريقة الحديثة في وضع الكتب على الأرفف التي كانوا يضعونها مستلقية الواحد فوق الآخر .

٢ – الميزانية :

كانت الأوقاف هي المصدر الذي ينفق منه على المكتبات وما يلزمها ، وكان المأمون يعطي ، كما حدثنا ابن أبي أصيبعة ١ : ١٨٧ ، حنين بن إسحق من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى اللغة العربية مثلاً بمثل ..ببن ويحدثنا ابن أبي أصيبعة أيضاً ١ : ١٨٧ ، بان شاكر محمد واحمد

والحسن يرزقون جماعة منها النقلة منهم حنين بن إسحق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة ٥٠٠ دينار للنقل والملازمة . وفي كتاب Islamic Civilization, Khuda Bukhsh p. ٢٩ ، أن الواثق وجه عناية كبيرة للمترجمين الذين نقلوا الذخائر الأجنبية للسان العربي ، وكان ابن ماسويه يده اليمنى في ذلك ، فأغدق عليه الواثق نعماً متوالية ، وخيراً وفيراً، وفي إحدى المرات أعطاه درهم تساوي ٣٠٠,٠٠٠ روبيه . ويخبرنا ابن أبي أصيبعة ط ١ ص ٢٠٦ بأن عطاء محمد بن عبد الملك الزيات للنقلة والنساخ في كل شهر ٢,٠٠٠ دينار . وبورد لنا المقريزي في الخطط ط ١ ص ٤٥٩ قائمة بالنفقات السنوية لمكتبة دار الحكمة مفصلة تفصيلاً واضحاً ولكنها أقل سعة وسخاء وفيما يلي نصها :

ورق الناسخ. مرتب الخازن مرتب الفراش

٩٠ ديناراً من العين المغربي ٤٨ ديناراً من العين المغربي ١٥ ديناراً من العين المغربي

١٢ ديناراً من العين المغربي

لتجليد الكتب ورق وحبر وأقلام للمطالعين ١٢ ديناراً من ١ العين المغربي ثمن الحصر العبراني ثمن الماء ١٠ دنانير من العين المغربي ١٠ دنانير من العين المغربي ثمن لبود للفرش في الشتاء ثمن طنافس في الشتاء دنانير من العين المغربي مرمة الستارة دنانير من العين المغربي ١ دينار من العين المغربي وفي خزائن الكتب القديمة في العراق ص ١٦٥ يحدثنا كوركيس عواد عن مرتبات موظفي المدرسة المستنصرية محددة على الوضع التالي : لخازن الكتب من كل يوم عشرة أرطال خبزاً ، وأربعة لحماً ، ومن كل شهر عشرة دنانير ، وللمشرف في كل يوم خمسة أرطال خبزاً ، ورطلان لحماً ، وفي كل شهر ثلاثة دنانير ، وللمناول في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخاً وفي كل شهر ديناران

٣ – الهيئة المشرفة :

ومن هؤلاء الخازن والمترجم والناسخ والمجلد والمناول وستتناول كل من هؤلاء على حدة .الخازن أو أمين المكتبة : كان الخازن يشرف على الناحية العلمية والناحية الإدارية بالمكتبة فهو بعد المكتبة بالكتب الجديدة، ويلاحظ دقة الفهارس وحسن تنظيمها وشمولها ، وييسر للقراء عملهم والمحافظة على الكتب وترميم شعثها ، وحيكها، والضن بها على من ليس من أهلها، وبذلها للمحتاج إليها ، وأن يقدم في العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على

الأغنياء ، السيكي ، مفيد النعم ١٥٩ . ويذكر ابن العماد في شذرات الذهب ١ : ١٠٤ بأن سابور بن أردشير ، بعد أن نقل إليها الكتب الكثيرة ، رد النظر في أمرها إلى الحسين بن شيبة ، وابي عبد الله الضبي القاضي، وبعد وفاة سابور الت مراعاة الدار إلى القاسم فضم هذا إلى خازنها المعروف أبي منصور خازناً آخر المرتضى أبي يعرف بأبى عبد الله بن أحمد ، ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٣٥٩ ، أما في ط ١ ص ٤٥٨ ، أن الفاطميين أقاموا قوام لمكتبتهم المقريزي فيحدثنا يرعون شؤونها . أنه كان العلماء من أما عن ثقافة الخازن فإن كتب التاريخ تحدثنا عن وأساطير الأدباء ، ومن هؤلاء سهل بن هارون ، وسعيد بن هارون ، والمؤرخ الشهير والعالم الكبير ابن مسكويه ، وقد حاول مؤلف تاريخ التربية الإسلامية

شلبي (حصر هذه الأسماء عند حديثه عن المكتبات في الإسلام . المترجم : اهتم العرب المسلمون بترجمة العلوم التي قام بها غير العرب من الشعوب ، وقد حصر المترجمون العالم العربي الببليوجرافي الوراق ابن الأطباء لابن أبي أصيبعة النديم ، وفي الباب التاسع من طبقات تاريخ التربية الإسلامية عدداً من هؤلاء وجدوا مكانهم في المكتبات الإسلامية ، ومن هؤلاء من لنا شلبي في كما حصر المترجمين الذين ذكرهم ابن النديم : اصطفن القديم ، وأبو سهل الفضل بن نوبخت ، سلم ، الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وحنين بن اسحاق، وعمر بن الفرضان ، واسحق بن جنين وتوقف نشاط الترجمة تقريباً بعد الواثق ، ولم يعد من السهل أن يجد الباحث ذكراً للمترجمين في المكتبات العامة أو الخاصة . وسوف نفرد في الصفحات التالية حديثاً موطولاً عن الترجمة ودورها الحضاري .

الناسخ : من مفاخر المسلمين أنهم أدركوا في العصور الوسطى ضرورة أن يكون بالمكتبة قسم للطبع والنشر ، ولم تكن وسائل الطبع الحديثة قد وجدت بعد يعرف بأبى عبد الله بن أحمد ، ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٣٥٩ ، أما في ط ١ ص ٤٥٨ ، أن الفاطميين أقاموا قوام لمكتبتهم

المقريزي فيحدثنا يرعون شؤونها . أنه كان العلماء من أما عن ثقافة الخازن فإن كتب التاريخ تحدثنا عن وأساطير الأدباء ، ومن هؤلاء سهل بن هارون ، وسعيد بن هارون ، والمؤرخ الشهير والعالم الكبير ابن مسكويه ، وقد حاول مؤلف تاريخ التربية الإسلامية شلبي (حصر هذه الأسماء عند حديثه عن المكتبات في الإسلام . المترجم : اهتم العرب المسلمون بترجمة العلوم التي قام بها غير العرب من الشعوب ، وقد حصر المترجمون العالم العربي الببليوجرافي الوراق ابن الأطباء لابن أبي أصيبعة النديم ، وفي الباب التاسع من طبقات تاريخ التربية الإسلامية عدداً من هؤلاء وجدوا مكانهم في المكتبات الإسلامية ، ومن هؤلاء من لنا شلبي في كما حصر المترجمين الذين ذكرهم ابن النديم : اصطفن القديم ، وأبو سهل الفضل بن نوبخت ، سلم ، الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وحنين بن اسحاق، وعمر بن الفرضان ، واسحق بن

جنين وتوقف نشاط الترجمة تقريباً بعد الواثق ، ولم يعد من السهل أن يجد الباحث ذكراً للمترجمين في المكتبات العامة أو الخاصة . وسوف نفرد في الصفحات التالية حديثاً موطولاً عن الترجمة ودورها الحضاري .

الناسخ : من مفاخر المسلمين أنهم أدركوا في العصور الوسطى ضرورة أن يكون بالمكتبة قسم للطبع والنشر ، ولم تكن وسائل الطبع الحديثة قد وجدت بعد بطبيعة الحال، فعينوا بالمكتبات نساخاً عرفوا بالدقة وجودة الخط . وقد ورد في الفهرست لابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت وغيرهما من كتب التاريخ والأدب الكثير من ترجمات هؤلاء النساخ . التربية الإسلامية نماذج لهؤلاء النساخ .

كما ورد في شلبي، تاريخ وكان في بيت الحكمة كما يخبرنا ابن النديم عدد من النساخ ، وكان في مكتبة الواقدي ٢٠٨ هـ غلامان مملوكان له يكتبان طيلة الليل والنهار ، وقد سعد بكتابته للواقدي حتى أصبح من مميزات ابن سعد أن اشتهر محمد بن يقال عنه : كاتب الواقدي . وكان للجاحظ في مكتبته الخاصة وراق اسمه عبد الوهاب بن عيسى ؛ كما كان ابن البواب ٤١٣ هـ خطاط شهيراً وناسخاً في نفس الوقت (ياقوت : الأدباء ١: ٨١). معجم وفي خطط المقريزي يذكر لنا الكثير من النساخ من دار الحكمة زمن الفاطميين .

إن كلمة الناسخ أو المجلد كلمتان متلازمتان ، ويمكن الرجوع إلى دراسة كل من ، و Adolf Grohmann, Thomas Arnold في كتابهما The Islamic Book ، وفي هذا الكتاب من ص ٣١ – ٣٢ حقائق تشير

إلى أن تجليد الكتب نال عناية خاصة من أهل العراق والأندلس ، وكانت مالقة بالأندلس أكثر المدن براعة وإتقاناً في صناعة الجلود عامة وتجليد الكتب وجه الخصوص، وقد بذل الهواة من جماعي الكتب كما تجليداً نفيساً على بذل الأمراء المسلمون جهداً رائعاً كانت نتيجته تكوين المكتبات العامرة ، والتشجيع المتواصل لتنسيقها ، وإبداع تجليد كتبها، مما أسهم بنصيب ملحوظ في هذا التطور الذي لا نظير له . فن تجليد الكتب في العصور الوسطى . كما يمكن الرجوع إلى كتاب " F.sarre" :Islamic Bookbinding الفهرست لابن النديم حيث نجد معلومات مفيدة حول تطور التجليد إلى أن ظهر التذهيب والزخرفة والتزويق

المناول :

ويمكن اعتبار هذه الوظيفة – من الوظائف المعاونة التي تسهل عمل الخازن أو أمين المكتبة في الوصول إلى الكتاب ، ونسميها في عصرنا الحديث (فتى مكتبة ، وهي من الوظائف المحددة بهذا المصطلح «مناول» ، ويذكر المقريزي في خططه، أنه عين بدار الحكمة في القاهرة قوم خزنة وخدام مناولون وفراشون .

٤ – بناء المجموعات وإعدادها للتداول :

وكان المسلمون يشجعون بناء مجموعات المكتبات ويحصلون عن طريق التجارة والتجار على الكتب النادرة التي لا يوجد لها مثيل في مكتباتهم من في المكتبات ، حيث أن الحكم صاحب الأندلس كان يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالاً . التجار ، ويرسل إليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه ، ويذكر شلبي، في تاريخ التربية الإسلامية الكثير من معلومات الأدباء والمؤرخين حول حرص المسلمين على تكوين مكتباتهم بدفع المزيد من الأموال لشراء هذه الكتب الهامة وكانت مكتبات الأوقاف كذلك من مصادر تكوين المكتبات وبناء المجموعات بها وقد فصل أستاذنا عبد اللطيف إبراهيم في كتابه دراسات في ويحكى لنا ابن خلدون نشاط أهل الأندلس في تكوين وبناء المجموعات الكتب والمكتبات الإسلامية في هذا الموضوع، ويمكن الرجوع إليه . أما عن إعداد الكتب للتداول : فكانت الكتب ، كما يذكر ابن جماعة ، تذكرة السامع ص ١٧١ و ١٧٢ من ترتب بعد كتابة عنوان الكتاب واسم مؤلفه على أطراف الصفحات مجتمعة أسفل وتجعل رؤوس الأحرف تجاه بدء الكتاب فإذا وضعت الكتب بعضها على الكتاب الذي يريده ، وأحياناً

يوضع واجهة الصندوق بيانات الكتاب . فوق بعض جعل الجانب الذي عليه الكتابة فى الجهة الخارجية للرف ليواجه الشخص الذي يبحث عن كتاب معين فيسهل عليه فى هذه الحال أن يعثر الكتاب في صندوق ويكتب على وكانت الرفوف مفتوحة ، والكتب في متناول الجميع ، وكل شخص يستطيع أن يحصل بنفسه على الكتاب الذي يريد ما تيسر له ذلك فإذا ضل الطريق استعان بأحد المناولين الذين تحدثنا عنهم فيما سبق ، وكانت هناك على أية حال رفوف مغلقة لأنها كانت تحوي المخطوطات الثمينة والكتب النادرة ، والحصول على مخطوط أو كتاب منها يلزم أن يحصل الطالب على إذن بذلك من المشرفين على أمور المكتبة ، . Islamic Culture III, ١٩٢٩وفي المرجع السابق كذلك معلومات تفيد بأن الفهارس كانت متوافرة في المكتبات بكافة أنواعها وكانت منظمة للغاية فهي تشمل الكتب التي بالمكتبة ، مرتبة على حسب موضوعاتها ، وكانت هناك أدلة لمحتويات الرفوف وهي ما تسمى في عصرنا بالمرشد Lable أو Ticket ، ومسجلاً بها قائمة بمحتويات الدولاب وأرقامها فيه وملاحظات عن الكتب التي فقدت بعض أوراقها أو التي لم توجد جميع أجزائها وفي طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ط ٢ ص ٤ ، أن ابن سينا اطلع على فهارس مكتبة السامانيين في بخارى، واختار بضعة كتب طلب أن يطلع عليها ، فأحضرت إليه في الحال ، كما يقول المقدسي ، في أحسن التقاسيم ٤٤٩ حين وصفه لمكتبة عضد الدولة في شيراز بأن الكتب فهارس فيها عناوين الكتب . في معرفة الأقاليم ص لكل نوع من ويذكر شلبي في تاريخ التربية الإسلامية ، الحقائق الكثيرة عن فهارس المكتبات الإسلامية .

ومن ذلك أيضاً ، ما ورد في خطط المقريزي ، بأنه في مصر ومن مكتبة الفاطميين العظيمة دار الحكمة ، التي كانت تشغل أربعين حجرة لم يكن لها فهرس وكان يكتفي بقائمة خاصة لكل حجرة ، وتشمل القائمة عناوين الكتب الموجودة بالحجرة وأرقامها ، وتلصق قائمة كل حجرة على بابها ، ثم حدثنا القفطي في أخبار الحكماء ص ٤٤٠ أن أبا القاسم الجرجاني ، الوزير ، وجد أن مكتبة كهذه لا بد لها من فهرس عام، فأصدر في سنة ٤٢٥ هـ بذلك ، وعين لهذه المهمة القاضي أبا عبد الله القضاعي وأبا خلف الوراق . أمره وفي إسبانيا كما يحدثنا المقري في نفح الطيب ط ١ ص ١٨٦ ، كان المكتبة الحكم فهارس غاية في الدقة والنظام، وهي تدل على أن المكتبة كانت تزخر بمجموعة عظيمة من الكتب فقد روي المقري أن الفهرست الخاص بدواوين الشعراء وحدها كان يقع من أربعة وأربعين جزءاً .

هـ – خدمات المعلومات :

كانت المكتبات في الإسلام تقدم خدمات للمعلومات لا تختلف عن أيامنا الحالية ، فهي تشبه ما يسمى مركز توثيق أو مركز معلومات ، وإذا أردنا أن تعرف مركز التوثيق فإننا نقول أنه الجهاز الذي يقوم بعملية جمع وحصر ونشر وتقديم وترجمة وإفادة الباحثين بالمعلومات اللازمة توفيراً للوقت والجهد المبذولين في الوصول إليها .. كلامنا في فالمكتبة في الإسلام كانت تقوم بهذه الخدمات مجتمعة وسوف يحضر الاستعارة والإرشاد والترجمة والنسخ والتجليد وقد سبق أن أشرنا إلى هذه المهام عند الحديث عن الهيئة المشرفة للمكتبة والآن تتناول الإستعارة، فكان المسلمون يشجعون هذه العملية ، وكانت منظمة ، وفي معجم الأدباء الياقوت ط ٦ ص ٣٧ ما يفيد بوجود الضمان أو التأمين بلغتنا الحالة، ولكن كان يعفى العلماء وأفاضل الناس من دفع ذلك مدح ياقوت الرومي المشرفين على المكتبات ببلدة مرو إذ سمحوا له أن يستعير مائتي مجلد دون أن يدفع ضماناً. الضمان .

فلقدو ابن خلدون سجل في الوثيقة التي أهدى بها كتابه العبر إلى مكتبة p جامع القيروان : أنه لا يجوز إعارة الكتاب إعارة خارجية إلا إذا كان المستعير شخصاً موثوقاً به وأميناً، على أن يدفع ضماناً هاماً ، وأن يرد الكتاب في مدة لا تتجاوز شهرين: ١٠٤٧ The Encyclopaediq of Islam كما وجدت المكتبات التي لا يصرح فيها إستعارة خارجية أنظر في ذلك المقريزي الخطط ط ٢ ص ٣٩٥ حيث اشترط شرط في مكتبة المدرسة المحمودية التي أنشأها جمال الدين محمود بن علي الذي نص في كتاب الوقفية على أنه لا يجوز إخراج أي كتاب خارج بناء المدرسة .

كما ورد في ٢٣٤ .Islamic Culture. III, 1929, p أن القاضي ابن حيان النيسابوري الذي وقف كتبه على أهل العلم اشترط ضمن شروط وقفه الابعاد كتاب منها إعارة خارجية مهما كانت الظروف. التعبير وابن جماعة أورد لنا نصاً ينظم عملية الاستعارة وبالمعنى الذي يمكننا عنه بلائحة الاستعارة في أيامنا الحالية ، وقد أورد النص شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية، ويمكن الرجوع إليه . ثالثاً : أنواع المكتبات في الإسلام : إذا جاز لنا الحديث في هذا العصر الذي نعيشه ونقول أن المكتبات العامة ، والمكتبات الخاصة ، والمكتبات المدرسية، ومكتبات العلماء أو المكتبات الأكاديمية ، تعتبر من أنواع المكتبات ؛ فإننا كذلك إذا رجعنا إلى

أيام الإسلام الأولى نجد هذه المكتبات وإن اختلفت المسميات ، ونستعرض حالياً هذه الأنواع التي سادت العصور الإسلامية .

١ – مكتبات المساجد المكتبات العامة :

يجمع الباحثون على أن المساجد لم تكن مكاناً للعبادة فحسب ، بل كانت مركزاً للحياة الإجتماعية والسياسية ومركزاً لإدارة الأمة أو الدولة بمعنى أصح وتسيير أمورها، كما كانت محط أنظار المسلمين ، ومعقد حلقات العلم. واجتماع العلماء وتعليم أبناء المسلمين العلوم المختلفة من القرآن الكريم والتفسير والقراءة والتجويد والحديث وأصول العربية وغير ذلك ؛ وقد كتبت الدراسات التي في مجال تاريخ التربية في الإسلام حول دور المسجد وتاريخه، ويكفي أن نشير إلى أن أول مكتبة هي بيت الرسول ﷺ حيث كانت مكتبة لجميع ما يدونه كتاب الوحي من التنزيل الحكيم ، ثم نقلت الصحف من بيت الرسول ﷺ ومن الصحابة إلى بيت أبي بكر ، وبعد أن جمعت في مصحف في عهد الصديق على يد زيد بن ثابت أحد كبار كتاب الوحي وحفاظه، ثم حفظت هذه الصحف عند عمر بن الخطاب أيام خلافته ، وبقيت عند حفصة إلى أن استعارها عثمان بن عفان منها ، ونسخ عنها المصاحف وأرسلها إلى الأقطار الإسلامية .

نشأت مع فالمساجد إذن تعتبر مكتبات عامة ، والمكتبات في الإسلام : نشأة المساجد، أما كيف كان شكل هذه المكتبات ونظامها ومجموعاتها ، فقد يحتاج الأمر إلى دراسات خاصة تتعلق بهذا الموضوع فتتناوله من زواياه المتعددة وتحضره لتقدم للمسلمين ذخيرة علمية يعرفون منها فكر المسلمين الأوائل ومساهمتهم في عمليات الاتصال الحضاري في الوقت الذي كانت فيه أوروبا ترزخ في ظلمات الجهل

٢ – مكتبات الصحابة والخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء أو المكتبات الخاصة :

كما سبق يتضح لنا أن المساجد كانت تشتمل على مكتبات عامة يلجأ إليها جميع المسلمين ؛ ولكن رغم سهولة التردد على هذه المكتبات وشمولها وحسن تنظيمها، لم يمنع كل ذلك من وجود مكتبات للصحابة والخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء ، هذا النوع من المكتبات ، كان يمثل إتجاهاً فردياً بحيث يمكننا أن نسميه المكتبات الخاصة فبيوت الصحابة والتابعين كانت تشتمل على كتب مثل القرآن الكريم وحديث النبي ، فأبو هريرة رضي الله عنه المتوفي ٥٩ هـ كانت عنده كتب كثيرة ، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص المتوفي

٦٥ هـ يحفظ كتبه وصحفه في صندوق له حلق ، وإذا حاولنا تحديد أول صحابي فقد كان عند سعد بن عبادة الأنصاري المتوفي ١٥ هـ كتب فيها أحاديث الرسول وهكذا يمر الزمن فنجد الصحابة يعملون على جمع الكتب وحفظها ودراستها وإعارتها وتيسيرها لكل من يطلبها . طائفة من وللمبشر بن ومع مرور الزمن كان الخلفاء والأمراء وبعض الوزراء يلحقون بقصورهم وبيوتهم مكتبات ضخمة ، فقد كان للفتح بن خاقان المتوفي ٢٤٧ هـ وزير المتوكل الخليفة العباسي مكتبة جامعة ، فاتك المتوفي سنة ٤٨٠ هـ أحد أعيان أمراء مصر وعلمائها مكتبة قيمة في العلوم الرياضية وكان للخليفة الناصر لدين الله المتوفي ٦٢٢ هـ مكتبة كبيرة جداً ، كما كان للخليفة المعتصم بالله المتوفي ٦٥٦ هـ مكتبة ضخمة في داره ، فيها نفائس الكتب في مختلف العلوم . والحكمية وغيرها

٣ – المكتبات القومية في الإسلام :

قال القلقشندي في الجزء الأول من موسوعته (صبح الأعشي في ديوان الإنشاء » أنه كان للخلفاء والملوك في القديم بها أي بخزائن الكتب – مزيد اهتمام، وكمال اعتناء ، حتى حصلوا منها على العدد الجم ، وحصلوا على الخزائن الجليلة ، ويقال إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث ، وذكر خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد وهي دار الحكمة أو بيت الحكمة ، وخزانة الفاطميين بمصر (دار العلم، وخزانة بني أمية بالأندلس (مكتبة قرطبة) .

والمكتبات القومية أو الوطنية تقوم عادة بالحصول على جميع ما يصدر الدولة من مصادر وتنظيمها وتحفظها وتقدمها للمستفيدين في كان ذلك من المكتبات الثلاث التي حدثنا عنها القلقشندي واشتهرت

(أ) دار الحكمة : أو بيت الحكمة

١٤٩ – ١٣ هـ ، أول من أسس هذه الدار الجامعة لمختلف المؤلفات هارون الرشيد ثم زودها ابنه المأمون من بعده بالمؤلفات الكثيرة والدواوين الضخمة، وظلت هذه الخزانة حتى استولى المغول على بغداد سنة٦٥٦ هـ . رفوف خاصة . بحسب لغتها وفروع العلم الذي تبحث فيه وزودت بمقاعد للقراءة والمطالعة ، وجعل لها قيم لحفظها وترتيبها وتسليم كتبها إلى القراء ، وما شاكل ذلك ، وكانت أيضاً إلى جانب ذلك تضم فرقاً خاصة للترجمة والنسخ ، فكان المأمون قد راسل قيصر الروح وجلب من بلاده ما عنده من كتب قديمة وأمر

المترجمون عن السريانية ، والفارسية والسنسكريتية لترجمتها ، وكان النساخ ينسخون هذه الكتب اما لقاء جراية معلومة من الخليفة فهم أشبه بموظفين لنسخ الكتب وكتابة عدة نسخ من كل مؤلف ، أو ينسخون على حساب العلماء والأغنياء لقاء أجر معلوم ؛ إذ كثيراً ما يضطر الراغبون في الحصول على كتاب من الكتب أن ينسخوه من بيت الحكمة لانفرادها به .. وقد جعل الرشيد (يوحنا بن ماسويه) مشرفاً عاماً على ترجمة الكتب ، وبيت الحكمة كانت مكتبة واسعة.

بينما جعل المأمون (سهل بن هارون، وهو برتبة وزير، مشرفاً على المكتبة ، لما كان لها من أهمية في نظره ونظر الدولة التي يرأسها ، وزادت محتويات هذه المكتبة بما قدم إليها هدية من الحكام العرب أو غير العرب تقرباً من دار الخلافة الإسلامية ، بالإضافة إلى ما كانوا يبيعونه بأسعار مرتفعة جداً ، فقد أهدى صاحب جزيرة قبرص مجموعة قيمة من الكتب إلى بيت الحكمة وكذلك فعل قيصر القسطنطينية، بعد أن طلبها منه المأمون . ولعل أشهر المترجمين أو المعربين، إنما ظهروا في فترة حكم الرشيد والمأمون أمثال : أبو سهل الفضل ويوحنا بن ماسويه ، وابن البطريق ، وحنين بن إسحاق، وعمر بن الفرحان، وثابت بن قرة (ب) دار العلم : وهي خزانة العبيدين بمصر أنشأت عام ٣٩٥ هـ ، ألحقها الحاكم جمع في العبيدي صاحب مصر بدار الحكمة ، التي أنشأها على غرار جامعات بغداد وقرطبة ، وقد . دار العلم كتب كثيرة ، وأقام فيها المسؤولين وخصص لهم الجرايات وزودها بما يحتاج إليه القراء أي المطالعون ، والنساخ من الحبر والمحابر والأقلام والورق . وانقرضت هذه الخزانة بموت العاضد آخر الخلفاء الفاطميين سنة ٥٦٧ هـ . أنه قد حملت إلى هذه المكتبة الكتب من أحد المؤرخين : ويروي خزائن القصور ، وحمل إليها من خزائن الحاكم من الكتب ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد الملوك أو الخلفاء قط.

من العلماء وأجرى الحاكم بأمر الله الأرزاق على من في دار الحكمة والفقهاء والأطباء وأباح دخولها لجميع طبقات الشعب ، ومذاهب أهل السنة والشيعة ، للقراءة فيها أو للكتابة والنسخ والتعليم والترجمة ، وصارت تعقد فيها الاجتماعات العلمية ، ليحيي فيها الجو العلمي الذي شهدته بغداد في عصري الرشيد والمأمون ، وصار الحاكم يحضر بنفسه أحياناً مجالس المناظرة العلمية ، ويخلع في نهاية كل جلسة يحضرها الخلع السنية على العلماء المساهمين في المناظرة والمناقشة والجدل العلمي والديني والأدبي . وأكد الحاكم بأمر الله بأن ما أوقفه على دار الحكمة من أوقاف ستمولها أبد الدهر . ويقول المقريزي واصفاً هذه المكتبة بأنها لم

تفتح أبوابها للناس إلا بعد ان فرشت وزينت وزخرفت وعلّقت على جميع أبوابها وممراتها الستور ، وعين الكتب لها القوام والخدم وكان البناء عظيماً جداً – إذ كانت عدة الخزائن برسم من سائر العلوم أربعين خزانة تتسع الواحدة منها لنحو ثمانية عشر ألف كتاب وكانت الرفوف مفتوحة والكتب في متناول الجميع وهذا الوصف يدل على أن المقصود بالخزانة ليس ما نعرفه من الخزائن الخشبية أو المعدنية المغلقة بل المقصود قاعة كبرى جعلت الرفوف في جدرانها وخصصت كل قاعة لفرع من العلوم (جـ) مكتبة قرطبة : أنشأها الأمويون ورعاها الخلفاء ، وبلغت اوج ازدهارها في عهد المستنصر (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ) الذي كان له وكلاء في البلاد الإسلامية الكثيرة ، يزودونه بكل ما ينتجه العلماء المسلمون من مؤلفات وأقام لها المستنصر الموظفين للعناية بشؤونها وزاد عدد كتبها عن الأربعمائة ألف كتاب ، ويقول الكاتب كونديه أن الأسبان عندما استولوا على قرطبة أحرقوا في يوم واحد نحو سبعين خزانة للكتب فيها ما يزيد عن مليون و خمسين ألف مجلد .

٤ – مكتبات العلماء أو المكتبات الأكاديمية : إهتم العلماء بالمكتبات وكونوا مكتبات تشبه المكتبات الأكاديمية في هذا الزمان وحرصوا أن تكون في خدمة طلاب العلم والباحثين ، ومن هذه الخزانات أو المكتبات الأكاديمية :

(أ) مكتبة ابن سوار بالبصرة : أسها أبو علي بن سوار الكاتب ، أحد رجال عضد الدولة البويهي ، وكان فيها شيخ يُدرس عليه مذهب الاعتزال .

(ب) مكتبة سابور : في مختلف أنشأ هذه الخزانة سابور بن أردشير المتوفي سنة ٤١٦ هـ ، سنة ٣٨٣ هـ بالكرخ وسماها « دار العلم وزادت كتبها على عشرة آلاف كتاب العلوم . ، وكانت مركزاً ثقافياً هاماً يلتقي فيه العلماء والباحثون للقراءة والمطالعة والمناظرة ، وكان أبو العلاء المعري يكثر التردد إليها عندما كان في بغداد

(جـ) مكتبة الوقف أو خزانة الوقف بمسجد الزيدي ببغداد : أنشأها أبو الحسن علي بن أحمد الزيدي المتوفي ٥٧٥ هـ .

هـ – كان يلحق بالمدارس خزانات أو مكتبات كبيرة تتبعها ، وذلك كالمدرسة النظامية ، والمدرسة المستنصرية ، ومكتبات مدارس دمشق ، ومكتبة المدرسة المكتبات أو خزانات المدارس أو المكتبات المدرسية : الفاضلية بالقاهرة

رابعاً : الوراقة أو دور النشر في الإسلام :

منذ فجر التاريخ وظهور مواد الكتابة ظلت متاجر الكتب أكثر من مجرد مستودعات للكتب، وعلى امتداد العصور كان بائعوا الكتب محبين لها ، وكان أكثر حباً وإهتماماً بها من الآخرين ، ورغم ذلك فقد كانوا جميعاً يتطلعون إلى الكتب قبل تطلعهم إلى الكسب المادي أو الراحة الشخصية . وعبر القرون لم يكن المال ثمرة جهودهم بقدر ما كان الرضا والارتياح والسكينة التي اكتسبوها من وضع كتاب في يد قارىء بقدره .

وبظهور الإسلام وإزدهار الحضارة الإسلامية وإنتشار مجالس الإملاء كثر إنتاج الكتب ، فقد شهدت بغداد في القرن الثالث للهجرة سوقاً كبيرة للوراقين كان بها أكثر من مائة حانوت للوراقة ، ولم يبلغ الشغف بإقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد العالم ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون الأولى له (من القرن ٨ إلى القرن ١١ الميلادي) . وقد كانت نتيجة العمل في الوراقة أن ظهر في العالم الإسلامي وراقين من أمثال ابن النديم، المتوفي بعد سنة ٣٧٧ هـ ؛ وهذا يقودنا إلى الحديث عن الببليوجرافيا كموضوع تعالجه مدارس المكتبات في عصرنا الحديث ، وقد سبقه ابن النديم ومثله أجدادنا العرب المسلمين بأكثر من ألف عام .

فالبحث والدرس والتأليف، يعتمد على قوائم ببليوجرافية وفهارس عامة معدة لكل عام ، وفي كل موضوع من المواضيع بشكل خاص بحيث يتمكن الباحث أن يعرف بالضبط ما هي الكتب التي تبحث الموضوع الذي يود بحثه ، المجلات التي لها علاقة ، وما هي المقالات التي صدرت وتتعلق بنفس الموضوع، وهي مرتبة ترتيباً هجائياً أو مصنفة وتهدف إلى خدمة القارىء وما هي

والباحث وتسهيل عمله وجعل دراسته ميسرة قدر الإمكان. هذا الشيء صحيح بالنسبة للعالم الغربي حالياً ، أما بالنسبة لنا فنحن ما زلنا في بداية الطريق والأمر الذي يؤسف له ، وفي نفس الوقت يجعلنا نفخر بعلمائنا العرب الأفذاذ، فنحن تأخرنا عن ملاحقة التقدم ومتابعة جهد علمائنا ، نقول أن ابن النديم أول من ألف كتاباً

ببليوجرافياً ، إذ يحوي كتابه الشهير الفهرست ولائحة مصنفة ومفصلة بأسماء المؤلفين ، القدامى والمحدثين والمعاصرين ، سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين ، وأسماء كتبهم ولمحة عن حياتهم ، ونجد هذا المرجع الذي هو كنز لا ينضب من المعارف عن المؤلفين والنقلة والكتب اخبار ومعلومات لا نجدها عند غيره مما يجعل له قيمة كبرى في نظر جميع الباحثين .

خامساً : تصنيف العلوم والمعارف في الإسلام : لقد ذاع بين المكتبيين ورجال الفكر والثقافة نظم التصنيف الغربية مثل : تصنيف ديوي العشري ، التصنيف العشري العالمي ، تصنيف مكتبة الكونجرس الأمريكي، تصنيف بلس ، تصنيف كولون وغير ذلك من التصانيف الأجنبية والتي يكانت تهدف إلى التركيز على النظرة غير العربية والغير إسلامية ، وهو ما دفع بأحد الباحثين إلى ترجمة نظام ديوي العشري إلى العربية مرة ومرات ومن باحثين آخريين وبات في حكم النسيان أن العرب يعتبروا سلسلة من سلاسل تقدم الحضارات ، وخاصة في مجال تصنيف العلوم والمعارف تجريدي لقد اعتمدت نظرية التصنيف عند العرب على التصنيف للمعرفة بشكل ، وإعتمدت أكثر من ذلك على الإنتاج الفكري والفعلي الذي انتجه العلماء والمفكرون العرب .. كما إعتمدت هذه النظرية على كل من الاستقراء ، والاستنباط ، وهما جناحاً المنهج العلمي الحديث .

ينبغي علينا دراسة نظم تصنيف العلوم والمعارف في نظر علماء المسلمين وأثرها في الحضارة الإسلامية وألا نغفل هذا الجانب الذي يدرس في مدارس المكتبات دون النظر إلى هذه السلسلة الحضارة الإنسانية فقد كانت الحضارة العلمية العربية ، بما أسهمت به من فكر في مجال ٦ من التصنيف ، إحدى الحلقات القوية التي تشد ما قبلها وتربط ما بعدها في تتناغة وإنسجام .

سادساً : المكتبات في الإسلام ودورها في الإتصال الحضاري :

فيما سبق شاهدنا النهضة العالية التي وصل إليها المسلمون في مجال المكتبات ، ويضيق بنا المقام إذا حاولنا الدخول في موضوعات أخرى كإحتياجات المستفيدين من هذه المكتبات وكيفية تلبيتها ، والفهارس التي كانت تعد للمكتبات وطريقتها ونظامها وأنواعها ، وعمليات الترجمة من اللغات الأخرى ، وعمليات النسخ وتفاصيلها ، وعملية التجليد ، والتزويق والتنميق، والذي وصل مداه وغايته في عصورنا الإسلامية الزاهرة ،

بحيث يمكننا الحكم على هذه المكتبات بأنها مراكز توثيق مكتملة العناصر أو مراكز معلومات بالمعنى الحديث

لنا أهمية هذه المكتبات كمؤسسات علمية تساهم في الحضارة وتتضح وبناؤها في ذلك الزمان من إهتمام المسؤولين بأمر الأعداد المهني لمن يعمل فيها وعدم الرضا بتعيين المستويات الدنيا فيها، فكان لا يعين فيها إلا العلماء والقادرين على فهم محتويات أمهات الكتب التي تشتمل عليها هذه الخزانات أو المكتبات ؛ وأمر إعداد العاملين في المكتبات حالياً أصبح من الأمور التي تدرس في مدارس المكتبات وأصبح الباحثون يشجعون طلاب الدراسات العليا على الخوض فيها وقد سبقنا أجدادنا المسلمين بأكثر من ألف عام في هذا الاتجاه لقد كانت لغة الاتصال الأولى بين السماء والأرض هي أمره عز وجل لنبيه الكريم و إقرأ باسم ربك الذي خلق) . نعم لقد كان الإسلام هو باعث تلك النهضة العربية ، وكانت المكتبات في إحدى علامات تلك الحضارة العربية الخالدة ، لقد شهد القرن التاسع الميلادي حركة مكتبية مزدهرة ، فقد بلغت دور الكتب في بغداد أكثر من مائة في عام ٨٩١م ومكتبة صغيرة كمكتبة النجف في العراق كانت تحوي في القرن العاشر الميلادي أربعين ألف مجلد الوقت الذي كانت فيه الأديرة الأوروبية تقيد العدد القليل من الكتب الذي قد لا يتجاوز العشرة بالسلاسل

نظراً لندرتها وخوفاً عليها من الضياع. إننا نعترف بأن العرب المسلمين إستفادوا من الحضارات السابقة ، وكانوا كذلك من المساهمين في نقل ما سبقهم من حضارات إلى الحضارة الغربية الحالية عن طريق جامعات كل العصور أي الكتب والمكتبات . إن عالماً كابن الهيثم لا توجد أصول كتبه ومقالاته في البلاد العربية ولكنها موجودة في تركيا وباريس ولندن وحيدر آباد بالهند وفي المانيا وفي ليدن بهولندا ...

وعالم واحد كإبن الهيثم له في هذا العصر الذي كان الجهل فيه مخيماً على أوروبا – أكثر من سبعين كتاباً منها ثلاثة وأربعون كتاباً . والعلوم الطبيعية وخمسة كتب في العلوم الرياضية بالاضافة إذا كان هذا هو تاريخنا ، فإن ذلك يدفعنا إلى عشرين كتاباً في الطب نقوي في تقاليدنا الأصيلة في حب الكتاب وتبجيل العلم ما أضعف منه الفلسفة وخمسة ان الأزمان

سادسا : نظم تصنيف العلوم والمعارف في نظر علماء المسلمين واثرها في الحضارة الانسانية.

لقد ذاع بين المكتبيين ورجال الثقافة في أيامنا المعاصرة نظام تصنيف ديوي العشري (١) للمعرفة الإنسانية :«Dewey Decimal Classification> لدرجة أن المكتبات في العالم العربي تتبع معظمها إن لم يكن كلها هذا النظام .

ما قصة هذا التصنيف كنموذج لغيره من تصانيف المعرفة الإنسانية الأخرى، وما أثر النظم العربية الإسلامية لتصنيف المعرفة ونظرتها إلى وحدة العلوم والمعارف الإنسانية، سيكون من مهمة هذه الدراسة توضيح ذلك بيان تطور نظم التصنيف العربية الإسلامية، وعرض نماذج لها. مع إن الأقسام الرئيسية لتصنيف ديوي العشري (٢) ، كما أوضح (لا يذكر (٣) Leidecker» تعتمد تاريخياً وتتبع نظام تصنيف (وليم توري هاريس)

Harriso الذي وضع للمكتبة العامة المدرسية في سانت لويس St. Louis .public school library و درس هاريس فلسفة و هيجل من عام ١٨٥٨ وحتى عام ١٨٧٩ ومن المناسب كذلك أن نقرر أن تصنيف مكتبة الكونجرس الاميركي، اعتمد في بنائه على فلسفة (بيكون في تصنيفه للمعرفة الإنسانية في الوقت الذي سبق علماء العرب المسلمين بيكون في اعتمادهم على المنهج الاستقرائي القائم على الملاحظة والتجربة إن فكرة وحدة العلوم والمعارف قد تدعمت عبر القرون في التصنيف العربي الإسلامي، كما أن هيجل تأثر بفلاسفة المسلمين وعلى ذلك فإن جذور إسهام كل من بيكون وهيجل في عالم المعرفة والتصنيف ترجع في بعض جوانبها وحلقاتها إلى العلماء والفلاسفة العرب وعلى الرغم من أن فكرة وحدة العلوم واعتمادها بعضها على بعض موجودة منذ افلاطون وأرسطو ودارت حولها فلسفة كل منهما، إلا أن هذه الفكرة قد تدعمت ورسخت في التفكير العربي الإسلامي مع عقيدة التوحيد نادى بها الإسلام .التي تطور نظم التصنيف العربية الإسلامية : أقدم هذه التصانيف للعلوم والمعارف هو التصنيف العربي لجابر بن حيان ١٦٠ هـ (١) وجاء بعده الكندي ٢٦٠ هـ (٥) ، ويعتبر تصنيف الفارابي لعلوم عصره (٣٩٩ هـ) من أقدم التصانيف العربية الإسلامية، وأكثرها تأثيرا في التصانيف التي جاءت بعده، وجاء تصنيفه في كتابيه و التنبيه على السعادة، و إحياء العلوم (٦). جميع كما ظهر في متصف القرن الرابع الهجري تصنيف جماعة إإخوا رسائلهم)

الصفا في رسائلهم وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي (٣٨٧هـ (٨) نجد تصنيفا خاصا للعلوم، ثم ظهر ابن النديم في كتابه الفهرست (٣٧٧ هـ (٩) كأول نظام طبق على الكتب. وفي عام ٤٧٩ هـ ظهر (نظام

الاكفاني في كتابه : (إرشاد القاصد إلى أسنى وفي القرن الخامس الهجري بزغ نجم (ابن سينا» الذي تأثر بتصنيف وذلك في رسالته « في أقسام العلوم العقلية (١١). المقاصد (١٠). الفارابي، ثم نجد في القرن السادس نظام السهروردي (١٢) . وأتى فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ (١٣)، وألف كتابه حدائق الأنوار في حدائق الأسرار، وهو كتاب رتبت فيه المواد حسب المواضيع فيه وأسماء الكتب المؤلفة في كل علم من العلوم مع ذكر اسم

ذكر للعلوم المؤلف ونبذة عن حياته. وأتى بعده السنجاري في القرن الثامن، وقطب الدين الشيرازي ٧١٠ هـ (١٤) ونحا نحو سابقه في كتابه درة التاج لغرة ديباج . ولا ننسى فضل ابن خلدون (١٩)، الذي قام بمسح للآداب والعلوم في العالم الاسلامي محددا أهداف ونطاق كل واحد منها، ويعتبر تصنيفه ملخطا – لخطة – دراسة العلوم والآداب في المعاهد الإسلامية الدينية خلال القرون الماضية، وقد اعتبر تصنيفه الصيغة النهائية للتقسيم الإسلامي للعلوم. كتابه مفتاح وأخيرا يأتي طاش كبرى زاده (٩٦٨ هـ (١٦) في و مصباح السيادة، ويتفق معظم الباحثين على أنه أكمل التصنيفات العربية والإسلامية، حيث جعل التصنيف علما مستقلا بذاته، فهو يعرفه التعريف التالي : « هو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المتدرجة تحت ذلك الأعم، ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم كذلك. أن طاش كبرى زاده استخدم في تصنيفه المنهجين ويشير التعريف إلى الاستقرائي والاستنباطي، وبذلك جاء تصنيفه أقرب التصانيف إلى الأنظمة الحديثة .

ولكي ندرك أهمية الجهود الفكرية لعلمائنا العرب المسلمين الذين سبقوا نظم التصنيف السائدة الأجنبية وخاصة «ديوي» الذي ظهر وعم انتشاره، وبالتحديد ظهر في عام ١٨٧٦ ، أقول أنه لا بد من عرض تفصيلي النماذج من تصنيف المعارف والعلوم كما حددها كل من الفارابي، وابن النديم، وابن خلدون، وطاش بن زاده نماذج من نظم التصنيف العربية والإسلامية : تصنيف الفارابي للعلوم

أولاً : اللغة :

١ – تركيب الألفاظ وترتيبها .

٢ – النحو والصرف قواعد النطق والكلام

ثانياً : المنطق : بما يشمل من تقسيم وتركيب للأفكار البسيطة ويتضمن المنطق بعد تعريف المصطلحات خمسة أقسام وهي :

١- الظروف الضرورية للمقدمات المنطقية التي ستؤدي في القياس المنطقي إلى معرفة معينة .

٢ – تعريف القياسات المنطقية المفيدة ووسائل اكتشاف البراهين الجدلية

٣- اختيار الأخطاء في البراهين وفي التبرير المنطقي وطرق تفادي هذه الأخطاء .

٤ – تعريف الخطابة والقياسات المنطقية اللازمة لعرض المناقشة أمام الجمهور . ٥- دراسة الشعر وكيف يمكن أن يتلاءم مع كل موضوع، اخطاؤه ونواقصه .

ثالثاً : العلوم التمهيدية

: العملي والنظري

: كخطوط وسطوح الأجسام الخشنة والحديدية والحائط والأرض . النظري : كخطوط وسطوح الأجسام على الأرض وهي تقسم كسطوح ومجسمات .

علم المناظر وهو يقسم إلى فرعين : الفحص لما ينظر بالاشعاعات المستقيمة والفحص عما ينظر إليه بالاشعاعات غير المستقيمة وهو علم المرايا .

علم السماء : علم النجوم ، ويشمل : علم التنجيم وحركات وأشكال الأجسام السماوية

هـ – الموسيقى : العملية – وتشمل اصناف الألحان والآلات الطبيعية والصناعية . والموسيقى النظرية وتشمل المبادىء وأصول استخراج النغم مطابقة الأصول بالأقاويل وأوزان النغم وتأليف الألحان .

٦ – علم الأوزان : بما تشمل تقدير للأثقال وفحص أصول الآلات التي ترفع الأشياء الثقيلة

علم صناعة الأدوات : أي صناعة الآلات البسيطة والأدوات اللازمة لمختلف الفنون والعلوم مثل الفلك والموسيقى

رابعاً : الفيزياء و علوم الطبيعة) :

١ – معرفة المبادىء التي تشترك فيها الأجسام الطبية

٢ – معرفة طبيعة وصفات العناصر والمبادىء التي يمكن بواسطتها أن تحدد هذه العناصر لتكون الأجسام . علم نشوء وتوالد وفساد الأجسام الطبيعية الأربعة وصفاتها .

–٣ علم تفاعلات العناصر لتكوين المركبات هـ – علم الاجسام المركبة والتي تكونت من العناصر الأربعة وصفاتها .

٦– علم المعادن .

٧ – النباتات

_٨الحيوانات

خامساً : ما وراء الطبيعة :

1 – معرفة جوهر الأشياء .

2 – – معرفة أصول العلوم الجزئية والعلوم التي تتصل بالمشاهدة والملاحظة الفلسفة الأولى لأرسطو» وهي

3 – معرفة الموجودات التي ليست لها أجسام وصفاتها وذلك للوصول في النهاية إلى معرفة الحقيقة الله وأحد اسمائه هو الحق وهي

سادساً : علم المجتمع :

١ – الفقه بما يشمل من الآراء والأفعال تصنيف ابن النديم يقسم المؤلف كتابه إلى عشرة أقسام أو عشر مقالات كما يسميها هو، وهو يتبع في تبويب كتابه التدرج الطبيعي والمنطقي، فيذكر اسماء المؤلفين وعناوين مصنفاتهم في ذلك العلم. وقد افتتح كتابه بمقدمة عن فضل العلم والقلم والكتاب وما ورد في العزيز والسنة المطهرة والأقوال المأثورة من العلماء ذلك في الكتاب والمشاهير ثم ينتقل بعد ذلك فيذكر جميع المقالات : أولا : المقالة الأولى : وصف لغات الأمم من العرب والعجم ونعوت أفلامها وأنواع خطوط وأشكال كتاباتها وأسماء الشرائع المنزلة في القرآن وأسماء الكتب المصنفة في علوم وأخبار القراء وأسماء رواتهم والشواذ من قراءاتهم .

ثانيا: المقالة الثانية: يذكر فيها ابتداء النحو وأخبار النحويين البصريين والكوفيين وأخبار الذين خلطوا المذهبين وأسماء كتبهم.

ثالثا : المقالة الثالثة: اخبار المؤرخين والرواة والنسابين وأصحاب السير وأخبار الملوك والكتاب وأصحاب الدواوين وأخبار الندماء والجلساء وأسماء كتبهم

. رابعا: المقالة الرابعة : أسماء الشعر والشعراء وأخبارهم وطبقاتهم عن الجاهلية والاسلاميين وصناع دواوينهم وأسماء رواتهم.

خامسا: المقالة الخامسة : علم الكلام والمتكلمين من الفرق وأخبار السباح والزهاد وأسماء كتبهم

. سادسا : المقالة السادسة : الفقه والفقهاء وما ألفوه من كتب، والمحدثين راسماء مؤلفاتهم.

سابعا : المقالة السابعة : الفلسفة والفلاسفة والعلوم القديمة وأسماء الكتب المؤلفة فيها .

ثامنا: المقالة الثامنة : الأسماء والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة وأخبار المصورين وأسماء الكتب المصنفة فيها. تاسعا: المقالة التاسعة مذاهب الحرنانية والثنوية والهند وأسماء

كتبهم عاشرا : المقالة العاشرة : أخبار الكيماويين والصنعويين من الفلاسفة القدامى والمحدثين وأسماء كتبهم.

تصنيف ابن خلدون قسم ابن خلدون العلوم التي تدرس في العالم الإسلامي إلى قسمين رئيسيين هما: العلوم الفلسفية العقلية (وهي التي يمكن أن يتعلمها وأن يصل إليها الانسان طبيعيا بنفسه وعن طريق استخدامه لعقله وذكائه الذاتي». العلوم المنقولة (وهي التي يمكن أن يتعلمها الانسان فقط بالنقل، العلم وأصله. وفي حالة وان يتتبع – لوصوله إلى المعرفة – العودة إلى مؤسس العلوم الدينية إلى أصل الوحي.

العلوم الفلسفية العقلية:

١ – المنطق .

٢ – العلوم الطبيعية الطب أو الفيزياء – الزراعة .

علوم المخلوقات ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقيا الحقية للحروف الهجائية.

علم الصفات علم الكيمياء.

العلوم التي تتصل بالكمية : – الهندسة و البصريات المستوية والدائرية. الحساب و خواص الاعداد فن ،العدد الجبر، التجارية، حساب الميراث. الموسيقى . الفلك وعمل الجداول الفلكية حركة الاجرام السماوية، علم التنجيم .

العلوم المنقولة:

١ – القرآن والتفسير وتلاوته .
٢ – الحديث أقوال الأنبياء وسلسلة المصادر التي نقلت عنها.

٣–الفقه والقانون الإلهي .

٤ – العلوم اللغوية مثل القواعد في الأدب.

تصنيف طاش كبرى زاده قسم إلى ست دوحات ودأب المؤلف أن يمهد لكل دوحة بمقدمة لطيفة قيمة توضح مجال العلوم التي تشتمل عليها الدوحة وتعلل كيفية تقصيها بالصورة التي وردت فيها بحيث لا يترك القارىء

عرضة للحيرة، ثم يقسم . كل دوحة إلى عدد من الشعب وكل شعبة إلى عدد من العلوم ، وهناك علوم تحتاج إلى تفريعات وفيما يلي تفصيل هذا التقسيم :

أولا : الدوحة الأولى : العلوم الخطية.

ثانيا : الدوحة الثانية : العلوم المتعلقة بالألفاظ والمصنفين في هذا الباب والعروضيين والمترسلين واللغويين والنحويين والقراء، وذكر علم التاريخ واسماء المؤرخين وتراجمهم وأسماء الكتب المدونة فيها.

ثالثا : الدوحة الثالثة : العلوم الباحثة عما في الأذهان من المعقولات الثانية فدرس علم المنطق وعلم آداب الدرس وعلم الجدل وعلم الخلاف وأسماء المؤلفين فيه.

رابعا الدوحة الرابعة : العلم المتعلق بالأعيان فبين العلوم الحكمية وعلم الكلام ومقالات الفرق والطب والفلاحة وغير ذلك وأسماء الكتب المصنفة وأسماء مؤلفيها وتراجمهم.

خامسا : الدوحة الخامسة الحكمة العملية، مثل علم الاخلاق وتدبير المنزل والعلوم الشرعية مثل القراءة والتفسير والحديث والفقه والأصول وبين تراجم العلماء والكتب المصنفة في هذه العلوم. سادسا: الدوحة السادسة : العلوم المتعلقة بالتصفية التي هي ثمرة العلم بالعمل، وهي ما يسميها الباطن. وفي نهاية عرض هذه التصانيف العربية الإسلامية وبمقارنتها بنظم تصنيف المعرفة الإنسانية الأجنبية، يتضح أن علماء المسلمين أثروا تأثيراً التأكيد على حقيقة تفاعل واضحا في الحضارة الإنسانية مما يوصلنا إلى الحضارات والثقافات مع بعضها .لقد أخذ العرب عن اليونان ولكنهم أسهموا في الحضارة الإنسانية بإنتاج اصيل. في أوائل عصر وأخذت الحضارة الأوروبية عن العرب الكثير النهضة.

سابعا : توثيق العلوم والمعارف في الاسلام وأثر ذلك في الحضارة الانسانية :الترجمة أو التعريب مقدمة : يعرف علماء المكتبات والمعلومات التوثيق بأنه « العمليات الفنية التي تشتمل على جمع وحصر وتنظيم وتحليل وترجمة ونشر وتصوير وتقديم المعلومات من المصادر المختلفة إلى طالبيها في أقصر وقت وبأقل جهد ممكنين (١) أي أن الترجمة ، عامل أساسي من عوامل إكتمال التوثيق ، ذلك مفهوم أدركه العلماء العرب والمسلمون وأدركه الخلفاء المسلمون ، فليس من الحكمة الاعتماد على لغة واحدة، بل لا بد من تماذج الثقافات .. وكانت المكتبات أو بيوت الحكمة (٣) تشتمل كذلك على أقسام للترجمة، بحيث يمكننا إعتبارها

مراكز للتوثيق كاملة بالمفهوم الحديث Documentation Centers ، تقدم المعلومات لطالبيها مهما تعددت لغاتها

المنشورة. ومن أجل هذا أردت تقديم دراسة لنتبين فيها الجوانب التالية : عوامل ازدهار الترجمة اللغات المترجم عنها ، أساليب الترجمة وأهميتها هذا بجانب :

أولاً : أثر الاسلام في الفكر العربي . الترجمة .

ثانياً : تطور

ثالثاً : بيوت الحكمة (المكتبات) والترجمة

رابعاً : الدور الحضاري للترجمة .

عوامل ازدهار الترجمة : سنة ٨٥ هـ بدأت حركة الترجمة في العصر الأموي بصورة محدودة ، وخاصة في العلوم العلمية كالطب والكيمياء ، وأول من فعل ذلك خالد بن يزيد المتوفى وكان مولعاً بالعلوم، وخاصة الكيمياء ، فدرسها وشجع على ترجمة كتبها إلى العربية، وكان تعريب عبد الملك من مروان دواوين الدولة من أعظم الدوافع لحركة الترجمة ، ومن أولى الخطوات الممهدة لها . فقد كان تعريب الدواوين الخطوة الأساسية الأولى لتعريب الثقافة عموماً . وقد ازدهرت الترجمة في العصر العباسي الأول ازدهارا عظيماً ، فنقلت إلى اللغة العربية علوم الأمم المتمدنة في العصور القديمة ، وقد شجع الخلفاء العباسيون الأولون حركة الترجمة ، وتابعهم ذلك الوزراء والأمراء من المعرفة .

محبي اللغات المترجم عنها : وكان أكثر الترجمة عن اليونانية ، فقد ترجم عنها كتب الطب والعقاقير والمنطق والفلسفة والفلك والرياضيات والهندسة والموسيقى عن الهندية عدد من الكتب في الطب والحساب والنجوم. وترجموا عن الفارسية كتب الأدب والتاريخ والادارة ومراسيم البلاط والقصص . . وترجم العرب

أساليب الترجمة :

كل وكان للمترجمين أسلوبان في الترجمة أحدهما الأسلوب الحرفي بترجمة كلمة والأسلوب الثاني هو أن يفهموا معنى الجملة فيكتبوها بالعربية وبذلك تكون الترجمة واضحة مفهومة والثانية هي المفضلة. وقد أتبعها كبار المترجمين .

وقد اشتغل بالترجمة عدد كبير من التراجمة والعلماء من العرب .. ومن أشهر المترجمين الى العربية آل بختيشوع الذين اشتهروا وغيرهم بترجمة كتب الطلب . أهمية الترجمة : بدأت حركة الترجمة المنظمة حوالي منتصف القرن الثاني الهجري واستمرت حتى نهاية القرن الرابع الهجري. وفي خلال هذه المدة تم نقل معظم الكتب العلمية إلى اللغة العربية . فكان ذلك من الأسس الراسخة التي قامت عليها حركة الفلسفة والعلوم عند العرب . وكان ذلك من الأدلة البيئة على محبة العرب للمعرفة، وإحترامهم للفكر حيثما كان مصدره .. العصر العباسي وعلى نمو

لقد ساعدت الترجمة على إزدهار الفكر في الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية عند العرب . على أن عمل أولئك المترجمين لم يقتصر على نقل النصوص الفلسفية والعلمية من لغة إلى لغة فقط، وإنما أوجدوا مصطلحات فلسفية وعلمية عديدة عن طريق التعريب ، الألفاظ العربية العامة للمعاني الفلسفية والعلمية المحددة . وقد نقل كثير من هذه الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية فكانت من أهم الحوافز على حركة إحياء التراث اليوناني والروماني في أوروبا مما ساعد على ظهور النهضة الأوروبية. وتجري الآن حركة واسعة لجمع ما بقي من هذه الترجمات العربية، وتحقيقها ونشرها. وقد تم نشر عدد منها ، الفلسفة والطب والعلوم الأخرى والاشتقاق وتخصص

أولاً : أثر الإسلام في الفكر العربي : هو نقد بشر الإسلام منذ أول عهده بالعلم ، وظل هذا الاتجاه دائماً. الاتجاه السائد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية .

جاء في قوله تعالى(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (١) قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) . (٣) وقل رب زدني علماً) (٣) ، وغير ذلك كثير.

القرآن الكريم :

ونحن نعلم أن نبي الإسلام محمد الله قد اتخذ موقفاً عظيماً من العلم والتعليم منذ أول تأسيس الدولة الإسلامية، ذلك أنه حرص منذ البداية على تعليم أولاد المسلمين ؛ فنراه قد أمر في أعقاب غزوة بدر الكبرى الأسرى الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة بأن يعلم كل منهم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة في نظير فدائه. ثم تتابعت الأحاديث النبوية تحث المسلمين على التعلم ، وتدفعهم إلى طلب العلم (٣) ، ومن هذه الأحاديث : ..اطلب العلم من المهد إلى اللحد. طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) و(من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ..) (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب ولمداد ما جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء في سبيل الله ..) والأحاديث كثيرة في مجال الحث على العلم والتعلم والتعليم وقد حصرها الإمام البخاري في صحيحه وكان الخلفاء يوصون ولاتهم بأن يتعلم المسلمون القرآن والحديث وان يحكمو بينهم بالعدل بحسب ما جاء في القرآن والسنة . واتسعت دائرة التعليم من القرآن والحديث لتشمل علوم الدين واللغة والعلوم الأخرى . وكان لا بد من الرجوع إلى الثقافات الأخرى في مجالات الطب والفلك والهندسة والكيمياء وغير ذلك

ولم يكن ما نفذه العرب من ثقافات ليحفظ في المتاحف والأقبية بعيداً عن النور والهواء ، كلا إن كل ما أنقذوه من الفناء قد خرجوا به من عالم النسيان والتعفن وبعثوا فيه حياة جديدة وجعلوه في متناول كل راغب عن طريق ترجمته. وقد ترجموه ليس إلى لغة جامدة غريبة عن الشعب لا يفهمها إلا الخاصة ، كاللاتينية في الغرب منذ القرن الثامن الميلادي . بل ترجموه إلى لغة حية في كل مكان آنذاك لغة القرآن . وكانت هذه الترجمة هي العماد الثاني الذي قامت عليه الثقافة العربية الإسلامية ، فكل مسلم يجب عليه أن يقرأ أو يتلو القرآن بالعربية ، وكل مسلم يتعلم ويفهم اللغة (٤) .

ثانياً : تطور الترجمة :

تعتبر الترجمة أو عملية النقل من أهم طرق تسرب الثقافات الأجنبية ، وقد أخذت من إهتمام المسلمين العرب الشيء الكثير، ولكن العلماء يقسمونها إلى مراحل فيما يلي :

١- النقل في العصر الأموي

اللغة إن أول من إهتم من المسلمين العرب بنقل العلوم الأعجمية | بن يزيد بن معاوية (المتوفى عام ٨٥ هـ) فقد أخفق في نيل الخلافة فصعد ميوله نحو طلب العلم والانفاق على العلماء ونقل الكتب حكيم آل مروان، وقد أمر بإحضار جماعة من العربية خالد ، هو ٣ إلى العربية ، حتى سمى فلاسفة اليونان ممن كان ينزل في مصر وقد تفصح بالعربية ، وقد أمرهم بنقل

الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقطر العربي ، وكان من بينهم راهب رومي اسمه و مريانوس ، طلب إليه أن يعلمه صناعة الكيمياء ، فلما تعلمها أمر بنقلها إلى العربية فتقلها له رجل اسمه اسطفان القديم، وهذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة) . وانكب خالد بن يزيد على تعلم علم النجوم إلى جانب تعلمه الكيمياء ، فاستحضر المنجمين وأنفق أموالاً طائلة في استحضار آلات للرصد من الاسكندرية ، ولعله أمر بترجمة بعض كتب هذا العلم، مما لم يصلنا خبره ؛ وفي عهد مروان بن الحكم نقل الطبيب السرياني و ما سر جويه ، إلى العربية كتاباً طبياً باللغة السريانية هو كناش أهروين بن أمين وحفظت هذه الترجمة العربية في دمشق حتى أيام عمر بن عبد العزيز ، وبثت إلى الناس للانتفاع بها ، كما ذكر ابن التدين في الفهرست آن سالماً كاتب هشام بن عبد الملك نقل إلى العربية رسائل أرسطو إلى الاسكندر)

النقل في العصر العباس الأول : تقسم الترجمة في هذه الفترة إلى أدوار فيما يلي : الدور الأول : من خلافة المنصور إلى آخر عهد الرشيد (١٣٦ – ١٩٣ هـ):

إهتم المنصور وخلفه من الخلفاء وخاصة الرشيد والمأمون بالتنجيم فقرب إليه نوبخت المنجم الفارسي ودعاء إلى الإسلام فأجاب ، وقرب إليه كذلك ابن نوبخت أبا سهل ، وظل آل نوبخت يترجمون للعباسيين الكتب المختلفة وخاصة ما يتعلق منها بالتنجيم ...

وقرب كذلك المنصور المنجم ابراهيم الفزاري وابنه محمد ، وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم ، وبعض الهنود ، وأمر المنصور ابراهيم الفزاري له كتاب السند هند الكبير الذي بقي أصلا في حركات الكواكب ان يترجم حتى أيام المأمون

من ثم أخذ المنصور يهتم بالطب، حين أصابته بمرض في معدته ، فاستدعى جورجيوس بن بختيشوع السرياني رئيس أطباء جند نيسابور وكان يعرف اليونانية والسريانية والفارسية والعربية فنقل عدداً ، الكتب الطبية إلى العربية .

ولم يتفرع المهدي والهادي للترجمة ، وإن إستمرت حركة النقل تسير سيرها الطبيعي بما يقوم به الأطباء من تعريب ، حتى الرشيد ، فاهتم بالترجمة هو والبرامكة حيث أمر طبيبه يوحنا بن ماسويه بترجمة كتب كثيرة ، وكذلك أمر البرامكة بنقل الكثير من الكتب الفارسية واليونانية ، فنقل كتاب المجسطى لبطليموس عن اليونانية ونقلت كتب طبية عن والهندية كان عصر الهندية

جالينوس في كما نقل كتاب اقليدس على يد الحجاج بن مطر ، وبعض كتب أرسطو في المنطق ، وبعض مؤلفات أفلاطون ، وأهم كتب ودخلت الفلسفة اليونانية إلى أبحاث العرب . الدور الثاني : عصر المأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـ): لقد كان المأمون عالماً كبيراً بجانب كونه خليفة ، لقد أعطى وزن ما الطب ، بترجم له ذهباً ، ، وكان يضع علامة على كل كتاب يترجم له ويشجع الناس على قراءة الكتب المترجمة وبرغبهم في تعلمها ، ويضع الجوائز الكبيرة للفائزين في المناظرات التي كانت تجري تحت إشرافه المباشر أو تحت رعايته . واقتدى بالمأمون أهل الوجاهة والثروة فتقاطر المترجمون من النساطرة واليعاقبة والصائبة والمجوس والروم والبراهمة وغيرهم على بغداد، وكثر الوارقون وباعة الكتب، وراجت صناعة العلم والأدب واغتنى محترفوها . وشملت الكتب المترجمة جميع المواضيع ، ففي الفلسفة ترجمت كتب وفي الطب كتب سقراط وجالينوس ، وفي الرياضيات أفلاطون وأرسطو، والنجوم كتب اقليدس وارخميدس ومنالاوس وأشهر المترجمين في عصر المأمون أحمد بن محمد الفرغاني أحد منجمي المأمون ويختيشوع جورجيس طبيبه وجبرائيل الكمال المأموني .

والحسن بن سهل بن نوبخت وموسى من شاكر وبقوه محمد وأحمد والحسن الناس بالهندسة وعلم الحيل ، وغيرهم كثير مما لا يحصرهم عادى. الدور الثالث : حركة الترجمة والنقل بعد المأمون : إستمرت الترجمة والنقل بعد وفاة المأمون، وشاعت اللغات الأجنبية أصبحت الهندية واليونانية والفارسية لغات شائعة عند الطبقات بين الناس حتى المنادية التي لم تصل إلى رتبة العلماء. ومن أهم ما ترجم بعد المأمون كتاب الفلاحة النبطية نقله إلى العربية أحمد بن علي بن المختار النبطي المعروف بابن وحشية سنة ٢٩١ هـ ، وظل معتمد أهل الزراعة إلى أمد غير بعيد وترجمت أسفار التوراة نقلها سعيد القيومي المتوفى عام ٣٣٠هـ

وكتب عديدة عن آداب الهند وعلومهم المختلفة، نقل بعضها أبو الريحان البيروني المتوفى عام ٤٤٠ هـ ا بيوت الحكمة (المكتبات) والترجمة : إهتم المسلمون بالترجمة إهتماماً كبيراً إلى درجة أنه كان يوجد في المكتبات القومية بالمعنى المعاصر أي بيوت الحكمة بالمعنى التاريخي .

مترجمون يقومون بعملية الترجمة اللازمة. والترجمة كما سبق أن عرفنا التوثيق جزء رئيسي من عملياته الهامة ، وكذلك فهي عنصر من أهم عناصر نشر المعرفة والعلوم الانسانية. من أجل هذا كانت بيوت الحكمة في بغداد والقاهرة وقرطبة عامرة جمين وقد ذكر كرد علي (٩) أن خالد بن يزيد (٨٥ هـ) كان أول من عرفت له مكتبته ، ويقول عنه ابن النديم (١٠) أنه عني بإخراج كتب القدماء ، وكان أول من ترجمت له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء .... وقد سبق الحديث عنه في الدور الأول من تطور الترجمة ..

ولكن الترجمة وصلت قمتها في بيت الحكمة ، ومن مشاهير المترجمين فيها أبو سهل الفضل بن نوبخت، ويقول ابن النديم عنه (١١) إنه كان في خزانة الحكمة لهرون الرشيد ، وله نقل من الفارسي إلى العربي ، وقد أخبرنا ابن أبي صبيبعة في كتابه طبقات الأطباء (١٣) بأن الرشيد قلد يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب القديمة مما وجده بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أميناً على الترجمة .

واستمر إهتمام المأمون بترجمة الكتب التي تودع في بيت الحكمة أو خزانة الحكمة ، وقد سبق دراسة عصره، وإشتهرت بعض المكتبات الخاصة بالحرص على النقل والترجمة ، ومن هذه مكتبة بني شاكر وهم محمد وأحمد والحسن ، وقد كان لهم مترجمون لا يفتأون ينقلون لهم ويلازمون العمل في مكتبتهم ومنهم حبيش بن الحسن وثابت بن قرة (١٣)

رابعاً : الدور الحضاري للترجمة :

هي كما سبق أن أوضحنا بأن من أهم عوامل نقل الثقافة من قومية إلى أخرى الترجمة ، وقد قدم العرب عن طريق الترجمة تراث الدنيا القديم بإنتهاء القرن الثالث الهجري، في العلم والأدب والفن والفلسفة ، وعلى الجملة كل ما وقع تحت أيديهم من معلومات خلفتها الحضارات السابقة .

ترجموا كتباً في الكيمياء عن مصر القديمة ، ولا يعرف عنها شيء للأسف ، وترجموا عن اليونان كتب الطب والرياضيات والفلك وأحكام النجوم والجغرافيا والفلسفة والأدب، والموسيقى والميكانيكا ؛ وترجموا عن الفرس كتب الأدب والسير والشعر والتاريخ والأخبار، وأحكام النجوم ؛ وترجموا عن الهنود كتب الطب والفلك وأحكام النجوم والرياضيات والتاريخ والأخبار والأسمار والأدب والموسيقى ؛ وترجموا عن النبط (سكان ما بين النهرين) كتاب الفلاحة النبطية ، وبعض كتب السحر والأصنام والطلاسم والقرابين ، وغير ذلك من هذا القبيل مختلف فروع ثم أنهم لا بد ترجموا كتب العبرانيين والمسيحيين الدينية ، وبذلك أكتمل لديهم تراث الفكر الإنساني القديم كله تقريباً في المعرفة ، في ترجمات جيدة . يتبين مما سبق أن الإسلام ذاته، بما بشر به من تعاليم واضحة جداً تحض على العلم والتعلم والتعليم وتفضل العلماء على الجهلاء ، كان الدافع الأول لحركة الترجمة والنقل والتعريب . ثانياً ، أن الخلفاء والأمراء العرب الأصلاء كانوا المحرك الأكبر ، والراعي الأول لهذه الحركة ، والسبب المباشر في إستمرارها وازدهارها (١٤) وبهذا لعبت الترجمة دوراً حضارياً هاماً نقل المعارف والعلوم الانسانية إلى الدنيا كلها في وقت كانت معرضة للفناء والنسيان في

نشأة الفنون الإسلامية :

ازدهرت فنون عمارة المدن والقصور والنحت والتصوير لدى بعض الدول العربية القديمة خاصة في اليمن والبتراء وتدمر . ولم تتطور مثل هذه الفنون عند عرب الحجاز قبل الإسلام. وعندما ظهر الإسلام وقامت دولته وإتسعت رقعتها فشملت بلاداً واسعة، نشأت في المجتمع الجديد وتطورت فيه فنون مختلفة ، إلى جانب نشأة النظم والعلوم والآداب . وتعتبر الفنون الإسلامية من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية ، ولا تزال هذه الفنون من عمارة وتصوير وزخرفة وكتابة مائلة في البلاد الإسلامية أو التي وصلت إليها حضارة الإسلام . نجد هذه الآثار في المباني في بلاد العراق والشام وتركيا وإيران ، وفي مصر إليها حضارة الإسلام. نجد هذه الآثار في المباني في بلاد العراق والشام وتركيا وإيران، وفي مصر وشمال أفريقيا والمغرب ، وفي الأندلس ، وكذلك في الهند وباكستان وغيرها. كما نجد الكثير من المخلفات الأثرية

الإسلامية في متاحف العالم المشهورة . والفنون التي تنشأ عند مختلف الأمم تتأثر عادة بعوامل مختلفة . وكل من هذه الفنون يأخذ من الفنون التي سبقته، ويتأثر كذلك بفنون البلدان

المجاورة وأحياناً بفنون البلدان البعيدة. وتشترك الفنون التي ازدهرت في العالم الإسلامي بصفات تميزها عن الفنون الأخرى كالبابلية والفرعونية والساسانية واليونانية والرومانية والبيزنطية التي تتابعت في بلاد الشرق على مر القرون قبل مجيء الإسلام. وقد كان من الطبيعي أن يستفيد المسلمون من التقاليد الفنية التي كانت سائدة في البلاد التي فتحوها . على أن تعاليم الإسلام وطبيعة المجتمع الإسلامي وحاجاته الدينية والدنيوية هي الإطار الهام للفنون الإسلامية وأعطتها خصائصها العامة المميزة . حددت التي العمارة والتصوير وقد أخذت معالم الفن الإسلامي تظهر منذ العصر الأموي ثم تطورت من جيل إلى جيل. ومع الزمن ظهرت أنماط مختلفة والزخرفة إرتبطت بفترات زمنية معينة أو بأقاليم معينة من العالم الإسلامي . على أنها اشتركت جميعاً بخصائصها العامة .

ومن أهم العوامل التي ساعدت على تطور وغنى الفنون الإسلامية إستعداد الحكام المسلمين للاستفادة من الصناع والفنانين الذين ينتمون إلى اجناس مختلفة وأديان متباينة. ومن هذه العوامل عدم تردد المسلمين بالأخذ من الأساليب الفنية التي كانت معروفة قبل الفتوحات الإسلامية . فقد استفادوا من الأساليب الفنية البيزنطية التي كانت سائدة في الشام ومصر وشمال افريقيا ، ومن الأساليب الساسانية التي عرفت في العراق وإيران . وكانت هذه الفنون السابقة متأثرة بدورها بعناصر يونانية وشرقية قديمة . وكذلك كان للثروة وحياة الترف التي شهدها المجتمع أكبر الأثر في نهضة الفنون .

العمائر المساجد :-

يحتل المسجد مكانة خاصة في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية عند المسلمين ، وهو أقدم الأبنية التي اهتم بها المسلمون . فعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة واستقر بها اتخذ له مسجداً كان المركز العام للمسلمين، واتخذت معظم القبائل التي أسلم أفرادها في المدينة مساجد خاصة لهم ، غير أن مسجد الرسول ﷺ كان هو المسجد الرئيسي وقد أصبح الأساس الذي سار عليه تخطيط المساجد الإسلامية . وكان إنشاء الرسول ﷺ للمسجد أول عمل قام به عليه السلام بعد إستقراره في المدينة ، وكان ملاصقاً لمنازله وكان مكوناً

من رحبة) صحن) واسعة تحيط بها جدران من جهاتها الأربع . وطول كل جدار حوالي سبعين ذراعاً ، وكان في البداية مكشوفاً ثم انشئت في جهته الشمالية المقابلة لجهة بيت المقدس ظلة ، وهي سوار من جذوع النخل يقوم عليها سقف من سعف النخيل . ولما تحولت القبلة إلى الكعبة أنشئت ظلة أخرى في جهته الجنوبية تقي المصلين حر الشمس ، وبقيت الظلة الأولى مكاناً لأهل الصفة ، وكان ما بين الظلتين رحبة واسعة مكشوفة ، أما جدرانه فقد بنيت باللبن، وجعل له ثلاثة أبواب اثنان منهما من جهة الشرق والثالث من جهة الغرب. وكانت تحيط به بيوت الصحابة من المهاجرين. وفي السنة السابعة للهجرة ضاق المسجد بالمصلين بعد أن ازداد عدد المسلمين ، فوسعه الرسول ﷺ وجعله مربعاً يبلغ كل ضلع من أضلاعه حوالي (١٠٠) ذراع وهي تساوي (٥٠ متراً تقريباً) وكانت تمتد في ظلته ثلاثة صفوف من جذوع النخل . وقد زاد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في المسجد فجعل أضلاعه) ١٢٠ × ١٣٠ ذراعاً) وجعل أساطينه من لبن وسقفه من سعف النخيل ، فزاد في أبوابه فجعلها ستة أبواب . ثم زاد الخليفة عثمان بن عفان (رض) في المسجد فجعله (١٦٠ × ١٨٠ ذراعاً) وبنى جدرانه بالحجارة المنقوشة والجص وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه من الساج وأبقى له ستة أبواب .

وقد ظل المسجد النبوي بعد ذلك على حاله مدة ستين سنة فلما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة أمر بهدم المسجد وبنائه من جديد . وقد وسعه وجعله (٢٠٠ × ١٦٠ ذراعاً) وقد جعل بيت الصلاة خمس بلاطات (البلاطة المساحة المحصورة بين صفين من الأعمدة لكل منها صف من سبعة عشر عموداً مبنية بالحجارة ، ومثل ذلك في الجهة الشمالية . أما في الجهتين الشرقية والغربية فقد أحاطها بمسقفتين ، وفي الجهة الشرقية ثلاثة أروقة وفي الجهة الغربية أربعة أروقة ، وجعل له مآذن في كل زاوية مئذنة ، وجعل في بيت الصلاة مقصورة من ساج . ثم زاد الخليفة العباسي المهدي في مسجد الرسول من جهته الشمالية حوالي) ١٠٠ ذراع) وزخرف بالفسيفساء ، وقد ظلت مساحة المسجد النبوي على زيادة المهدي إلى آخر العصر العباسي ثم زيدت عليه بعض الزيادات بعد ذلك

وكان المسلمون عند تأسيسهم الأمصار يهتمون أول شيء بتشييد المسجد الجامع، وهم يجعلونه في وسط المدينة ، ويجعلون حوله مساحة واسعة تتفرع منها الطرق إلى باقي أنحاء المدينة. وقد إتخذوا مسجد الرسولﷺ نموذجاً فشيدوا مساجدهم على غراره، وكانت هذه المساجد في الغالب مربعة الشكل فيها رحبة

واسعة تحتوي على الميضأة ، وفي جهة القبلة بيت للصلاة فيه ظلة تقام على أعمدة ويلاصق المسجد عادة دار الإمارة . وقد بنيت هذه المساجد من اللبن والطين ، ثم أعيد بناؤها في العصر الأموي ، فوسعت مساحتها وجعلت أعمدتها من الحجارة سقف معظمها.

ومن أشهر الجوامع التي بنيت في العصر الأموي المسجد الجامع بدمشق وقد بني في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بين عامي ٨٨ و ٩٦ هـ وكان شكله مستطيلا طوله (١٦٠ متراً) وعرضه) ١٠٠ متر) ، وفي جهة القبلة بيت للصلاة يبلغ عرضه) ٣٦) متراً) وإرتفاعه حوالي (١١) متراً) ، وهو يقوم على أعمدة فيها عقود متعددة ، أما الجوانب الشرقية والغربية والشمالية من الجامع فيحيطها رواق كسيت جدرانه بالمرمر الملون وعقدت عمده وسواريه بالقناطر والطاقات بالساج.

ولما أسس أبو جعفر المنصور مدينة بغداد سنة ١٤٥ هـ إهتم بتشييد المسجد الجامع وجعله في وسط المدينة المدورة ملاصقاً لقصره ، وكان جامع المنصور مربعاً طول كل ضلع من أضلاعه مائتي ذراع وفيه بيت فسيح للصلاة يشغل ثلث المسجد وفيه خمس بلاطات في كل منها (١٦) عموداً) من الخشب . وكانت تحيط برحبة الجامع من جوانبه الثلاثة الأخرى أروقة واسعة . وقد أنشئت في بغداد عدة جوامع أخرى لاقامة صلاة الجمعة ، كما كان في كل مدينة كبيرة في العالم العربي والاسلامي جامع أو أكثر لاقامة صلاة الجمعة . فضلا عن عدد كبير من المساجد لاقامة الصلوات فيها . وأنه ليس من اليسير في العالم الاسلامي وسنضرب نستعرض جميع صفحاً عنها ونقصر الكلام على بعض منها كأمثلة فحسب . ان المساجد وفي مصر تم بناء الجامع الطولوني) جامع أحمد بن طولون) سنة ٢٦٥ هـ وهو يتكون من صحن مربع مكشوف وتحيط به أروقة من جوانبه الأربعة ، وتقع القبلة في أكبر هذه الأروقة ، وهناك ثلاثة أروقة خارجية بين جدران الجامع وسوره الخارجي وتسمى الزيادات ومنارة الجامع الطولوني تتكون قاعدة مربعة تقوم عليها طبقة اسطوانية على مثال ملوية سامراء . من أما الجامع الأزهر فقد أنشئ في العصر الفاطمي في القاهرة بناه القائد جوهر الصقلي باسم الخليفة المعز لدين الله وتمت عمارته سنة ٣١١ هـ ويتكون من مدخل واسع وصحن تحيط به أروقة وقد أضيفت له عدة زيادات في عصور مختلفة لغرض توسيعه، ولذا يشكل هذا المسجد معرضاً للعمارة الاسلامية في مصر، وأهم أجزائه الفاطمية العقود المحيطة بالصحن وكذلك

عقود المجاز ذي السقف العالي . ويعتبر العصر المملوكي في مصر العصر الذهبي في تاريخ العمارة الإسلامية فقد روعي في بناء المساجد تصميم المدارس والأضرحة بدون أن يترك تماماً تصميم الجوامع ذات الايوانات والعمد

الحصون والقلاع :

اهتم العرب المسلمون ببناء الحصون وتحصين المدن الأغراض دفاعية وحربية والأمثلة على ذلك كثيرة. ومن أشهر حصون العباسيين قصر الأخيضر الذي ينسب إلى القرن الثامن الهجري. ويقع جنوب غربي كربلاء بنحو (٥٥ كيلو متراً بالقرب من وادي الأبيض، والقصر محصن مستطيل الشكل (١٧٥ م × ١٦٩ م) ولسوره الخارجي أربعة أبراج في زواياه وأربعة أخرى في منتصف اضلاعه بها أبواب، ويبلغ ارتفاع السور (١٨م) وسمكه نحو (٤,٥ م) إلى علو أحد عشر متراً ، ويبدأ بعد ذلك دهليز يمر فوق السور عرضه متران ، ومخطط القصر يدل على وجود خمسة أقسام أساسية فيه

١ – القسم الشمالي : ويتصل بالسور الخارجي ويتألف من ثلاثة طوابق في جزئيه الأوسط والشرقي، وكان هذا القسم يضم فيما يظهر الديوان الرسمي ودوائر الحاشية والمضيف

٢ – القسم الأوسط أو المركزي: ويحيط به مجاز معقود من جهاته الأربع يفصله عن سائر أقسام القصر، وقوام هذا القسم الرحبة الكبرى أو رحية الشرف .

٣–القسم الجنوبي : ويضم مقر الخدم ويقع جنوب القسم الأوسط ويتألف من صحنين وثماني قاعات ذا أقبية

٤_أما القسمان الرابع والخامس فمتشابهان ، يقع أحدهما شرقي القسم الأوسط والثاني غربيه ويتكون كلاهما من بيتين أو دارين ، وفي كل بيت صحن وست غرف وهما مقر الحريم . وخلف الأيوبيون أثاراً مهمة منها قلعة صلاح الدين في القاهرة ففي .

سنة١١٧٦ م – ٥٧٢ هـ أمر صلاح الدين الأيوبي ببناء سور يحيط بالقاهرة وقصر (القطائع والعسكر والفسطاط) ، وبنشيد قلعة الجبل وجعل الاشراف على هذا البناء للأمير بهاء الدين قراقوش. وقد أضيفت إلى القلعة بعد صلاح الدين أجزاء كثيرة ، كما حدث فيها تعديل غير بعض معالمها الأولى. ويتبين من تخطيطها

أنها تتألف من مساحتين من الأرض مستقلتين الشمالية تقرب من شكل المستطيل ولها أبراج بارزة. أما الجنوبية فتمتد من الشمال إلى الجنوب بعد أن تكون زاوية قائمة مع المساحة الشمالية ، يفصلها جدار سميك ذو أبراج يبلغ طوله نحو (١٥٠ م) وفي وسطه باب القلعة الذي يعرف باسم (الباب الجواني) ، والواقع أن في قلعة الجبل بالقاهرة ظاهرة غير عادية في أسوار القلاع، لأننا لا نرى لها سوراً كاملاً بأبراجه واستحكاماته البارزة . ولعل السبب في ذلك أن قلعة الجبل تتألف من المساحة الشمالية وهي الحصن ومن ملحقات تضمها المساحة الجنوبية، وقوامها قصور وبيوت واسطبلات وميادين، ولكنها غير منتظمة الشكل وترجع إلى عصور مختلفة وليس لسورها كثيراً من الأبراج المربعة أو نصف المستديرة كما لسور الحصن نفسه. وهكذا يتبين أن القلعة لم تكن حصناً فحسب بل إحتوت مدينة ملكية صغيرة تضم القصور والمساجد دواوين الحكومة وأكبر الظن أن القسم الشمالي من القلعة بني في عهد صلاح الدين وأن الكامل (٩٠٥ هـ . ١٢٠٧م) أضاف إلى قسمها الجنوبي بعض العمائر. ومن آثار الأيوبيين المهمة قلعة حلب التي تمت عمارتها في القرن السابع الهجري.

المدارس : الأول ولما كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فقد إهتم المسلمون في عمارة المدارس . وكانت المساجد في العصر الاسلامي مراكز التدريس .

ومن أبرز الأمثلة للمدارس العربية الإسلامية المدرسة المستنصرية ، بناها المستنصر بالله أبو جعفر المنصور العباسي سنة ٦٢٥ هـ وكمل بناؤها سنة ٦٣٠ هـ على ضفة نهر دجلة الشرقية في بغداد ، ولا تزال هذه المدرسة شاخصة حتى الآن وقد رسمت وجددت ، وتعتبر هذه المدرسة النموذج الجامعي في المدارس العربية الإسلامية ببنائها ونظام التدريس فيها . وقد عنيت بدراسة علوم القرآن والسنة النبوية وعلوم العربية والرياضيات والفرائض والزكاة ومنافع الحيوان وعلم الطب وحفظ قوام وتقويم الأبدان آن الصحة في واحد والمدرسة بشكل المستطيل يمتد مع شاطىء دجلة طوله (١٠٤,٨٠) م وعرضه من الجنوب ٤٨,٤٠٤ م) ومن الشمال (٤٤٠ م) ، وفي وسطها صحن مساحته (١٧١٠ م) تحف به الاواين والمسجد وغرف السكني الطلبة وفي المدرسة ايوانان في الشمال والجنوب يرتفعان بإرتفاع طابقي البناء ويبلغ عدد الغرف فيها (٨٠ غرفة (كما أنها اشتملت على مسناة لوقوعها إلى جوار النهر كما يوجد فيها مزملة وحمام وقد الحقت بالمدرسة دار القرآن وإيوانها في الناحية الشمالية مقابل جامع الأصفية الحالي (على رأس جسر الشهداء من

جانب الرصافة) ، كما الحقت بها مدرسة الطب حيث كمل إيوانها سنة ٦٣٣ هـ وتقابل هذه المدرسة باب المستنصرية الرئيس (موقع مدرسة الطب حالياً سوق هرج) يضاف إلى كل هذا وجود مكتبة ودار للحديث إن عدد الطلاب في المدرسة (٢٤٨) طالباً إضافة إلى الأساتذة والمعيدين ويلائم هذا العدد عدد غرف المدرسة وقاعاتها وتقوم الحكومة بالصرف على المدرسة وطلابها وأساتذتها ومعيديها وكان من شروطها (النظام الداخلي في الدراسة) ، كما أوقفت لها الأوقاف الكثيرة التي تصرف على المدرسة ومتطلباتها وقد اشترط في ناظر المدرسة (عميدها) أن يكون عالماً فقيهاً وقد عين لها القاضي أبو النجيب عبد الرحمن بن يحيى بن القاسم التكريتي وقد زينت المدرسة بعناصر زخرفية كثيرة على شكل حشوات محفورة مزينة بالعناصر النباتية والهندسية في المدخل وبين الأواوين وفوق عقود السقوف وبواطن العقود وواجهة المسجد والمحراب ، إضافة إلى وجود عناصر معمارية أخرى كالدعامات والسواري والعقود المدببة والسقوف المقيبة (أي على شكل نصف اسطوانة) والشرفات والنوافذ ، وعلى جدارها المواجه لدجلة نجد شريطاً من الكتابة يؤرخ بناء المدرسة وقد حدثت عليه تغيرات أضيفت في فترات متباعدة

الفنون الزخرفية عند العرب المسلمين :

زينت القصور والمساجد والمدن التي شيدت في العالم العربي والإسلامي بزخارف متعددة في تيجان الأعمدة والمحاريب والجدران ، وقد بدأ الاهتمام بالزخارف منذ عهد مبكر فالقصور التي بناها الخلفاء الأمويين في البادية كقصر المشتى وقصر الطوبة وقصر هشام في خربة المفجر كانت كلها مزخرفة .

هذه وقد تطورت فيها الزخارف الإسلامية وبالذات عناصر (الارابسك) أي التفريعات النباتية أو ما يعبر عنه بالرقش العربي وقوام زخارف ورسوم القصور الرسوم النباتية ومناظر الصيد وصور الحيوانات . وقد زخرف البعض منها بالفسيفساء التي تمثل رسوم أشجار الفاكهة إضافة إلى التفريعات النباتية .

لقد استمرت الأساليب الأموية في النحت متبعة خلال النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي إبان حكم العباسيين ويتجلى النشاط الفني بإنشاء مدينة بغداد ببناء مدينة سامراء (سر من رأى) وكانت عادة الخلفاء المسلمين استقدام خيرة الصناع والفنانين في إنشاء المدن من الأقاليم المختلفة . مما أدى إلى التقاء أساليب فنية متباينة طبعت فيما بعد بطابع الفن العربي الإسلامي وقد بقي لنا كثير من زخارف سامراء .

أنه كان قبل بغداد ويرجح أما الحفر على الرخام فقد وفق الفنان العربي إلى حد كبير ومن أفضل الأمثلة ما وجد في قبة الصخرة والجامع الأموي من عصر بني أمية حيث زينت هذه العمائر بالعناصر النباتية المختلفة المحفورة. ومن الأمثلة العباسية في الحفر على الرخام محراب جامع الخاصكي في ذلك في جامع المنصور ببغداد وقد إمتدت هذه الصناعة إلى بلدان المغرب العربي حتى الأندلس وقد جاءتنا أمثلة من الأندلس منها تيجان أعمدة . وكانت في مدينة الزهراء أعداد كبيرة من هذه الآثار وثمة أمثلة رخامية أخرى كالألواح الموجودة على جانبي المحراب الذي شيده الحاكم في المسجد الجامع بقرطبة، إضافة إلى بعض المنحوتات الجصية في هذا الجامع

الحفر على الخشب والعاج والعظام :

إهتم المسلمون بالحفر على الخشب والعاج والعظام . وقد اتبعوا في بداية العصر الإسلامي ما كان سائداً قبل الإسلام في هذا الميدان. ومن ذلك زخارف المساند الخشبية بالمسجد الأقصى من العصر الأموي . أمثلة أما العصر العباسي فيمثله منبر جامع القيروان في الحفر على الخشب

وحشوة خشبية مستطيلة الشكل ترجع إلى عصر هرون الرشيد عثر عليها في تكريت. وازداد الاهتمام بالحفر على الخشب في العصر الفاطمي ، وقد وصلتنا تحف كثيرة في غاية الدقة والاتقان قوام زخارفها رسوم حيوانية وطيور في مدن مصر وتفريعات نباتية وقد استمرت الأساليب الفاطمية في العصرين الأيوبي والمملوكي يبدو ذلك في تابوت الامام الشافعي والمؤرخ في (٧٥٤ هـ / ١١٧٨ م) . وازداد الاتقان في العصر المملوكي ويبدو ذلك في مصراع باب في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة. أما الحفر على العاج والعظام فقد عثر القديمة ومنها الفسطاط على قطع اتبع في زخرفتها التقليد المصري المحلي . أما تحف العصر الفاطمي فتشبه إلى حد ما أساليب الحفر على الخشب لما كان سائداً في مصر واستمرت الأساليب نفسها في العصرين الأيوبي والمملوكي أما في الاندلس فقد عرفت صناعة الحفر على العاج واهتم بها الأمراء والحكام ، وقد جاءت غالبية التحف مؤرخة . أما التحف العاجية التي عثر عليها جنوبي إيطاليا وجزيرة صقلية فإنها إسلامية أو عليها تأثير عربي إسلامي واضح الزخارف

الفسيفساء :-

رسوم إهتم العرب المسلمون في صناعة الفسيفساء وأبدعوا فيها لتزيين العمائر والمقصود بالفسيفساء الموضوعات الزخرفية المؤلفة بجمع أجزاء صغيرة ومتعددة الألوان من الزجاج والحجر وتثبيتها بعضها إلى بعض فوق الجص أو الأسمنت ومن هذا تتكون موضوعات زخرفية ورسوم متعددة ، وقد تكون هذه الموضوعات الزخرفية هندسية أو كائنات حية أو نباتية ، إضافة إلى هذا استعمل الفنان العربي المكعبات الزجاجية الصغيرة الملونة شفافة وغير شفافة وجمع معها في بعض الأحيان المكعبات الحجرية والصدفية ، واستعمل المكعبات ذات اللون الذهبي أو الفضي ولكنه جعلها ماثلة قليلاً لتعكس الضوء ولا ريب في أن أبدع ما وصل إلينا من أمثلة الفسيفساء من العصر الإسلامي فسيفساء قبة الصخرة وفسيفساء المسجد الجامع في دمشق وقد قصر هشام بخربة المفجر. كانت الفسيفساء تغطي الجدران الخارجية في قبة الصخرة ، وما زال معظمها ، ولا يزال محفوظاً منها الفسيفساء التي تغطي بعض الأجزاء الداخلية والتي يرجع تاريخها إلى سنة ٧٢ هـ كما تشهد بذلك كتابة بالخط الكوفي البسيط بالفسيفساء المذهبة على أرضية زرقاء. وأهم موضوعات فسيفساء قبة الصخرة فروع نباتية متصلة وحلزونية تخرج من آنية ويقع بين كل فرعين موضوع زخرفي يشبه الشمعدان وفوقه زخرفة بشكل مجنح ، إضافة إلى هذا فيها عناصر زخرفية نباتية كالأشجار والنخيل ورسوم الفاكهة ولا سيما العنب والرمان وباقات الزهور ورسوم أخرى مختلفة

وقد كشفت أما فسيفساء الفناء الخارجي للجامع الأموي في دمشق فإن معظمها أصابه التلف بسبب الحرائق المتعددة التي أصابت المسجد ، بعضها وكانت مغطاة بالملاط ، وقوام موضوعاتها رسم نهر على ضفته رسوم أشجار تطل على منظر طبيعي فيه رسوم عمائر بين أشجار وغابات ، كما يبدو فيها رسم ملعب لخيل ورسم قصور .

التصوير :-

حول شرح اهتم العرب المسلمون بتزويق الكتب وتزيينها بالصور خاصة كتب التاريخ والطب والمخطوطات الأدبية ، وكان الكثير من هذه المصورات بدور الأحداث التاريخية وحياة الأنبياء وحركات التحرير العربية

وإعداد الأدوية والعلاج بها ، وقد كان التصوير العربي الإسلامي في بادىء أمره بعيداً عن الطبيعة إلا أن هذه الروح لم تلبث أن تحررت بمرور الزمن ، وقد وصلت المدارس العربية الإسلامية في التصوير عصرها الذهبي في مدرسة بغداد للتصوير.

التحف المعدنية :-

على اهتم العرب المسلمون بصناعة التحف المعدنية ، وكانت هذه التحف أشكال متعددة كالأواني والأباريق والصناديق وكانت على هيئات مختلفة بأشكال الحيوانات والطيور ومن معادن مختلفة . كما أبدع الفنانون العرب في ميدان صناعة المصوغات الذهبية والفضية ذات القيمة الفنية العالية . وكان تأثير مدرسة الموصل في فن الصناعة المعدنية كبيراً عن إنتاج الشام ومصر العصر الأيوبي في القرن الثالث عشر الميلادي . وأبدع الفنان في مصر صناعة التحف المعدنية حيث زين العديد من التحف وخصوصاً . في العربي برسوم و بزخارف دقيقة وعديدة .

الخزف :-

متعددة ، وقد اهتم العرب المسلمون بصناعة التحف الخزفية وزخرفتها وبقي من آثارهم نماذج كثيرة جداً حيث أبدع الفنانون في زخرفة هذه التحف بطلائعها ، وكانت الرسوم تحت الطلاء أو فوقه، وكان الطلاء بلون واحد أو ألوان وكذلك في صناعة لوحات القاشاني والمحاريب . سار العرب المسلمون في العصر الأموي على الأساليب التقليدية التي سادت مصر والعراق وسوريا ، ولكن الفنانين بدأوا بالابتكار التدريجي حتى القرن التاسع الميلادي سواء في الزخارف أم في الألوان أم في الصناعة لذلك يعتبر خزف سامراء النموذج الذي يمثل إنتاج العصر العباسي . أما في مصر فقد عثر في الفسطاط على أنواع عديدة من الخزف تمثل التطور في صناعته من القرن ٩ – ١٦م ، فقطع الخزف التي تنسب إلى العصر الطولوني تشبه في زخارفها ما عرف في العراق في العصر العباسي حيث أن قوام هذه الزخارف دوائر ذات مركز واحد وأنصاف دوائر ونقط أما في العصر الفاطمي فقد بلغ الخزف درجة عالية في صناعته ويمكن تقسيمه إلى قسمين قسم برسوم منقوشة تحت الطلاء والثانية ذات زخارف فوق الطلاء ، وامتازت تحف هذه الفترة بوجود أسماء الصناع

عليها ، وقد جرى الفنانون في عصر الأيوبيين والمماليك على أسلوب الفاطميين في الصناعة . أما في الأندلس فقد عثر في مدينة الزهراء على مقربة من قرطبة وفي قصر الحمراء على قطع خزفية تشهد على إزدهار هذا الفن العربي في فترة القرن (٤- هـ)

المنسوجات :-

لا ريب أن الألبسة من أهم الحاجات الضرورية للإنسان وقد أولى الإسلام الاهتمام بها عناية خاصة فقال تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) وعرف عن الرسول الاعظم وعنايته بالألبسة ، وكان العرب يعنون كثيراً بالبستهم . وكان في جزيرة العرب عدة مراكز للمنسوجات أهمها اليمن والبحرين وقطر. وقد اهتم المسلمون منذ أوائل العصر الإسلامي بالمنسوجات فقد صنعت المنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والصوفية وزينت حتى بخيوط الذهب والفضة وصبغت بصبغات نباتية وحيوانية طرق إستخراجها معقدة جداً. أما زخارفها فكانت نباتية كالأزهار والأوراق والرسوم الأدمية ومناظر الصيد والقنص إضافة إلى الزخارف الهندسية كالدوائر المتقاطعة والأغصان الموروقة الهندسية الشكل .

لقيت هذه الصناعة تشجيعاً خاصاً في أقاليم الدولة العربية الإسلامية المختلفة ، ولا سيما بعد أن انتشرت عادة الخلفاء والأمراء في مكافأة رجال الدولة والوقود بالخلع الثمينة ، ومن هذا عرف العالم العربي والإسلامي نظاماً خاصاً في مصانع النسيج، فقد كانت هذه المصانع حكومية أو تحت رقابة الحكومة ، وكان يطلق على المصانع الحكومية اسم (الطراز) ازدهرت صناعة المنسوجات والسجاد في العصر الإسلامي وصدرت إلى أوروبا والشرق وتنافس الأغنياء على إقتنائها فالمنسوجات التي كانت تسمى باللغات الأوروبية – Damasks قد إشتق اسمها من مدينة دمشق وكذلك كلمة موسلين Muslin نسبة إلى مدينة الموصل . أنتجت مصر في عصورها المختلفة أنواع المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية والكتانية كما ازدهرت هذه الصناعة في العصر الأموي ببلاد الشام وفي بغداد وإيران في العصر العباسي. كما أنتجت منسوجات في صقلية عليها أشرطة من كتابات عربية

الخط والتذهيب والتجليد :-

لعب الخط العربي دوراً كبيراً ميدان الفن الإسلامي وقد عني المسلمون منذ بداية تاريخهم بفن الكتابة والخط الجميل وذلك لسلامة الخط العربي وتعدد أنواعه وأشكاله وقابلية التصرف به. وقد استخدم الخط الكوفي والنسخي في بادىء الأمر ففي القرون الأولى إقتصر الخط الكوفي على كتابة القرآن الكريم وأقدم نسخة ترجع إلى سنة ١٦٨ هـ محفوظة في دار الكتب المصرية ، ومنذ القرن الحادي عشر قل إستخدام هذا الخط في كتابة القرآن الكريم ، وحل محله بالتدريج خط النسخ . أما في المغرب العربي فقد إستخدم في كتابة المصاحف الخط أحياناً بالخط الأندلسي أو القرطبي المغربي وسمي وإلى جانب الإهتمام بالخط أولي العربي المسلمون التذهيب وزخرفة هذه الكتابات بالعناصر النباتية وأعطوها عناية كبيرة . فالتذهيب في القرن الرابع عشر الميلادي لم يقتصر على المصاحف بل إنتقل تدريجياً إلى المخطوطات . لقد كان التطور حليف الفنان العربي المسلم ولم يلازمه الجمود في هذا الميدان بل إنتقل بإهتمامه إلى تجليد الكتب وكان هذا يعتمد على أهمية الكتاب ومادته . فقد استخدمت الجلود وحدها في تجليد الكتب وزينت برسوم مضغوطة ملونة أو غير ملونة .